الدراسات

القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة

عباس صالح طاشكندي

استاذ مشارك في قسم المكتبات
والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز ــ جدة

مقدمـــــة

باستثناء الدراسة التي أعدها علي ابراهيم النملة عن العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة المكتبات[1] لم يحظ موضوع القوى البشرية العاملة في حقول المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة العربية السعودية بعناية الدارسين واهتمامهم وذلك على الرغم من إشتماله على جوانب ذات أهمية بالغة ترتبط بما شهدته المملكة العربية السعودية خلال السنوات العشر الماضية (١٣٩٥ ــ ١٤٠٥ هـ) من تطور في مجالات المكتبات ومراكز المعلومات. ويهدف هذا البحث إلى اجراء دراسة ميدانية تعرض لموضوع القوى الفنية البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة العربية السعودية وذلك من زاويتين رئيسيتين :

أولاهما : تختص بقنوات التأهيل المهني والفني للعاملين.

والأخرى : تختص بدراسة الواقع الفعلي للقوى البشرية الفنية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية .

وتعرض الدراسة إلى موضوع تصنيف القوى البشرية وذلك على ضوء المعطيات المهنية والفنية من ناحية والبيانات التي يضمها دليل تصنيف الوظائف في المملكة العربية السعودية[2] من ناحية أخرى. ولا تضم الدراسة فئة الكتبة والعمال من العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات، وذلك باعتبارها فئة مساندة لا ترتبط بمستويات الأداء المهني والفني. كما تستثنى الدراسة فئة الباحثين من المتخصصين وأعضاء هيئة التدريس في أقسام المكتبات والمعلومات بالجامعات السعودية .

أولا : قنوات التأهيل المهني والفني للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية.

تتشكل القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات عادة من فئات ثلاث هي :

١. المهنيون Professionals
٢. الفنيون Technicians
٣. الكتبة والعمال Clerks

بحيث تختص كل فئة منهم بأداء نوع محدد من الأعمال، وتتراوح مستويات الأداء فيما بينهم بحيث يتولى الكتبة والعمال Clerks إنجاز الأعمال الكتابية واليدوية بينما يقوم الفنيون Technicians باتباع القواعد وانجاز ما يوكل إليهم من أعمال ترتبط غالبا بالأداء الفني، في حين يختص المهنيون Professionals باتخاذ القرارات المهنية والاشراف على تنفيذها ومتابعة خطط التطوير، والعمل على تحقيق الأهداف التي تقوم عليها المكتبات ومراكز المعلومات .

إن اعداد فئة الكتبة والعمال، والتي لا تدخل في نطاق هذه الدراسة، يتم عبر وسائل متعددة أبرزها ما يضطلع به معهد الادارة العامة منذ عام ١٣٨٢ حتى الآن من انجاز برامج الأعمال

المكتبية والتي تغذي مؤسسات الدولة بالكوادر العامة من الكتبة ومن في حكمهم من القائمين بأعمال السكرتارية.

ويوضح الجدول التالي أعداد الخريجين من برامج الأعمال المكتبية والسكرتارية خلال السنوات ١٣٨٢ ـــ ١٤٠٢ هـ.

البرنامج / السنوات	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	الإجمالي
١٣٨٢/٨٣	—	١٤٠	—	٧٧	—	—	—	—	—	٢١٧
١٣٨٣/٨٤	—	١١٤	—	٦٦	—	—	—	—	—	١٨٠
١٣٨٤/٨٥	—	٢٣٩	—	٢٦٠	—	٣٠	—	—	—	٥٢٩
١٣٨٥/٨٦	—	٢٠٢	—	١٣٠	—	—	—	—	١٢	٣٤٤
١٣٨٦/٨٧	—	١٥٥	—	٩٨	١٤	—	—	—	—	٢٦٧
١٣٨٧/٨٨	—	٤٣	—	٧٧	١٢	—	—	—	—	١٣٢
١٣٨٨/٨٩	—	١٨٨	—	٩٠	١٠	٢٥	—	—	—	٣١٣
١٣٨٩/٩٠	—	١٠٣	—	٦٠	١٣	٢٩	—	—	—	٢٠٥
١٣٩٠/٩١	—	٩٨	—	٣٦	—	—	—	—	—	١٣٤
١٣٩١/٩٢	—	١٦٠	—	٧٢	٢٠	٥٨	—	—	—	٣١٠
١٣٩٢/٩٣	—	١٠٣	—	٣٦	٢٣	٢٦	—	—	—	١٨٨
١٣٩٣/٩٤	—	٢٣١	—	٧٧	—	٣٣	—	—	١٢	٣٥٣
١٣٩٤/٩٥	—	٢٨٨	—	٨١	١٢	١٦	—	—	—	٤٠٠
١٣٩٥/٩٦	—	٣٣٠	—	٦٦	١٤	—	—	—	—	٤١٠
١٣٩٦/٩٧	—	٢٣٨	—	١٤٣	—	—	—	—	—	٣٨١
١٣٩٧/٩٨	٣٦	٤٢٣	٣٠	١٨٥	٤٤	٥٧	١١	—	—	٨٣٦
١٣٩٨/٩٩	٤٣	٢٨٤	١٧٧	١٨٨	٨٣	—	٣٦	١٦	٥٨	٨٨٣
١٣٩٩/١٤٠٠	٣٦	٣٦٣	٢٠٨	٢٩٧	١٠٨	—	١٢	١١	٤١	٩٤٧
١٤٠٠/١٤٠١	٣٦	٤٩٠	٢٩٤	٢٤٦	٣٧	٧٧	٣٦	١٠	٣٦	١٢٨٤
١٤٠١/١٤٠٢	٣٤	٤٩٢	٢٦٣	٣٢٢	١٥٨	٣٧	—	—	٥٨	١٤٠٤
المجموع: العدد	٢٠٤	٤٧٤١	١٠٣٩	٣١٤٢	٥٥٧	٤١٠	١٤٨	٣٧	١١٣	٩٦٣٩
المجموع: %	٢	٤٩	١١	٣٣	٦	٤	٢	٠٫٣	١٫٢	١٠٠

(المصدر: معهد الإدارة. إنجازات معهد الإدارة العامة في ٢٠ سنة. إدارة التخطيط والمتابعة. الرياض. ١٤٠٢. ص ٦٩.)

أما الفنيون Library Technicians وهم المسؤولون غالبا عن الأداء الفني فإنهم يشكلون الغالبية من العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات فإن إعدادهم يتم عن طريق البرامج التي يقدمها معهد الادارة العامة في الرياض وفروعه في كل من جدة والدمام.

وتنقسم برامج معهد الادارة العامة لإعداد الفنيين ومساعديهم إلى ثلاث فئات كالتالي:

١. برامج المكتبات التدريبية العامة.

أ. برنامج موظفي المكتبات.

ب. برنامج أمناء المكتبات.

٢. البرنامج التدريبي الخاص للمكتبات

٣. البرنامج الاعدادي «دراسات المكتبات».

وتعد البرامج التدريبية العامة برامج تدريب أثناء الخدمة بحيث يتم اختيار المرشحين من أمناء وموظفي المكتبات من قبل جهات أعمالهم بحيث يندبون للتفرغ للدورة خلال انعقادها. وتتراوح مدة البرامج التدريبية العامة بين ثمانية أسابيع إلى أربعة شهور. أما البرامج التدريبية الخاصة فيتم الاعداد لها وفق متطلبات خاصة يتم الاتفاق عليها مع الوزارات والمصالح الحكومية على أن تستجيب للحاجات الخاصة التي تحددها جهات العمل، وتتراوح مدة البرنامج بين ثلاثة شهور إلى أربعة.

أما البرنامج الاعدادي «دراسات المكتبات» فيهدف ـــ كما جاء في الدليل الصادر بشأنه ـــ إلى «تأهيل الكفاءات الوطنية في أعمال المكتبات المختلفة واعدادها للعمل في هذا المجال، حيث يتلقى الملتحقون بالبرنامج الأصول العلمية والتطبيقية في جمع وتنظيم واسترجاع المعلومات والإجراءات الفنية المتبعة مع أسس تقديم الخدمات المكتبية والقدرة على الإشراف على المكتبات وإدارتها بحيث يكون الدارس بعد التخرج ملما بما يلي:

١. القدرة علميا وعمليا على تنمية مجموعات المكتبات من أوعية المعلومات المطبوعة وغير المطبوعة وذلك بدراسة أساليب التزويد وأسس تنمية وتقييم مصادر المكتبة.

٢. القدرة على تنظيم مقتنيات المكتبات حسب التقنيات الحديثة وذلك بدراسة وتطبيق أسس الفهرسة والتصنيف والتكشيف والاستخلاص والببليوجرافيا ونحو ذلك من أساليب التوثيق.

٣. القدرة على استرجاع المعلومات من مصادرها المختلفة وتقديم خدمات المعلومات وذلك بدراسة أساليب الخدمات المرجعية السريعة والمتابعة والإعارة ودراسة مصادر المعلومات العربية والأجنبية وطرق استرجاع المعلومات يدويا وآليا».(٣)

ومدة الدراسة في هذا البرنامج سنتان دراسيتان توزعان على أربعة فصول مدة كل فصل منها خمسة عشر أسبوعا يعقبها فترة تدريب عملي لمدة خمسة عشر أسبوعا في واحدة من المكتبات التي يحددها المعهد.

ويختلف البرنامج الاعدادي عن البرامج التدريبية الأخرى باعتباره برنامجا دراسيا يسبق التعيين، ويشترط للالتحاق به حصول المتقدم على الشهادة الثانوية أو ما يعادلها مع اجتياز المقابلة الشخصية. ويعين المقبولون أثناء تفرغهم للدراسة في

المرتبة الرابعة، ثم ينقلون بعد حصولهم على دبلوم دراسات المكتبات إلى المرتبة الخامسة وفق نظام الخدمة المدنية. وحسب المواصفات التفصيلية الواردة في دليل برنامج دراسات المكتبات، (٤) فإن هذا البرنامج يمكن أن يكون قاعدة جيدة لبرامج تأهيل الفنيين من العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية، إلا أن ما يؤخذ عليه من خلال دراسة مفرداته ومواده طغيان المادة النظرية على التطبيقية واشتماله على عدد من المواد التي يمكن الاستغناء عنها في مثل هذه المرحلة وعن مثل هذه الفئات التي قد لا يطلب منها القدرة على الإشراف بقدر ما يطلب منها أن تمارس عمليا تلك الأعمال الفنية في جمع وتنظيم مقتنيات المكتبات وممارسة الخدمة في مختلف قنواتها. فمواد كمصادر المعلومات العربية والأجنبية ومبادىء الإحصاء وإدارة المكتبات ومراكز التوثيق ومناهج البحث ربما تكون أقرب صلة بإعداد المهني في علوم المكتبات والمعلومات عنها بإعداد الفني الذي يعتمد عليه غالبا في إجراء العمليات الفنية تحت إشراف المهنيين المختصين. ونلاحظ من مفردات مادة «تنمية المجموعات» اشتمال الجزء الأكبر منها (٢٣ ساعة) على تفاصيل تتناول مبادىء الإختيار ولوائحه ودراسة حركة النشر والرقابة وحقوق التأليف، بينما يحتل التزويد وإجراءاته (١٨ ساعة) فقط منها ٤ ساعات للتدريب العملي. ولعل من الطبيعي في برنامج كهذا ضغط الخلفية النظرية في عدد أقل من الساعات وتخصيص معظم الساعات الأخرى للتأهيل في التزويد وإجراءاته مع إعطاء فرصة أكبر للتدريب العملي على إجراءات التزويد.

وعلى أية حال فإن هذا البرنامج يمكن أن يعتمد عليه مستقبلا كقناة لتخريج الكوادر الفنية المساعدة للكوادر المهنية العاملة في حقول المكتبات ومراكز المعلومات، ويتوقع لدفعاته الأولى أن تتخرج مع أوائل هذا العام ١٤٠٦ هـ.

ولعل ما يميز هذا البرنامج توجهه لاستقطاب الطالبات من الدارسات من خلال القسم النسائي بمعهد الإدارة العامة بالرياض، حيث بلغ عدد الملتحقات بالبرنامج ٧٢ ملتحقة موزعات على أربع دفعات كالتالي :

الدفعة الأولى	١٥ ملتحقة
الدفعة الثانية	١٧ ملتحقة
الدفعة الثالثة	١٧ ملتحقة
الدفعة الرابعة	٢٣ ملتحقة

ويتوقع تخريج الدفعة الأولى من الملتحقات خلال شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٦هـ.

أما الطلاب الملتحقون فقد بلغ مجموعهم في البرنامج الذي يتم تقديمه في مقر المعهد بالرياض ٣٩ ملتحقا يتم توزيعهم على ثلاث دفعات كالتالي :

الدفعة الأولى	١٢ ملتحقا
الدفعة الثانية	١١ ملتحقا
الدفعة الثالثة	١٦ ملتحقا

ويقدم فرع معهد الإدارة بجدة البرنامج نفسه حيث يبلغ عدد الملتحقين به ٢٥ ملتحقا يتم توزيعهم على دفعتين كالتالي :

الدفعة الأولى	١٢ ملتحقا
الدفعة الثانية	١٣ ملتحقا

وبالنسبة للبرامج التدريبية العامة (موظفو المكتبات وأمناء المكتبات) والتي يقدمها معهد الإدارة العامة كتدريب أثناء الخدمة ولمدد قصيرة لا تتجاوز أربعة شهور، فقد بلغ عدد الخريجين منها خلال السنوات ١٣٨٨/١٣٨٩ حتى ١٤٠٤/١٤٠٥ هـ ٢٠٨ متدربا يمكن توزيعهم نسبة إلى السنة والبرنامج في الجدول التالي المستخلص من التقارير السنوية لمعهد الإدارة العامة.

السنة	البرنامج		الإجمالي
	أمناء المكتبات	موظفو المكتبات	
١٣٨٩/١٣٨٨	٢٨		٢٨
١٣٩١/١٣٩٠	٩		٩
١٣٩٤/١٣٩٣	٤٨		٤٨
١٣٩٨/١٣٩٧		٢٠	٢٠
١٤٠١/١٤٠٠	١٦	٣٠	٤٦
١٤٠٣/١٤٠٢	١١	٢١	٣٢
١٤٠٤/١٤٠٣	١٦		١٦
١٤٠٥/١٤٠٤		٩	٩
المجموع	١٢٨	٨٠	٢٠٨

حيث تخرج ١٢٨ متدربا من برنامج أمناء المكتبات، ٨٠ متدربا من برنامج موظفي المكتبات، استفادت منهم ٣٩ مؤسسة حكومية وعدد من البلدان العربية كما هو موضح في الجدول التالي :

الجهة	موظفو المكتبات	أمناء المكتبات
١ - وزارة الداخلية	٢	٥
٢ - وزارة المعارف	٢٤	٤٥
٣ - وزارة الدفاع والطيران	٩	٦
٤ - وزارة المالية والاقتصاد الوطني	٢	٢
٥ - وزارة الزراعة والمياه		١
٦ - وزارة العمل والشئون الاجتماعية		٢
٧ - وزارة الصحة	١	١
٨ - الديوان العام للخدمة المدنية		١
٩ - الخطوط الجوية العربية السعودية	٢	٣
١٠- الحرس الوطني	١	٢
١١- الرئاسة العامة لتعليم البنات		١
١٢- وزارة التجارة		١
١٣- معهد الادارة العامة	٢	٥
١٤- جامعة الملك سعود	٢	٨
١٥- وزارة الاعلام	٢	١
١٦- القوات الجوية	١٧	
١٧- ديوان رئاسة مجلس الوزراء*	١	٦
١٨- وزارة البترول والثروة المعدنية		١
١٩- رئاسة الاستخبارات العامة		١
٢٠- مؤسسة التأمينات الاجتماعية	١	
٢١- الكليات والمعاهد العلمية		١
٢٢- جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية	٢	
٢٣- مصلحة الزكاة والدخل		١
٢٤- مؤسسة النقد العربي السعودي	١	١
٢٥- الجامعة الاسلامية	٢	٥
٢٦- مركز الأبحاث والتنمية		١
٢٧- الرئاسة العامة لشئون الحرمين		٤
٢٨- مركز التدريب المهني		١
٢٩- القوات البحرية	٢	
٣٠- كلية الملك فيصل الجوية	١	٣
٣١- وزارة التعليم العالي	١	
٣٢- وزارة البرق والبريد والهاتف		١
٣٣- وزارة العدل		١
٣٤- رئاسة شئون البحوث والافتاء والدعوة		٣
٣٥- الرئاسة العامة لرعاية الشباب	١	
٣٦- الهيئة السعودية للمواصفات والمقاييس	١	
٣٧- المركز الوطني للعلوم والتقنية	١	
٣٨- قوة الأمن الخاصة	١	
٣٩- دارة الملك عبد العزيز	١	١
٤٠- البلدان العربية		٥
٤١- دولة البحرين		١
٤٢- السودان		١
٤٣- الجمهورية العربية اليمنية		٣
٤٤- قطر		٢
٤٥- المملكة الاردنية الهاشمية	١	
المجموع	٨٠	١٢٨

وبالإضافة إلى البرامج التدريبية العامة ، فهناك برامج تدريبية خاصة يتم التخطيط لها بين معهد الإدارة العامة والجهات الراغبة في التدريب بحيث يلبي البرنامج المعد متطلبات خاصة تحددها جهة العمل .

وبلغ مجموع المتدربين في برامج التدريب الخاصة في المكتبات خلال الأعوام ١٣٨٩/١٣٩٠، ١٣٩٥/١٣٩٦، ١٣٩٦/١٣٩٧، ١٣٩٧/١٣٩٨، ١٣٩٨/١٣٩٩، ما مجموعه ١٩٣ متدربا ينتسبون إلى وزارة المعارف ووزارة الداخلية وجامعة الملك سعود بالرياض. ويوضح الجدول التالي أعداد الخريجين من البرامج التدريبية الخاصة موزعا حسب الجهات المستفيدة ومسمى البرنامج وسنوات تقديمه.

الجهة المستفيدة	البرنامج	السنوات					المجموع
		٩٠/٨٩	٩٦/٩٥	٩٧/٩٦	٩٨/٩٧	٩٩/٩٨	
وزارة المعارف	موظفو مكتبات	–	٣٤	٦١	–	٤٠	١٣٥
وزارة الداخلية	مكتبات	–	–	١٤	–	–	١٤
جامعة الملك سعود	أمناء مكتبات	١٠	–	–	–	–	١٠
وزارة المعارف	أمناء مكتبات	–	–	–	٣٤	–	٣٤
المجموع		١٠	٣٤	٧٥	٣٤	٤٠	١٩٣

(المصدر : معهد الإدارة العامة. انجازات معهد الإدارة العامة في ٢٠ سنة. إدارة التخطيط والمتابعة. الرياض، ١٤٠٢. ص ص ١٤٨ ــ ١٤٩).

وفيما يتعلق بالمستويات التعليمية ومؤهلات المتدربين خلال البرامج التدريبية العامة (أمناء المكتبات وموظفو المكتبات) نلاحظ تباينا كبيرا في المؤهلات التعليمية بين المتدربين، حيث تراوحت بين من لا يحملون أي مؤهل دراسي إلى الحاصلين على درجة البكالوريوس. ويبين الجدول التالي شريحة من المتدربين ممن التحقوا بالبرامج التدريبية العامة للمكتبات خلال السنوات ١٣٨٨ هـ ــ ١٤٠٢ هـ موزعين حسب مؤهلاتهم الدراسية .

مسمى البرنامج	بدون شهادة	الابتدائية	الاعدادية	الثانوية	الدبلوم	البكالوريوس	الاجمالي
أمناء المكتبات		٤	٤١	٣٥	١	٢٠	١٠١
موظفو المكتبات	٢	١٤	١٩	١٠	٣	٧	٥٥
المجموع	٢	١٨	٦٠	٤٥	٤	٢٧	١٥٦

ويتضح من هذا كله أن معهد الإدارة العامة بفروعه في كل من جدة والدمام قد اضطلع بمسؤوليات رئيسة في إمداد البلاد بالقوى البشرية العاملة في مجالات المكتبات ومراكز المعلومات وخاصة عن طريق الإعداد والتأهيل عبر البرامج التدريبية العامة والخاصة وخلال ما يضطلع به حاليا من تأهيل الكوادر الفنية عن طريق برنامجه الإعدادي «دراسات المكتبات» والذي يشترط له حصول الملتحق أو الملتحقة على الشهادة الثانوية قبل الإنخراط في البرنامج.

وبالإضافة إلى برامج معهد الإدارة العامة التدريبية، فقد تولت جامعة الملك عبد العزيز بجده تقديم دورات تدريبية للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات حيث تم تنفيذ خمس دورات، تراوحت مدتها بين شهرين إلى أربعة شهور، وجاءت على النحو التالي :

الدورة	تاريخ التنفيذ	عدد الخريجين
١- دورة المكتبات	٩٣/١/١٩ – ٩٣/٤/٢٢	١٢
٢- الدورة التدريبية على أعمال المكتبات	٩٤/١/٣ – ٩٤/٤/٢٢	١٢
٣- دورة المخطوطات والمكتبات	٩٥/١/٦ – ٩٥/٤/٢٩	٩
٤- دورة المكتبات والوثائق والمخطوطات	٩٦/١/٣٠ – ٩٦/٦/٤	٩
٥- دورة المكتبات والمخطوطات	٩٧/٢/٣ – ٩٧/٦/٧	١١

حيث تخرج ٥٣ متدربا ممن ينتسبون إلى عدد من الوزارات والمصالح الحكومية المختلفة. ويوضح الجدول التالي المواد الدراسية ومجموع الساعات التدريبية في كل دورة على حدة.

اسم المادة	الدورات التدريبية				
	الأولى ٩٢/٩٣	الثانية ٩٣/٩٤	الثالثة ٩٤/٩٥	الرابعة ٩٥/٩٦	الخامسة ٩٦/١٣٩٧هـ
الاجراءات الفنية للمكتبات			✓		
الاجراءات المكتبية		✓			
اختيار الكتب والتزويد					
الببليوجرافيا	✓				✓
الببليوجرافيا والتوثيق				✓	
"" العربية الاجنبية		✓			
تاريخ المكتبات في الاسلام		✓	✓		✓
التزويد	✓	-			✓
تحليل المخطوطات			✓		
التصنيف والفهرسة الموضوعية	✓	✓	✓		
التقنية المكتبية					✓
الفهرسة والتصنيف				✓	
فهرسة المخطوطات			✓		
الفهرسة الموضوعية والتصنيف					✓
الفهرسة الوصفية	✓	✓	✓		✓
المخطوطات				✓	✓
مراجع [illegible]		-		✓	
المراجع العامة		✓	✓		✓
المراجع العربية والمراجع الأجنبية	✓				
المكتبات في الاسلام	✓				
الوثائق العربية والأرشيف				✓	
المجموع بالساعات	١٨٠	١٨٠	١٨٠	١٩٢	١٩٢

(المصدر : أنس صالح طاشكندي. **التأهيل المهني في مجال المكتبات بالمملكة العربية السعودية. دراسة مسحية.** (رسالة ماجستير). كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢. ص١٣٠).

أما المهنيون Library Professionals وهم المختصون غالبا في اتخاذ القرارات المهنية والإشراف على تنفيذها مع المقدرة على وضع خطط التطوير ومتابعتها والعمل على تحقيق الأهداف التي تقوم عليها المكتبات ومراكز المعلومات فيتم إعدادهم وتأهيلهم

عن طريق البرامج العلمية التي تقدمها الجامعات من خلال أقسام المكتبات والمعلومات بالجامعات السعودية .

فالدراسة التي أعدها أنس طاشكندي(٥) تتناول بالتفصيل استعراض البرامج العلمية في أقسام المكتبات والمعلومات بكل من جامعة الملك عبد العزيز بجده وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. ولطبيعة هذا البحث في تناوله للقوى البشرية العاملة في المكتبات، فإننا سنتناول ما يختص بالخريجين من أقسام المكتبات والمعلومات وعلى مستوى الدراسة الجامعية في كل من جامعة الملك عبد العزيز وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك باعتبار أن أرقام الخريجين تعد مؤشرات نستدل منها على حجم ما يمكن أن تنتجه تلك المعاهد من القوى البشرية المهنية التي يمكن أن تعمل في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية.

فمنذ إنشاء قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز بجده عام ١٣٩٣/١٣٩٤ هـ وحتى نهاية عام ١٤٠٤ هـ تم تخريج ثمان دفعات سنوية على مدى فصلين من كل عام من الخريجين والخريجات الحاصلين والحاصلات على درجة البكالوريوس في علوم المكتبات والمعلومات حيث بلغ مجموعهم ١٩٠ خريجا وخريجة منهم ٩٧ خريجا، ٩٣ خريجة، يوضح الجدول التالي تفاصيل سنوات تخرجهم منذ عام ١٣٩٦/١٣٩٧هـ(٦).

السنة	الخريجين	الخريجات	الإجمالي
٩٦ / ٩٧	١٧	١١	٢٨
٩٧ / ٩٨	١٠	١	١١
٩٨ / ٩٩	٤	٣	٧
٩٩ / ١٤٠٠	٣	٨	١١
١٤٠٠/١٤٠١	٩	٥	١٤
١٤٠١/١٤٠٢	١٦	١٢	٢٨
١٤٠٢/١٤٠٣	١٢	٢٣	٣٥
١٤٠٣/١٤٠٤	٢٦	٣٠	٥٦
المجموع	٩٧	٩٣	١٩٠

وبالنسبة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض فقد تم إنشاء قسم المكتبات إعتبارا من العام الدراسي ١٣٩٤/١٣٩٥ هـ وتم تخريج الدفعة الأولى في العام الدراسي ٩٧/٩٨هـ حيث استمر نمو الخريجين في السنوات التالية على النحو الذي يوضحه الجدول التالي(٧) :

السنة	الخريجون
١٣٩٧/١٣٩٨	١٩
١٣٩٨/١٣٩٩	٩
١٣٩٩/١٤٠٠	١٥
١٤٠٠/١٤٠١	١٧
١٤٠١/١٤٠٢	١٦
١٤٠٢/١٤٠٣	١٦
١٤٠٣/١٤٠٤	١٥
١٤٠٤/١٤٠٥	١٥
المجموع	١٢٢

فقد بلغ مجموع الخريجين حتى الفصل الدراسي الحالي من هذا العام ١٤٠٥/١٤٠٦ هـ ١٢٢ خريجا معظمهم من غير السعوديين. ونظرا لتأخر الجامعة في قبول الطالبات في برنامج الدراسة الجامعية في المكتبات، فلم تتخرج أي دفعة منهن حتى الآن.

وخلاصة القول أن مجموع الخريجين من المتدربين أثناء الخدمة والفنيين والمهنيين من خلال القنوات التي أتاحها معاهد التدريب والتأهيل ممثلة في مجموع البرامج التي أنجزها معهد الإدارة العامة

والدورات التي قدمتها جامعة الملك عبد العزيز، والبرامج الدراسية الجامعية التي تقدمها كل من جامعة الملك عبد العزيز بجدة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض قد بلغ في نهاية عام ١٤٠٤ هجرية ٧٦٦ خريجا يمكن توزيعهم حسب الجدول التالي:

الفئـــــة	البرنامج	عدد الخريجين
المهنيون من الحاصلين على الدرجة الجامعية	بكالوريوس جامعة الملك عبد العزيز	١٩٠
	بكالوريوس جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	١٢٢
الفنيون من المتخرجين في البرامج التدريبية العامة بمعهد الإدارة العامة	برنامج أمناء المكتبات	١٢٨
	برنامج موظفي المكتبات	٨٠
الفنيون من المتخرجين في البرامج الخاصة	برنامج التدريب الثاني للمكتبات	١٩٣
الفنيون من المتخرجين في دورات جامعة الملك عبد العزيز بجـــدة	دورات المكتبـــات	٥٣
المجمـــوع		٧٦٦

ويلاحظ أن أعداد القوى البشرية من الخريجات قد انحصرت في مجموع الخريجات من قسم المكتبات والمعلومات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وعددهن ٩٣ خريجة إضافة إلى الأعداد التي يمكن أن تتخرج قريبا من برنامج دراسات المكتبات التابع لمعهد الإدارة العامة حيث تلتحق فيه حاليا ٧٢ فتاة سعودية مما يمكن أن يحل نقصا كبيرا في عدد العاملات في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية من السعوديات مستقبلا.

ثانيا : واقع القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية .

تشير البيانات الرسمية التي تلقاها الباحث من الديوان العام للخدمة المدنية(١٨) إلى أن مجموع العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية من الفنيين والمهنيين قد بلغ حتى بداية شهر محرم من عام ١٤٠٦ هجرية ١٨٣٥ فنيا ومهنيا، منهم ١٢٨٢ سعوديا عينوا على مراتب وظيفية تبدأ من المرتبة الثانية وتنتهي عند المرتبة الخامسة عشرة حسب كادر الخدمة المدنية، ٥٥٣ من المتعاقدين عينوا على مراتب وظيفية تبدأ من المرتبة الثانية حتى المرتبة العاشرة حسب كادر الخدمة المدنية، وعينت نسبة منهم على بند الأجور .

وقد تم تعيينهم حسب نظام تصنيف الوظائف على مجموعتين من الوظائف :

الأولى : وظائف المكتبات، ضمن المجموعة النوعية الخاصة بوظائف الشئون الثقافية المتنوعة .

الثانية : وظائف إدارة الحاسب الآلي، ضمن المجموعة النوعية لوظائف الحاسب الآلي .

ويعود السبب في هذا الفصل إلى أن نظام تصنيف الوظائف قد اعتمد عند تصنيفه لوظائف المكتبات على تمثيل الإطار التقليدي لوظائف المكتبات فاشتمل على المسميات التقليدية مثل:

مدير مكتبـة
أمين مكتبـة
أخصائي مكتبات
مفهـــرس
مدير إدارة مكتبات
مأمـــور
باحـــث

دون أن يضع في الإعتبار إطار المعلوماتية Informatics بمفهومها الحديث كما تضطلع بها مكتبات اليوم بوصفها مراكز لبث المعلومات عبر الوسائل التقليدية والآلية معا .

ومن هنا فقد جاءت معظم الوظائف المخصصة لمراكز المعلومات في إطار وظائف الحاسب الآلي مشتملة على مسميات مثل :

مسجل معلومات

مشغل أجهزة

مبرمـــج

محلل معلومات

مجهز معلومات

مبوب معلومات

أخصائي كمبيوتر

ويبلغ عدد وظائف المكتبات من مجموع الوظائف المخصصة للمكتبات ومراكز المعلومات ١١١٨ وظيفة يشغل السعوديون منها ٨٢٣ وظيفة بينا يشغل المتعاقدون ٢٩٥ وظيفة، تختلف في مسمياتها وتتراوح مراتبها الوظيفية بين المرتبة الثانية كحد أدنى والمرتبة الثانية عشرة كحد أعلى .

ويوضح الجدول التالي مجموع وظائف المكتبات التي يشغلها السعوديون حسب مسمى الوظيفة والمرتبة الوظيفية .

مسمى الوظيفة	رقم المرتبة											المجموع
	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	
مدير مكتبات	١		١	١	٥	١	٢	١	٢	١		١٦
أمين مكتبات				٢	٤	١				١		٨
أمين مكتبة		٣	٤٢	٩١	٢٧٦	٢٢٢	٥٣	٢١	٨		١	٧١٧
مساعد أمين مكتبة		١	١١	٥	١	٢						٢٠
أخصائي مكتبات						١		٦	٢			١٠
مراقب مكتبات			٢									٢
مناول مكتبة		٢	٢			١						١
الإجمالي	١	٧	٥٨	٩٩	٢٨٦	٢٢٨	٥٥	٢٨	١٤	٢	١	٨٢٣

كما يوضح الجدول التالي مجموع وظائف المكتبات التي يشغلها المتعاقدون حسب مسمى الوظيفة والمرتبة الوظيفية:

مسمى الوظيفة	رقم المرتبة										المجموع
	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	على البند	
أمين مكتبة		٣	٧	٤٧	٧٠	٣٦	١٢	١		٣٥	٢٢١
مساعد أمين مكتبة			٦	٧	١		١			١٥	١٥
مناول مكتبة			١								١
أمين مكتبات			١	٢	١	٣				٤	١١
أخصائي مكتبات				٢	٧	١١	١٠	٣		٤	٣٧
الإجمالي		٣	١٥	٥٨	٧٩	٥٠	٢٣	٤		٤٣	٢٩٥

وكما يبلغ عدد وظائف المعلومات من مجموع الوظائف المخصصة للمكتبات ومراكز المعلومات ٧١٧ وظيفة يشغل السعوديون منها ٤٥٩ وظيفة بينا يشغل المتعاقدون ٢٥٨ وظيفة تختلف في مسمياتها وتتراوح مراتبها الوظيفية بين المرتبة الثانية كحد أدنى والمرتبة الخامسة عشرة كحد أعلى. ويوضح الجدول التالي مجموع وظائف المعلومات التي يشغلها السعوديون حسب مسمى الوظيفة والمرتبة الوظيفية:

مسمى الوظيفة	رقم المرتبة														المجموع
	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	
مدير مركز معلومات							١			١	١			١	٤
مدير عام بمركز المعلومات												١			١
مدير عام المركز الوطني للحاسب الآلي												١			١
مدير ادارة الشبكة الآلي							١		١		١				٣
مدير ادارة النظم والبرامج									١						١
مدير ادارة المعلومات							١		١						٢
مدير ادارة الكمبيوتر									١						١
رئيس قسم تجهيز المعلومات									١						١
خبير محللين									١		١				٢
محلل	١		١				٤٦	١١	١	٤	٢				٦٧
محلل أنظمة					١	٢٦	٨	٦	٤						٤٥
محلل معلومات الشبكة						٥٥	٨	٦							٦٩
خبير مبرمجين									٢						٢
مبرمج						٤٥	١٥	١٢	١						٧٣
مساعد مبرمج معلومات				١١	٣٣	١		١							٥٠
أخصائي برمجة								١	٢						٣
محلل كمبيوتر	٢		٢	١٨	١٨	١٣	١								٥٤
مبوب معلومات			١			١									٢
مجهز معلومات					١										١
مثقب بطاقات	١	٣	٣	٣	٤	١									١٥
مدير عام بمركز الحاسب الآلي											١				١
الإجمالي	٤	٣	٩	٧٣	٩١	٢٧١	٨١	٢٨	١٧	٥١	٦	٢		١	٤٥٩

كما يوضح الجدول التالي مجموع وظائف المعلومات التي يشغلها المتعاقدون حسب مسمى الوظيفة والمرتبة الوظيفية:

مسمى الوظيفة	رقم المرتبة ٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	على البند	المجموع
مدير إدارة معلومات										١	١
خبير مكتبات										٢	٢
محلل نظم معلومات الشؤون المالية						٩	٣	٢		٢	١٦
محلل أساليب الكمبيوتر						١					١
محلل أساليب					٥	٢	١٣	٢	٢	١	٢٥
محلل						٥	١٠	٢		٩	٢٦
أخصائي برمجة							١				١
مبرمج				١٠	١٠	٢٩	٧	٥		٧	٦٨
مساعد أخصائي معلومات				٧	٩			١			١٧
أخصائي كمبيوتر								١			١
مهندس كمبيوتر									٢		٢
مشغل كمبيوتر		١	٨	٢٠	٦	١					٣٦
مشغل الوحدات الطرفية كمبيوتر				١							١
مبوب معلومات					١	١				٢	٤
كاتب مشترك			١	٢							٣
كاتب بالمكتبة	١	٤	٩	١٤						١٩	٤٧
الإجمالي	١	٥	١٨	٥٤	٣١	٤٩	٣٤	١٣	٤	٤٣	٢٥٨

ويمثل السعوديون أعلى نسبة من مجموع القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات السعودية حيث بلغ مجموعهم ١٢٨٢ موظفا، بينا بلغ حجم القوى البشرية الأجنبية ٥٥٣ موظفا يمكن توزيعهم كالتالي :

الجنسية	العدد
٠١- جمهورية مصر العربية	٣٠٨
٠٢- باكستان	٨٥
٠٣- الأردن	٢٤
٠٤- السودان	٢٣
٠٥- فلسطين	٢٢
٠٦- الهند	١٩
٠٧- الولايات المتحدة الأمريكية	١٦
٠٨- المملكة المتحدة	١٤
٠٩- الفلبين	١٣
١٠- سوريا	٨
١١- كندا	٦
١٢- لبنان	٥
١٣- بنجلاديش	٣
١٤- اليمن الشمالي	٢
١٥- العراق	١
١٦- الجمهورية التونسية	١
١٧- أثيوبيا	١
١٨- فرنسا	١
١٩- قبرص	١
المجموع	٥٥٣

ومن الجدير أن نلاحظ بأن أعلى نسبة من القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات هي التي تشغل المراتب الوظيفية العليا إبتداء من المرتبة السادسة حتى المرتبة الخامسة عشرة حيث بلغ مجموعهم ١٤٤٩ موظف، بينا يشغل ٣٨٦ موظفا عددا من المراتب الدنيا ابتداء من المرتبة الثانية حتى المرتبة الخامسة من كادر الخدمة المدنية .

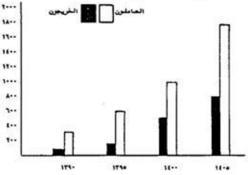
ثالثا : المؤشرات الراهنة لحركة نمو القوى البشرية في المكتبات ومراكز المعلومات.

ونتجاوز الوصف بالتحليل حين نقرر أن المقارنة بين العنصر الأول من هذه الدراسة وهو ما يتعلق بقنوات التأهيل المهني والفني للعاملين بما احتوت من تفاصيل عددية حول الخريجين، والعنصر الثاني وهو ما يتعلق بوصف واقع القوى البشرية الحالية والتي تعمل في مختلف الوزارات والمصالح الحكومية، تبرز العديد من التساؤلات وتنبه إلى مؤشرات واستفسارات نوعية ربما يصعب تجاوزها في هذه المرحلة، وذلك لما لها من أهمية بالغة وتأثير كبير على مستقبل القوى البشرية في حقول المكتبات ومراكز المعلومات في المملكة العربية السعودية. وتتمثل أهم تلك المؤشرات فيما يلي :

١. المواكبة العددية لاحتياجات القوى البشرية:

نستدل من الإرقام الواردة في قسمي هذه الدراسة على أن

المؤسسات التدريبية ممثلة في جهود معهد الإدارة العامة بفروعه المختلفة، والمؤسسات الجامعية ممثلة في جهود أقسام المكتبات والمعلومات في كل من جامعة الملك عبد العزيز وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تسعى جاهدة إلى إمداد المكتبات ومراكز المعلومات بالطاقات البشرية من مختلف فئاتها المهنية Professionals والفنية Technicians والكتابية العاملة Clerks. إذ بينا كان المجموع التقريبي للقوى البشرية العاملة في المكتبات عام ١٣٩٠ هـ حوالى ٣٠٠ عامل فقد تخرجت الدفعة الأولى من المتدربين من البرنامج التدريبي العام للمكتبات من معهد الإدارة العامة حيث بلغ مجموعهم ٢٨ متخرجا. وفي العام ١٣٩٥هـ زاد المجموع التقريبي للعاملين في المكتبات إلى حوالي ٦٠٠ عامل، فبلغ مجموع الخريجين من البرامج التدريبية العامة والخاصة في معهد الإدارة العامة حوالى ١٩ متخرجا. وفي العام ١٤٠٠ هـ اقترب مجموع العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات من ١٠٠٠ عامل، فبلغ مجموع الخريجين من برامج التدريب العامة والخاصة من الفنيين وأقسام علوم المكتبات والمعلومات من الجامعات حوالى ٤٧٥ خريجا من الفنيين والمهنيين. أما في العام ١٤٠٥هـ فقد بلغ مجموع العاملين من الفنيين والمهنيين في المكتبات ومراكز المعلومات حوالى ١٨٣٥ عاملا من الفنيين والمهنيين، وبلغ عدد الخريجين من البرامج التدريبية العامة والخاصة ومن أقسام علوم المكتبات والمعلومات في الجامعات السعودية حوالى ٧٦٦ خريجا. ويوضح الرسم البياني التالي تطور القوى البشرية العاملة بالمقارنة مع التطور العددي لخريجي برامج التأهيل والإعداد الفني والمهني خلال الأعوام ١٣٩٠ هـ إلى ١٤٠٥ هـ:



ولعل هذه المقارنة بين أعداد العاملين وأعداد الخريجين تعطى من المؤشرات ما نستدل به على مواكبة التدريب والتأهيل والإعداد إضطرادا مع نمو الحاجات الفعلية على مستوى الممارسة. ويجدر بنا أن نشير هنا إلى أن الإخفاق الوحيد في مواكبة الحاجة كان ملموسا في تقصير الجهات المسؤولة عن برامج التأهيل والإعداد في استقطاب العناصر النسوية وتأهيلها للقيام بواجبات أساسية تجاه الحركة المكتبية وخاصة في مجالات تعليم البنات أو التعليم الجامعي أو تربية النشء. إذ اقتصر إعداد الفتيات في هذا الحقل حتى عام ١٤٠٣ على جهود قسم المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة حيث بلغ عدد الخريجات عام ١٣٩٧ هجرية ١١ خريجة، وبلغ مجموع الخريجات حتى عام ١٤٠٠ هـ ٢٣ خريجة، كما بلغ مجموعهن حتى عام ١٤٠٤هـ ٩٣ خريجة. ويعد هذا الرقم ضئيل أمام مجموع القوى البشرية الحالية التي تجاوزت ١٨٣٥ عامل. على أن الأمل كبير في أن تؤدي خطوة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في قبول أعداد كبيرة من الطالبات، وبرنامج دراسات المكتبات التابع لمعهد الإدارة العامة والذي استقطب ٧٢ طالبة، إلى سد العجز وتضييق الفجوة بين فئات الخريجين مما يؤدي تدريجيا إلى إيجاد الموازنة المطلوبة بين التأهيل والحاجة العملية على مستوى الممارسة .

٢. الأبعاد النوعية لبرامج الاعداد والتأهيل الفني والمهني.

يخلص الباحث أنس طاشكندي (٩) في نتائج رسالته عن التأهيل المهني في مجال المكتبات للتنبيه إلى مؤشرات ترتبط بالأبعاد النوعية لبرامج الإعداد والتأهيل الفني والمهني للعاملين في المكتبات ومراكز المعلومات، حيث تناول فيما يتعلق ببرامج التدريب الفني التي ينفذها معهد الإدارة العامة إلى ضرورة العناية منها :

أ. التخطيط للبرامج النوعية التي تستهدف تلبية الحاجات الفعلية للوزارات والمصالح الحكومية من الكوادر الفنية ذات الكفاية الفنية المتميزة والعالية.

ب التعاون والتنسيق مع أقسام المكتبات والمعلومات بغرض الإستفادة من أعضاء الهيئات التدريبية في تخطيط وتنفيذ الدورات التي يضطلع بها معهد الإدارة العامة.

جـ . التركيز على تقديم برامج تدريب أساسية تستهدف إعداد الفنيين من مساعدي أمناء المكتبات بحيث يشترط حصولهم على الثانوية العامة كشرط للالتحاق (وهو ما أخذ به معهد الادارة العامة فيما بعد في إطار برنامج دراسات المكتبات).

د. العناية بتقديم برامج نوعية لتنشيط الذاكرة وتحديث المعلومات لمن هم على رأس العمل وخاصة في ميادين الأعمال الفنية كبديل للبرامج التقليدية المتمثلة في البرامج التدريبية العامة.

أما فيما يتعلق بالبرامج الدراسية الجامعية التي تهدف إلى تخريج المهنيين والتي تضطلع بها أقسام المكتبات والمعلومات في كل من جامعة الملك عبد العزيز وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، فقد أوصت الدراسة بضرورة :

أ . إعادة النظر في ارتباط أقسام المكتبات والمعلومات بكليات الآداب والعلوم الإنسانية كما هو الحال في جامعة الملك عبد العزيز، والعلوم الإجتماعية وكما هو الحال في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وذلك للآثار التي يخلفها هذا الإرتباط على مستوى المناهج الدراسية ونوعية الملتحقين. فأوصى الباحث بشكل غير مباشر إلى قيام معاهد متكاملة Full Fledged Institutions ذات أهداف واضحة ودقيقة تستهدف تخريج الكوادر النوعية التي تتناسب والحاجات الفعلية في المكتبات ومراكز المعلومات .

ب . تعديل البرامج الدراسية عن وجهتها التي تلتزم خطا تقليديا لا يعبر عن الإتجاهات الحديثة في مجالات المعلومات بوسائله الآلية التقنية. إذ لاحظ الباحث تلك الوجهة التقليدية في المفردات الدراسية وأوصى بتعديلها تعديلا جذريا يتفق مع حاجات العصر ومتطلبات المكتبات ومراكز المعلومات .

جـ . إعادة النظر في هيكل المقررات الدراسية التخصصية والمساندة بحيث تتوفر المعادلة ويستقر التوازن بين الحاجة إلى المواد التخصصية في ميادين المكتبات والمعلومات من ناحية والحاجة إلى المواد المساندة في العلوم الأخرى ذات العلاقة بالتخصص من ناحية أخرى.

د. توجيه الإهتمام نحو الإعتبارات النوعية وخاصة فيما يتعلق:

١. بتطوير المناهج والعناية بطرق التدريس.

٢. بتوفير أعضاء هيئة التدريس عددا وكفاية.

٣. باستكمال الإمكانات المادية والفنية والبشرية كالمعامل والوسائل التعليمية وغيرها من التجهيزات الضرورية.

٤. بالإهتمام بطرق التدريس .

وإذا أخذنا في الإعتبار أن تلك النتائج والتوصيات قد جسدت واقعا استمر حتى عام ١٤٠٢ هجرية وهو تاريخ إنجاز الدراسة، فإن الأرقام التي جاءت في القسم الأول من هذا البحث والمتمثلة في إعداد الخريجين من برامج التدريب وأقسام المكتبات والمعلومات تعد محصلة لتلك الفترة دون شك. وبالتالي فإن مستوى الخريجين المهنيين من الحاصلين على درجة البكالوريوس في علوم المكتبات والمعلومات يمكن أن يعد محصلة لمستوى البرامج القائمة آنذاك حيث اقتصرت فرص الإعداد لتأهيل الدارسين على نوعية تقليدية من البرامج وعلى حد أدنى من الوسائل والامكانات المادية والبشرية والفنية وافتقرت المناهج إلى مقررات ومفردات في ميادين المعلومات والتقنية تجسد حقيقة المتطلبات الوطنية نحو قيام مراكز معلومات متطورة تعكس

مختلف أشكال التنمية في البلاد. كما أن برامج التدريب العامة والخاصة التي نفذها معهد الإدارة قد اقتصرت على الدورات القصيرة التي تهدف إلى تعريف العاملين بمعلومات أولية وعامة عن المكتبات والنشاطات المكتبية دون تركيز على الجوانب الفنية التطبيقية. إلا أن برنامج دراسات المكتبات الذي يهدف إلى تخريج الكوادر الفنية يمكن أن يعد بداية متميزة يضطلع بها معهد الإدارة العامة شريطة مراجعة برامجه ومفرداتها دوريا مع توفير الامكانات البشرية والمادية والفنية للإرتقاء بتنفيذه على نحو معياري. ولعل أخطر ما يمكن أن يتعرض له هذا البرنامج مستقبلا هو طغيان المحتوى النظري نتيجة للإعتماد على الفصول الدراسية والمحاضرات وكثرة المواد المقروءة وإهمال الجانب التطبيقي الذي يعتمد على رؤية الظاهرة ومقارنتها بالمحتوى النظري والتدريب المكثف على ممارسة الأداء توطئة لاكتساب التأهيل عن طريق الأسس النظرية وممارسة تطبيقاتها العملية.. كما أن من الجدير في هذا الصدد أن نلفت انتباه الجهات التي تخطط حاليا لأنشاء دراسات وبرامج في ميادين المكتبات والمعلومات في الجامعات السعودية إلى أهمية الأخذ بالإعتبارات النوعية تمكينا لاستثمار طاقات البلاد البشرية على نحو متكامل، وترشيد برامج إعدادها بما يتفق مع طبيعة المتطلبات المهنية والفنية من ناحية وحاجة الدولة ومؤسساتها من ناحية أخرى .

٣. تصنيف القوى البشرية والمنظور المهني.

يعد العاملون في المكتبات في هذه البلاد من شاغلي الوظائف العامة منذ عهد بعيد، فقد تزامنت خدماتهم في إطار الوظائف العامة منذ صدور التعليمات الأساسية للمملكة في ٢١ صفر عام ١٣٤٥ هجرية (١٠) عند تأسيس المملكة العربية السعودية وصدور نظام المأمورين العام لسنة ١٣٥٠ هـ.(١١)

وعملت هذه الفئة أيضا في إطار نصوص التصنيف الواردة في:

١. نظام الموظفين العام لسنة ١٣٦٤ هجرية.
٢. نظام الموظفين العام لسنة ١٣٧٧ هجرية.
٣. نظام الموظفين العام لسنة ١٣٩١ هجرية.
٤. نظام الخدمة المدنية لسنة ١٣٩٧ هجرية.

وحتى صدور نظام الموظفين العام لسنة ١٣٩١ هجرية حيث نصت المادة الثانية من الباب الأول فيه على أن :

«تصنيف الوظائف بتجميعها في فئات تتضمن كل فئة منها الوظائف المتماثلة من حيث طبيعة العمل ومستوى الواجبات والمسؤوليات والمؤهلات المطلوبة لشغلها وتوصف الفئات طبقا للقواعد الواردة في المادة الثالثة ويجوز أن يجري تصنيف الوظائف تدريجيا وذلك وفق قواعد تعتمد بقرار من مجلس الوزراء».(١٢)

فلم تتوفر خطة عامة لتصنيف الوظائف العامة بفئاتها المتعددة. وتنفيذا لتلك المادة فقد صدرت اللوائح التنفيذية الخاصة بالموظفين حيث تم تصنيفهم إلى المجموعات التالية:

١. المجموعة العامة للوظائف التخصصية
٢. المجموعة العامة للوظائف التعليمية.
٣. المجموعة العامة للوظائف الدبلوماسية.
٤. المجموعة العامة للوظائف الكتابية والإدارية والمالية.
٥. المجموعة العامة للوظائف الفنية المساعدة
٦. المجموعة العامة للوظائف الحرفية.

وتضمنت كل مجموعة عامة عددا من المجموعات النوعية، فصنف العاملون في المكتبات في إطار هذه الخطة ضمن المجموعة النوعية لوظائف الخدمات الكتابية والمكتبية، والتي ترتبط بالمجموعة العامة للوظائف الادارية والكتابية والمالية.

واعتبارا من ١٣٩٩/٨/١٦ هـ طرأ تعديل على المجموعات العامة لتصبح عشر مجموعات بدلا من ست، ودخلت وظائف العاملين في المكتبات بموجب ذلك التعديل في إطار المجموعة النوعية لوظائف الشئون الثقافية ضمن المجموعة العامة للوظائف الثقافية والإجتماعية .

وبموجب قرار مجلس الخدمة المدنية برقم ٤٤٠ وتاريخ ١٤٠١/٤/٢٠ هجرية صدرت خطة تصنيف الوظائف التي ضمت عشر مجموعات رئيسة تنقسم إلى مجموعات نوعية وفئات، وهي تشمل في مجموعاتها العامة:

١. الوظائف العلمية والتخصصية
٢. الوظائف التعليمية
٣. الوظائف الدبلوماسية
٤. الوظائف الإدارية والمالية
٥. الوظائف الإدارية المعاونة
٦. وظائف العمليات
٧. الوظائف الثقافية والإجتماعية
٨. الوظائف الدينية
٩. الوظائف الفنية المساعدة
١٠. الوظائف الحرفية

ووضعت وظائف العاملين في المكتبات في إطار المجموعة النوعية لوظائف الشئون الثقافية المتنوعة (ضمن المجموعة العامة السابعة) تحت الفئة المسماة بمجموعة فئات وظائف المكتبات والتي ورد تعريفها كالتالي :

«تشمل هذه المجموعة الوظائف التي تتعلق بترتيب الكتب والمطبوعات والوثائق والأشرطة والتسجيلات المختلفة وتصنيفها وفهرستها بالطرق العلمية المتبعة حتى يسهل الرجوع إليها بيسر وسهولة والإشراف على هذه الأعمال وما يتبع ذلك من أعمال أخرى ذات علاقة».(١٣)

وتراوحت شروط الإلتحاق في وظائف المكتبات بين الشهادة المتوسطة كحد أدنى مع خبرة مدتها ثلاث سنوات للتعيين على المرتبة الثالثة، والشهادة الثانوية للتعيين على المرتبة الرابعة، والشهادة الجامعية المطلقة في أي تخصص من غير المكتبات للتعيين على المرتبة السادسة، والشهادة الجامعية في المكتبات للتعيين على المرتبة السابعة، أو الجامعية المطلقة مع خبرة لا تقل عن ستة شهور للتعيين على المرتبة السابعة.

أما نوعية الخبرة المطلوبة فقد اشترطت الخطة بالنسبة للتعيين في المرتبتين الثالثة والرابعة أي خبرة عامة مناسبة. وفي المراتب الخامسة فما فوق تطلبت خبرة في نطاق المكتبات أو تدريباً فيها.

واشتملت الخطة على تسعة مسميات تخصصية في المكتبات كالتالي:

١. مأمور
٢. مفهرس
٣. أمين
٤. باحث
٥. مدير شعبة
٦. مدير مكتبة
٧. مدير إدارة
٨. أخصائي
٩. مدير إدارة مكتبات

وتراوحت مراتبها الوظيفية وشروط الإلتحاق بها بين الخبرة والمؤهل العلمي على نحو ما يوضحه الجدول التالي:

مسمى الفئة	المرتبة	عدد سنوات الخبرة المطلوبة مع .. المتوسطة	الثانوية	جامعية مطلقة	[illegible]	الماجستير	الدكتوراه	[illegible]
مأمور	٣	٣						
مفهرس	٣	٣						
مأمور	٤	٦						
مفهرس	٤	٦						
أمين	٥	٩	٣					
مفهرس	٥	٩	٣					
أمين	٦	١٢	٦					
مفهرس	٦	١٢	٦					
باحث	٦	١٢	٦					
أمين	٧	١٤	٨	٢				
مفهرس	٧	١٤	٨	٢				
باحث	٧	١٤	٨	٢				
أمين	٨	١٦	١٠	٤	٢			
مدير إدارة	٩	١٨	١٢	٦	٤	٢		
أخصائي	٩	١٨	١٢	٦	٤	٢		
مدير مكتبة	٩	١٨	١٢	٦	٤	٢		
أمين	١٠	٢٠	١٤	٨	٦	٤	٢	
أخصائي	١٠	٢٠	١٤	٨	٦	٤	٢	
مدير إدارة مكتبات	١٠	٢٠	١٤	٨	٦	٤	٢	
مدير إدارة مكتبات	١١							
مدير إدارة مكتبات	١٢							

(المصدر : الديوان العام للخدمة المدنية. دليل تصنيف الوظائف. الرياض، ١٤٠٢، ص٨).

وعلى الرغم من أن هذه الخطة قد اختلفت عن سابقتها التي صدرت في إطار نظام الموظفين العام لسنة ١٣٩١ هـ والتي أعدت في دليل تصنيف الوظائف الذي أصدره ديوان الموظفين العام سنة ١٣٩٤ هـ من حيث اشتمالها على عدد أقل من المسميات التصنيفية، إلا أننا نبدي بشأنها الملاحظات التالية:

أ. لا تعطى الخطة إعتبارات كافية لمتطلبات التأهيل العلمي لممارسة الوظائف المهنية التخصصية في حقل المكتبات بحيث أنها تُمَكِّنُ على سبيل المثال الحاصل على الشهادة المتوسطة بعد حصوله على خبرة عامة مدتها ثلاث سنوات من الإلتحاق بالمكتبة على وظيفة مفهرس، وهي التي تعد وظيفة مهنية تخصصية لا يمكن تجاوز متطلباتها العلمية الاساسية من الوجهة المهنية. وينسحب هذا المثال على عدد من مسميات وظائف المكتبات الأخرى بما فيها الوظائف المهنية القيادية.

ب. لا تراعى الخطة الإعتبارات المهنية في مسميات الفئات بحيث يظهر الخلط واضحاً بين المسمى المهني والمسمى الوظيفي، نذكر على سبيل المثال مسمى أمين والذي يقابله في اللغة الانجليزية مصطلح Librarian والذي يعد مهنيا يشترط للحصول عليه توفر حد أدنى من التأهيل العلمي المتخصص. فقد ورد هذا المسمى المهني في إطار المسميات الوظيفية الأخرى مثل مدير شعبة، مدير مكتبه، مفهرس، باحث، مأمور، مدير إدارة. فمن وجهة النظر المهنية فإن الجميع يعدون أمناء مكتبات، إلا أنهم يؤدون وظائف مختلفة كالفهرسة والتصنيف والتكشيف والتوثيق والإستخلاص، وما شابه ذلك.

جـ. تسند الخطة من حيث المسميات بعضَ المسؤوليات التخصصية الهامة إلى غير المتخصصين حين تتيح على سبيل المثال تعيين من هو حاصل على المتوسطة مع خبرة عامة مدتها ١٢ عاما أو الثانية مع خبرة عامة مدتها ست سنوات أو الحاصل على الشهادة الجامعية المطلقة في غير التخصص على وظيفة باحث مكتبات، الأمر الذي يقلل من أهمية الوظيفة ويضعف من الخطة بصفة عامة.

د. تنظر الخطة إلى المكتبات نظرة تقليدية تتجاهل فيها مجموع العناصر المتداخلة في تكوين العاملين في المكتبات من الفنيين والمهنيين حيث أهملت جوانب تتعلق بكوادر المعلومات والتوثيق ونظم الإسترجاع الآلي والتكشيف العلمي وما إلى ذلك.

هـ. وحتى في حالة قبولنا لمجموعة المسميات الوظيفية الواردة في الخطة، فإنها لا تعبر عن مجموع الوظائف التي تؤديها المكتبات حتى في إطارها التقليدي بشكل كامل. فاذا سلمنا بأن الوظائف الرئيسة للمكتبات هي تجميع المعرفة، وتنظيمها، واستثارها عن طريق الخدمات المكتبية وبث المعلومات، فإن المسميات التي تضمها الخطة لا تعبر عن مجموع تلك الوظائف بقدر ما تركز على وظيفة واحدة منها ترتبط بالتنظيم.

و. تمنح الخطة مسميات مهنية لغير المهنيين إذ تجيز التعيين على مسمى أمين مكتبة بالمرتبة الخامسة لمن هم من غير المهنيين من الحاصلين على درجة جامعية في التخصص. وكأنها بهذاتجيز قياسا وتمثيلا التعين على وظيفة مهندس أو طبيب أو جيولوجي لمن هم دون الكفاية العلمية والمهنية.

ز. نلاحظ بمقارنة المسميات الواردة بخطة التصنيف والمسميات الفعلية في سجلات ديوان الخدمة المدنية وجود بعض الإختلافات الطفيفة واستخدام مسميات لا تعتمدها الخطة كمراقب مكتبات ومناول مكتبة. ولعل مما يدعو للدهشة توفر وظيفة مسماها مناول

مكتبه على المرتبة السابعة، ووظيفة مدير مكتبات على المرتبة الثانية.

يتضح من تلك الملاحظات أن خطة التصنيف تتجاوز المتطلبات والإعتبارات الفنية والمهنية للفئة المهنية من العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات باتاحتها للحاصلين على الشهادة المتوسطة والثانوية والجامعية المطلقة فرص الإلتحاق بالمكتبات ومراكز المعلومات على مسميات مهنية، مع إتاحتها لتقدمهم إلى المراكز المهنية القيادية بخبرات عامة. إذ تجيز للحاصل على الشهادة المتوسطة بخبرة عامة مدتها عشرون سنة التعين على وظيفة أخصائي مكتبات أو أي وظيفة قيادية مهنية في هذا الحقل دون قيود تأهيلية.

وإذا حاولنا أن نقارن فئة وظائف المكتبات بفئة وظائف الآثار والمتاحف والمعارض، فاننا نجد أن خطة التصنيف قد راعت عند وضع مسميات فئة الآثار والمتاحف الإعتبارات الفنية والمهنية فاشترطت المؤهل العلمي في الآثار أو التاريخ أو الجغرافيا كحد أدنى للتعيين، كما رُغِّبَ أن تكون الخبرة في طبيعة العمل، وهو الأمر الذي لم تتمكن الخطة من إنجازه في تصنيف فئة المكتبات.

ولعل أفضل وضع لتجاوز مشاكل تصنيف العاملين في المكتبات ومراكز المعلومات هو التفريق بين فئات ثلاث تشكل في مجموعها القوى البشرية العاملة في المكتبات ومراكز المعلومات وهم:

الكتبة والعمال Clerks

الفنيون Technicians

المهنيون Professionals

بحيث يتم تعريف الأعمال المنوطة بكل فئة بشكل مقنن، ثم تصنف المسميات الوظيفية الفرعية الخاصة بها، ويعين الحد الأدنى والأعلى للمراتب الوظيفية لكل فئة فرعية، مع تعريف نوعية الخبرة المطلوبة للتقدم الوظيفي. على أننا ونحن نختتم هذه الدراسة نؤكد على أن المملكة العربية السعودية قد قطعت شوطا كبيرا في الإهتمام بالمكتبات ومراكز المعلومات وتبوأت مكانتها في هذا الميدان عن طريق عنايتها بالكوادر البشرية وتأهيلهم واثراء تجاربهم الميدانية في المراكز التي تتفتح على أرضها الطيبة.

مراجـع البحـث

١. علي ابراهيم النملة. العجز في القوى العاملة وتأثيره على خدمة المكتبات. **عالم الكتب مج ٥، العدد ٣ (محرم ١٤٠٥) ص ص ٤٨٣ — ٤٩٢.**

٢. **الديوان العام للخدمة المدنية. دليل تصنيف الوظائف.** الرياض، ١٤٠٢.

٣. معهد الادارة العامة، ادارة البرامج الاعدادية. **دليل برنامج دراسات المكتبات،** ١٤٠٤. ص١.

٤. نفس المرجع السابق، ص ١ــ٤٠.

٥. أنس صالح طاشكندي. **التأهيل المهني في مجال المكتبات بالمملكة العربية السعودية: دراسة مسحية.** جامعة الملك عبد العزيز (رسالة ماجستير) ١٤٠٤ .

٦. جامعة الملك عبد العزيز، عمادة القبول والتسجيل. **دليل الخريجين الاحصائي.** جده، ١٤٠٥ .

٧. حسب البيانات الرسمية التي تلقاها الباحث من رئيس قسم المكتبات **بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ ٥ محرم ١٤٠٦ هجرية.**

٨. **حسب البيانات الرسمية التي تلقاها الباحث من نائب رئيس الديوان العام للخدمة المدنية للشئون التنفيذية بمذكرته الرسمية برقم ٦١٨/٢٨ وتاريخ ٨ محرم ١٤٠٦ هجرية.**

٩. أنس صالح طاشكندي، المرجع السابق. ص ص ١٩٤ــ٢٠٣.

١٠. عبدالله شلبي. **نظام تصنيف الوظائف في المملكة العربية السعودية.** الرياض، معهد الادارة العامة، ١٤٠٢. ص١٢.

١١. نفس المرجع السابق. ص ١٦.

١٢. نفس المرجع السابق. ص ٦٣.

١٣. الديوان العام للخدمة المدنية. **دليل تصنيف الوظائف.** ص٨.

تكشيف الصحف والمجلات في الأرشيف الجاري

عبد التواب شرف الدين
قسم التاريخ والمكتبات
جامعة قطر ــ الدوحة

ما المقصود بالمصطلح كشاف (Index) والمصطلح تكشيف (Indexing)[١] وما أهمية هذا النشاط التوثيقي، وأنواع الكشافات، والأدوات والتجهيزات اللازمة لهذا النشاط وما معايير تقويم الكشافات؟[٢].

وفي ضوء الاجابة على هذه التساؤلات، يمكننا معرفة متطلبات إعداد تكشيف للصحف والمجلات في الأرشيف الجاري، وكذلك تكوين ما يسمى بأرشيف القصاصات .

من المعروف جيدا أن أي أرشيف جار يحتوي بصفة مستمرة على الصحف والمجلات .

لهذا كان لابد من دراسة هذا الموضوع وتوضيح هذه الجوانب.

والكشاف احدى الوسائل المعينة «Finding Aids» أو الأدلة التي يحتاج إليها الأرشيف للوصول إلى محتويات المواد التي يقتنيها من الصحف والمجلات .

وعملية التكشيف هي الاجراءات والعمليات التي تتم لفحص وتحليل المواد المراد تكشيفها ثم إعداد رؤوس موضوعات لها.

ولا شك في أن الانفجار المعرفي وتضخم المطبوعات مع ما صحب ذلك من تعدد أشكال النشر وتعقد الارتباطات الموضوعية ، كل ذلك أدى إلى عدم قدرة الباحثين الأفراد على الاعتماد على أنفسهم في هذا الخضم الهائل من المعلومات المتزايد باستمرار، وكذلك عدم وفاء الطرق الحالية بالإجابة عن الاستفسارات العلمية للباحثين.

لهذا برزت الحاجة للكشافات، ولا يستطيع الباحث أن يراجع صحيفة أو دورية أو أكثر من ذلك منذ أول عدد صدر لها وإلا لمكث مدة طويلة من الزمن والجهد وربما لا يصل إلى ما يريد.

وأخذت المؤسسات العلمية ومراكز البحوث والتوثيق والمعلومات باعداد الكشافات المختلفة سواء كانت مصنفة أو هجائية بالمؤلف أو الموضوع أو الكشاف المترابط أي الذي يتم الربط فيه بين المصطلحات أثناء البحث، وكشاف كلمات النص أو كشاف الكلمات الدالة في السياق وكشاف الاستشهاد المرجعي[٣] Citation Index وهذا الأخير عبارة عن قائمة تشتمل على المقالات المستشهد بها Cited مرتبة وفقا لنظام معين حيث ترد كل مقالة مصحوبة بقائمة بالوثائق التي تستشهد بها.

وموضوعنا هو كشافات الدوريات والصحف التي تصل إلى الأرشيف الجاري، رغم أنه يتم كذلك تكشيف للكتب إلا أن ذلك موضوع آخر يمكن دراسته فيما بعد .

ولا شك في أن الصحف والدوريات تعتبر أساسية بالنسبة للبحث والباحثين فعن طريقها نصل إلى أهم المعلومات حداثة وعن طريق الدوريات كذلك يمكن لنا قياس الرأي العام والتعرف على الفكر المهني وخاصة الدوريات التي تعتبر لسان حال الجمعيات المهنية.

ويمكن أن يصدر كشاف لكل مجلة على حدة، أو كشاف لمجلتين أو أكثر .

ولقد سارت الكشافات والتكشيف مسارات طويلة ما بين النظم التقليدية اليدوية إلى النظم الآلية الالكترونية فمن النظم التقليدية نظام كتر(٤) وكايزر(٥) ورانجاناثان(٦) كوتس(٧)، والتكشيف المتسلسل(٨) (Chain indexing) والتكشيف المصنف(٩).

ومن النظم الآلية غير التقليدية، نظام تكشيف الكلمات، وفهارس النصوص، وكشافات الكلمات الدالة في السياق Key Word in Context (KWIC) والكشاف المقيد Controlled Indexing ، والتكشيف المترابط Coordinate Indexing ، والتكشيف المحافظ على السياق Presserved Context Indexing System وتكشيف الاستشهاد المرجعي.

ولا بد أن تمر عملية إعداد الكشافات باجراءات محددة فمن ذلك مثلا : معرفة احتياجات المستفيدين وتحديدها حتى يحقق الكشاف الهدف الذي خطط له، ثم وضع برنامج زمني وتحديد الموضوعات المطلوب انجازها في ذلك الزمن وبعد ذلك تطلب الوثائق وتجمع ثم تفحص وتحلل وتراجع مع ترتيبها في نفس الوقت تمهيدا لاتخاذ قرار بنشر الكشاف ، وقد يطبع الكشاف وقد يظل على بطاقات أو تكون على شريط ممغنط أو على ميكروفيلم، المهم يجب مراعاة الالتزام بتنفيذ الخطة المبرمجة زمنيا وموضوعيا لنجاح الكشافات المطلوبة .

وعملية إعداد الكشافات لا يمكن أن تتم بدون التعرف على الأدوات والتجهيزات اللازمة .

والتي من بينها وجود مواصفات Standards وقواعد يسترشد بها المكشف Indexer وقوائم رؤوس الموضوعات ومكانز التي تعنى قائمة بالواصفات Descriptars ومكانز مفردها مكنز أي باللغة الانجليزية Thesauras وكذلك من الأدوات اللازمة قوائم بالمصطلحات والاحالات المستخدمة فعلا في التكشيف وتسمى قوائم الاستناد: Autharity List .

ومن التجهيزات اللازمة لعمل الكشافات، ضرورة توافر المواد المراد تكشيفها وكذلك البطاقات اللازمة وغير ذلك من المراجع والآلات التي يحتاجها والأدوات المكتبية.

ومن الموضوعات الهامة بالنسبة لنجاح التكشيف والكشافات هو تقويمها(١٠) بين الفينة والفينة، ولقد نشرت في الفترة الأخيرة معايير Standards لتقويم الكشافات من حيث نطاقها الموضوعي وتغطيتها واستمرارية صدورها ومداخلها وغير ذلك من معايير بما يدخل في ذلك أيضا نظام الإحالات وكيفية استخدامها.

وعلى ضوء المدخل السابق يمكننا أن نحدد الموضوعات التالية لدراستها:

أولا : مراحل إعداد كشافات صحف ومجلات في أرشيف جار :

ثانيا : أرشيف القصاصات .

وفيما يتعلق بالموضوع **الأول** : **مراحل إعداد كشافات صحف ومجلات في أرشيف جار** :

نجد أن الأمل بالنسبة لنا سهل يسير، فقد سبقتنا جهود في مجال إعداد الكشافات للصحف والمجلات، ذلك أن إعداد الكشافات التحليلية المختلفة ضرورة من ضرورات العصر، وأداة للباحث بل وللقارىء العابر حين يحتاج إلى تتبع ما يجري في العالم يوما بعد يوم في كافة نواحي النشاط الانساني السياسي والاقتصادي والعلمي والديني والفني والمحلي وغير ذلك فيجده ملخصاً مصنفا في كشافات الصحف اليومية، أو يحاول تتبع ما كتب في موضوع معين في المجلات العلمية والنشرات الدورية العامة أو المتخصصة فيجده ملخصا مصنفا أيضا في كشافات المجلات.

لابد لكي نقوم بإعداد كشافات للصحف والمجلات في أرشيف جار تصل إليه الصحف والمجلات بكثرة كل يوم من

اتباع الخطوات أو المراحل التالية :

١ ــ ضرورة معرفة احتياجات المستفيدين الموضوعية، وذلك بإعداد استبيان يعمم عليهم لاستكشاف الموضوعات التي يهتمون بها مع ترتيب هذه الموضوعات حسب أولوية الحاجة إليها وحسب أهميتها لهم.

٢ ــ رسم برنامج زمني لانهاء المشروع ــ أي الكشاف، مع رسم حدود التغطية له من الصحف والمجلات.

٣ ــ ضرورة التعرف على قواعد إعداد رؤوس الموضوعات، وقد أقرها المؤتمر البيليوجرافي للكتاب العربي عام ١٩٧٣ في الرياض وقد نشرت أخيرا في بعض الدراسات(١١).

٤ ــ ضرورة معرفة قوائم رؤوس الموضوعات العربية، وإن كانت ما زالت في طور التقنين. وكذلك دراسة قوائم رؤوس الموضوعات الأجنبية ومن ذلك:

★ Library of Congress Subject Headings.

★ Sears List of Subject Headings.

ومما يفيد في مجال قوائم رؤوس الموضوعات ، خطط التصنيف المختلفة وذلك للربط بين الموضوعات بعضها البعض.

وكــذلك قوائم الاستــناد Autharity Lists والمواصفات والمكانز المختلفة التي بدأت في الظهور بكثرة نتيجة التفجر المعرفي وكثرة الموضوعات المعالجة.

٥ ــ تدريب المكشفين على قواعد إعداد الكشافات، ثم اجراء اختبارات مرحلية لاكتشاف امكانياتهم للعمل في هذا المشروع الحيوي.

٦ ــ تجميع أكبر عدد من الكشافات الأجنبية والعربية، «وإذا كان هناك من يقول إن إعداد الكشافات يرجع إلى أيام مؤرخي اليونان والرومان فإن حركة إعداد الكشافات الحديثة ترجع إلى حوالى منتصف القرن التاسع عشر، ويعتبر كشاف جريدة نيويورك تايمز أقدم كشاف لصحيفة، إذ ظهر مطبوعا لأول مرة عام ١٨٦٠، كما يعتبر كشاف وليم فردريك بول أقدم كشاف لمواد المجلات إذ بدأه عام ١٨٤٨ وظهرت طبعته الأولى عام ١٨٥٣ واستمر بول يشرف على تحريره حتى عام ١٨٨٣، وقد توالى بعد هذين الكشافين ظهور كشافات الصحف والمجلات، ويمكن أن نعتبر هالس وليم ويلسون واضع أساس حركة الكشافات المعاصرة. إذ بدأ عام ١٩٠١ بإصدار «دليل القارىء إلى موضوعات الدوريات» في نشرة شهرية بدأت بتحليل عشرين مجلة وتصدر الآن، نصف شهرية مع تجميع سنوي وتضم ١١٧ مجلة مختارة، ثم أصدر ويلسون «الكشاف الدولي للدوريات» ملحقا للدليل أول الأمر ثم طبع مستقلا عام ١٩٠٧، ويظهر أربع مرات في السنة مع تجميع سنوي وتحليل بالمؤلف والموضوع لمحتويات ١٧٥ مجلة في العلوم الإنسانية تصدر باللغات المختلفة»(١٢).

ويعتبر الكشاف التحليلي للصحف والمجلات العربية من النماذج الرائدة لاصدار الكشافات على المستوى العربي، فقد صدر في شكل كراسات تشمل كل واحدة منها مجموعة المواد التي صدرت في شهر ونشرت في الصحف اليومية الأربع (الأهرام والأخبار والجمهورية والمساء) بمصر وحوالى خمسين مجلة من المجلات العامة والخاصة، بما في ذلك الجريدة الرسمية والوقائع. ولكن توقف هذا الكشاف، كما أن هناك كشافات وفهارس تحليلية أخرى على المستوى العربي

فمن ذلك، فهرس مجلة «رسالة العلم» والتي تصدر عن جمعية خريجي كليات العلوم بمصر، وقد تم لها فهرس تحليلي في الفترة من أول صدورها ١٩٣٤ـــ١٩٧٠ وهو من إعداد كاتب هذه السطور.

وكذلك الفهرس السنوي لمجلة الأهرام الاقتصادي، ١٩٦٢، وفهرس المجلة المصرية للعلوم السياسية ١٩٦٤، والكشاف التربوي، وقد توقف هذا الكشاف أيضا، وكان يصدره مركز التوثيق التربوي في القاهرة اعتبارا من ١٩٦٢، وكشاف مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، وكشاف المقتطف ١٨٧٦ـــ١٩٥٢ وصدر تحت اسم (فهرس المقتطف ١٨٧٦ ـــ ١٩٥٢) ، وكشاف الأهرام، والكشاف التحليلي السنوي لصحيفة أم القرى.

٧ ـــ من المراحل الهامة، تكوين مكتبة مرجعية تشتمل على الصحف والمجلات المطلوب تكشيفها وكذلك المعاجم والقواميس ودوائر المعارف وغير ذلك مما يحتاج الأمر إليه نحو تحقيق موضوع من الموضوعات ومعرفة صلته بغيره من الموضوعات .

٨ ـــ تقويم الكشافات بعد الانتهاء من إعدادها طبقا لمعايير علمية لمعرفة أوجه الضعف أو عدمه، والصعوبات التي اعترضت طريق المشروع وامكانية إضافة مجلات وصحف أخرى .

٩ ـــ وبعد فهذه هي المراحل التي ينبغي مراعاتها في أرشيف جار عند الشروع في تكشيف للدوريات والصحف المقتناة، ولكن ينبغي قبل بذل الجهود الكبيرة كما رأينا في مراحل إعداد الكشافات من التأكد من عدم سبق إعداد مثل هذه الكشافات المزمع إعدادها، حقيقي بالنسبة للصحف والمجلات العربية فإن الجهود ضعيفة حتى الآن فيما يتعلق باصدار كشافات عربية، ولكن بالنسبة للدوريات والصحف الأجنبية، فإنه يصدر لها أنواع متعددة وأعداد ضخمة من كشافات الدوريات والمستخلصات، وأمام كل ذلك يتبادر إلى الذهن سؤال عن كيفية التعرف على ما هو موجود منها[١٣]، وهذا السؤال يتكفل بالإجابة عليه :

أولا : قوائم حصر الأعمال البيليوجرافية مثل :

— Bibliographic Index. — N.Y. : Wilson, 1937 —

— A world Bibliography of Bibliographies / By T. Besterman.— Lausanne: Societas Bibliographica, 1939 — 40., 1965—66.

— Index Bibliographicus. The Hague: FID, 1925:

Vol.1 : Science & Technology, 1959.

Vol.2 : Social Sciences , 1964.

فهذه القوائم وأمثالها تضم أهم ما صدر من كشافات ونشرات استخلاص وترتب موادها ترتيبا موضوعيا، هجائيا أحيانا كما في القائمتين الأولى والثانية، ومصنفاً أحيانا أخرى كما في القائمة الثالثة التي تتبع التصنيف العشري العالمي وتضيف كشافا موضوعيا مختصرا لتيسير الاستفادة منها.

ثانيا : قوائم المستخلصات في مجالات التخصص، وهذه يمكن تقسيمها إلى فئات ثلاث هي:

أ ـــ القوائم العامة مثل :

— A Guide to the World's Abstracting & Indexing Services in Science & Technology.— Washington: National Federation of Science Abstracting & Indexing Services, 1963.

— Abstracting Services in Science, Technology, Medicine, Agriculture, Humanities.— The Hague: FID, 1965, 1965.

ب ـــ الفهارس الموحدة للكشافات والمستخلصات المتاحة في مجموعة معينة من المكتبات مثل :

— Union List of Current Abstracting, Indexing & Review Serials in the Libraries of the North & East Midlands, edited by A.C. Foskett. London: L.A., 1964.

— Abstracting & Indexing Services Held by Technical Research Industrial Commercial Service Members.— Southampton: HATRICS, 1968.

جـ ــ قوائم الكشافات والمستخلصات التي تقتنيها مكتبة معينة مثل :

— A KWIC Index to the English Language Abstracting & Indexing Publications Being Received by the National Lending Library for Science & Technology. — Boston Spa, Yorkshire, 1966., 1969.

— Curent Abstracts & Indexes in the Technical and Commercial Library.— Manchester: Central Library, 1963.

ويعتبر المرجع التالي :

— A Guide to the World's Abstracting and Indexing Services in Science and Technology.

من أضخم تلك القوائم ليس فقط في عدد ما يذكره من كشافات ونشرات استخلاص تصل إلى ١٨٥٥، وإنما أيضا في كمية المعلومات التي يعطيها، فهو يذكر عدد مرات صدور كل منها وتاريخ تأسيسه ومتوسط عدد المستخلصات التي يقدمها في السنة وطريقة الترتيب المتبعة فيه ونوع كشافاته وثمنه والموضوعات التي يغطيها.

ويذكر المرجع التالي :

— Abstracting Services in Science, Tecnology...

هذه البيانات، ويضيف إليها أسماء الناشرين وعناوينهم ومدى الانتظام في الصدور أو التأخير، وإلى أي حد تتجاوز التغطية الأعمال المحلية إلى ما هو أجنبي، هذا بالاضافة إلى متوسط طول المستخلص وطبيعته وإمكانية الحصول على نسخ منه.

أما ترتيب تلك القوائم فهو غالبا بالعنوان، هجائيا أحيانا ومصنفاً أحيانا أخرى، وقد يجتمع الترتيبان كما في :

Guide to the World's Abstracting and Indexing Services.

وطالما أن الترتيب هجائي، فطبيعي أن تطالعنا كشافات موضوعية في معظم تلك القوائم، ويضيف بعضها كشافا جغرافيا بالبلاد كما في المثال المذكور آنفا.

وهكذا نرى أن إعداد الكشافات للدوريات عملية ينبغي أن تمر بمراحل طويلة وخطوات مقننة قبل بذل وقت وجهد كبيرين فيها.

والآن ننتقل إلى موضوع هام، في حالة إذا ما قررنا إعداد كشاف، ما هي عناصر «المدخل»؟.

ثانيا : عناصر مدخل **كشاف الصحف والمجلات** :

والمقصود بعناصر المدخل البيانات البيليوجرافية التي تحيل القارىء أو الباحث إلى مقال أو أي نص آخر داخل الدورية.

وأهم هذه العناصر عادة :

مؤلف المقال، عنوان المقال، اسم المجلة، رقم المجلد، رقم الصفحة، المقال بداية وانتهاء، تاريخ اصدار العدد، وإذا كانت أقل من شهر، أسبوعية مثلا فيحدد تاريخ اليوم، وفيما عدا ذلك يكتفى ببيان الشهر دون اليوم .

وفيما يلي بيان عناصر أخرى من الوصف البيليوجرافي لمقالات الدوريات داخل الكشافات يمكن استعمال المختصرات فيها:

(١) أسماء الشهور ما دامت تُذكر وتكرر بكثرة إذن فلتعمل لها مختصرات .

(٢) أسماء المجلات التي يتم تحليلها ما دام يشار إليها آلاف المرات (بالنسبة لكل مجلة على حدة).

(٣) هذا عدا المختصرات الببليوجرافية العادية التالية:

صفحة ص	P	Page
جزء أو عددع	N	Number
مجلد م	V	Volume

ولا بد لفهم مختصرات أسماء عشرات المجلات التي يتم اختيارها لكي تحلل محتويات اعدادها في كشاف بعينه: لابد لفهمها من إعطاء مفتاح لها في بداية الكشاف، المفتاح هنا عبارة عن قائمة مرتبة هجائيا بحروف العنوان المختصر، ومقابل كل مختصر الاسم الكامل للمجلة، ومعظم الكشافات تستغل هذه القائمة لغرض آخر وهو إعطاء ليس فقط عنوانا لمجلة ولكن كل المعلومات الكافية للتعريف الكامل بها: اسم ناشرها، وعنوانه، سنة البدء، طريقة تتابع الاصدار (أسبوعية، شهرية، فصلية)، وربما حاشية أو شرح يذكر الخصائص الرئيسية لطبيعة المجلة[١٤].

وينبغي معرفة أنه يوجد نوع من الكشافات لا يكتفي بهذه العناصر فقط، ولكن يعطينا ملخصات لأنباء منتخبة من مصادر متعددة، فبجانب كشافات الدوريات العامة والمتخصصة وكشافات الصحف نجد كشافات الأحداث الجارية، هذا النوع الأخير من الكشافات، يزودنا كما ذكرت بملخصات مع نسبة كل خبر في إحالة ببليوجرافية سليمة ومكتملة إلى المصدر الذي استقى منه.

والمصادر بالنسبة للأخبار في هذه الحالة ليست كلها صحف ومجلات فقط، بل توجد بجانب ذلك نشرات وكالات الأنباء وتوجد نشرات الإعلام المتعددة من جانب الهيئات لصالح الصحف حين تريد الصحف متابعة أخبار هيئة ما فتصدر الهيئة نشرتها تباعا على شكل Press Redeares ، وتوجد تصريحات المسئولين، كما توجد بعض المطبوعات أو التقارير الحكومية ذات التتابع السريع أو ذات القيمة الاعلامية الخاصة ... إلخ.

هذه وغيرها من مصادر المعلومات نجدها في مثل هذا النوع من الكشافات أي كشافات الأحداث الجارية، فتؤخذ الأخبار من المصادر لتلخص في نشرات أسبوعية وتوزع مطبوعة على المشتركين فتمثل قطاعا معقولا لدنيا الإعلام، تمثل أرشيفا صحفيا ناميا وسريعا ويقظاً من الملاحقة والتجميع.

والأهم من ذلك أنها تمثل أرشيفا أصبحت كل مواده بلغة واحدة، ولو كانت أصولها بلغات متعددة، أو بلغات صعبة، بمعنى أن في الامكان التلخيص من مصادر أيا كانت لغتها ثم إصدار الملخصات بلغة الكشاف، مما يتيح نظرة اعلامية مقارنة أشمل في تغطيتها لاتجاهات أو لآراء من نعني بتعرف آرائهم واتجاهاتهم حول الأحداث العامة الجارية، وهذه الترجمة للمادة الأصلية لن تتيسر لمن يجمع أرشيفه المحلي لنفسه وبنفسه[١٥].

ومن المجلات الكشافة أو التي تقدم خدمات تكشيف مشتملة على بيانات ببليوجرافية بجانب ملخصات للبحوث والدراسات كشاف التربية الذي يصدر بعنوان :

Current Index to Journals in Education.

ويصدر في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٦٩ عن مركز مصادر المعلومات التربوية التابع للمعهد القومي الأمريكي للتعليم وهو يمثل حاليا أكبر شبكة للمعلومات التربوية على المستوى العالمي ويعرف بـ

«ERIC»

Educational Resource Information Center.

ومن مطبوعات المركز مكنز Thesaurus، أي قائمة بالمصطلحات المستعملة في تكشيف Indexing البحوث والدراسات التربوية التي يكشفها[١٦].

ومن عناصر الكشافات كذلك الإحالات الموضوعية اللازمة

وهي إحالة أنظر، من الموضوع غير المستخدم إلى الموضوع المستخدم، وإحالة أنظر أيضا، إحالة إلى الموضوعات الأخرى التي تتصل بالموضوع المحال منه .

ثالثا : أرشيف قصاصات الصحف والمجلات في الأرشيف الجاري :

وهنا سؤال مهم ما علاقة هذه الكشافات أو عمليات التكشيف بأرشيف القصاصات؟ والجواب هو أنه إذا كان الكشاف يوفر علينا فعلا ضرورة جمع القصاصات لأنه يشير بسهولة إلى مكان مقال حول موضوع كذا داخل مجلة كذا في يوم كذا (ومع أرقام الصفحات) .. كان يوفر علينا الاختيار ثم القص ثم الترتيب، مع ما يترتب على ذلك من إتلاف المجلة التي انتزعنا منها المختارات .

إذا كان الكشاف يوفر هذا كله، فإنه سوف لا يعفينا من تجميع الأعداد مكتملة من الدوريات التي يحللها، حتى إذا أحيل إليها الباحث من داخل الكشاف وجد الدورية نفسها، والمقال نفسه تحت تصرفه، ومعنى هذا كثرة المجلدات القديمة في المكان الذي تتجمع فيه، وهو عادة مكتبة، أرشيف جار، مركز توثيق، وهذا يعني أيضا استمرار نمو المجموعات سنويا بمعدل مجلد جديد لكل دورية عينا بجمعها للاطلاع عليها حين تحال إليها.

وهنا إذن يخلق لنا مشكلات إنشاء مكتبة، ومشكلات اختزان واستيعاب وحيز، فإن حرصنا على عدم التورط في هذا كله فليس السبيل هو رفض الكشاف كمرجع إعلامي جار، وإنما سوف نعتمد على مجموعات الدوريات المملوكة للغير في المكتبات أو الأرشيفات أو في مراكز التوثيق، بشرط أن نضمن إمكانيات الوصول إليها لاستعمالها كلما أحالنا الكشاف إلى مقالات نريدها ولكن لا نملك المجلات التي تحتويها.

وهنا تبرز أهمية التعاون بين الأجهزة المسئولة عن المعلومات في مجال الاعارة والتصوير والخدمات البيليوجرافية والترجمة والتخطيط للتزويد وغير ذلك من أوجه التعاون المثمر فيما بينها.

وتبرز كذلك مدى الحاجة، للفهارس الموحدة بأنواعها المختلفة وخاصة الفهارس الموحدة للدوريات[١٧].

ومن أجل هذا تحرص كثير من أجهزة المعلومات (أرشيف، مكتبة، مركز توثيق) على معرفة أمرين :

(١) أين توجد المجلات التي يقوم بتحليلها الكشاف أو الكشافات، محليا ، أو أجنبيا.

(٢) أين يتم تحليل المجلات، بمعنى في أي الكشافات، لذلك كانت المعلومات الرئيسية عن المجلات في أدلة الدوريات تحرص على ذكر ما إذا كانت المجلة التي تصفها تلقى تحليلا في كشاف من الكشافات المعروفة : سواء عامة ، أو متخصصة.

أما إذا اقتنت المكتبة مجلة جارية ولا يحللها كشاف مطبوع، والمكتبة حريصة في نفس الوقت على ألا تقتطع منها قصاصات مختارة لأغراض حفظها في أرشيف قصاصات من نوع ما، إذن فقد لا تجد المكتبة بدأ من أن تلجأ إلى الفهرسة التحليلية التي تشير ولو جزئيا إلى بعض ما عنيت المكتبة بإبرازه للقراء والباحثين من بين محتويات مجلات تملكها فعلا داخل جدرانها.[١٨].

يجب مراعاة الكثير من الحرص ودقة الاختيار عند تجميع القصاصات من الصحف والمجلات والتأكد مما يلي :

(١) عدم وجود كشافات لهذه المجلات والصحف .
(٢) الموضوعات التي تقوم بعمل أرشيف قصاصات لها تكون الحاجة إليها ماسة وكبيرة.
(٣) المواد الجارية والتي يهتم بها الكثير من المستفيدين.

وينبغي كذلك مراعاة قص الأبواب الموضوعية أو المقالات التي تكون سلسلة مترابطة موضوعيا مثل :

الاكتشافات الحديثة في مجالات العلوم أوالجديد في العلم.

البحوث الجديدة في مجالات الطب أو الجديد في الطب.

وكذلك الصور يمكن تكوين أرشيف صور، بعد قصها، بجانب أرشيف المقالات، ليكون الاثنان معا مصدر معلومات متجدد.

وتكون نسخ المجلات والصحف المكررة «Duplicate» والنسخ المهداة عادة من الناشرين مجالا أوميدانا لهذا النوع من أرشيف القصاصات، وطبيعي أن إجراءات العمل في هذا الأرشيف تشتمل على خطوات شرحت في دراسات سابقة(١٩)، ويمكن الرجوع إليها والاستفادة منها.

وتتلخص هذه الخطوات في :

(١) اختيار القصاصات من مصادرها.

(٢) التأشير والتركيب.

(٣) رؤوس الموضوعات .

(٤) خطة للتصنيف .

ومن الموضوعات التي ينبغي عدم اغفالها في حالة الشروع في انشاء أرشيف قصاصات هو الاهتمام بالرجوع إلى خطة للتصنيف وقواعد رؤوس الموضوعات .

وكما سبق أن ذكرت، فإن هناك جهودا سبقت في هذا المجال وقد أشرت إليها في أثناء الدراسة، إلا أن القواعد العامة التالية لاختيار رؤوس الموضوعات ينبغي الاهتمام بها:(٢٠)

١ ــ يجب أن تكون رؤوس الموضوعات للنشرات والقصاصات غاية في البساطة، والتفريعات من أي رأس موضوع يجب أن تكون قليلة جدا، بل إن معظم الحالات قد توجب تجنبها تماما.

٢ ــ علينا أن نختبر النشرة أو القصاصة بإمعان وندرسها بعناية لأن عددا كبيرا من النشرات قد توضع لها عناوين لا تطابق المحتوى تماما، أو تدل عليه: عنوان رنان، عنوان مضلل. إذن فالاعتماد على العنوان الأصلي وحده عند اختيار رأس الموضوع مسألة غير مرغوبة.

٣ ــ يجب أن نضع في اعتبارنا نوع الاستعمال الذي نتوقع أن تتعرض له القصاصات، وهذا هو الأساس الأول في اختيار رأس الموضوع الناجح، أن يتفق مع الاستعمالات الغالبة عند معظم المنتفعين الفعليين أو المتوقعين في المكتبة أو الأرشيف.

٤ ــ ألا نضع القصاصة تحت رأسين مختلفين، وأن نتجنب رؤوس الموضوعات المتشابهة.

٥ ــ يجب حفظ سجل على بطاقات بكل الرؤوس المستعملة قائمة استناد «Authority List».

٦ ــ ضرورة الالتزام باتباع نظام الاحالات، احالة أنظر والتي تنقلنا من الرؤوس غير المستعملة إلى رؤوس أخرى مستعملة، وإحالة أنظر أيضا، وهي التي تنقلنا من موضوع إلى موضوع مشابه أو مقارب أو مضاد تماما إو إلى موضوع أخص... إلخ.

٧ ــ التوحيد في شكل البطاقات المستخدمة من حيث اتباع نفس القواعد المقننة الخاصة بالأبعاد والمسافات والفواصل.

٨ ــ الاحتفاظ بالكشاف في شكل بطاقات مع العناية بالاحالات، أضمن لاستمرار الاضافة المستمرة ويغنينا عن فهرسة النشرات والقصاصات .

٩ ــ ينبغي مراعاة أن بعض المواد تدخل تحت اسم المكان: مدينة أو أقليم، أو محافظة ، أو منطقة... إلخ، وهذه

الأسماء الجغرافية أي أسماء الأماكن تجزئها بعد ذلك بالموضوع، وهكذا تصبح بعض رؤوس الموضوعات تفريعات من أسماء الأماكن.

والخلاصة أن التكشيف في الأرشيف الجاري شأنه في المكتبة أو مركز التوثيق يحتاج إلى مراحل واجراءات ومعايير لتقويمه وأدوات ينبغي توافرها.

وتكشيف الصحف والمجلات من العمليات الهامة كما سبق أن بينا في مدخل هذه الدراسة تحتاج كذلك إلى تدريب القائمين عليها وتوجيههم إلى القواعد والأسس العلمية والتجارب السابقة في مجال التكشيف.

كما ينبغي الإشارة إلى أن إعداد الكشافات دخل الآن مرحلة استخدام الآلات، ولهذا قصدت من وراء هذه الدراسة إلى إبراز الجانب البشري أولا ثم يتلو ذلك الاتجاهات الحادثة هذه الأيام في مجال «التكشيف وتكنولوجيا المعلومات».

قائمة الهوامش والمراجع

أنظر المراجع التالية حول تعريف الكشاف والتكشيف:

★ American National Standards Institute Basic Criteria for indexes.— New York: The Institute, 1968.

★ British Standards Institute. preparation of indexes to books, periodicals and other publications.— London: The Institute, 1976.

★ Rothman, John. Index, Indexer, Indexing.— In: Encyclopedia of Library and Information Science.— New York: Dekker, 1974.

٢ ـ من الدراسات المنشورة أخيرا، التكشيف لأغراض استرجاع المعلومات/ تأليف محمد فتحي عبد الهادي.ـ جدة: مكتبة العلم، [١٩٨٢].

٣ ـ كشافات الاستشهاد المرجعي وامكاناتها الاسترجاعية. حشمت قاسم.ـ المجلة العربية للمعلومات: مج٢، ع٤، (يونيه ١٩٨٠).

٤ ـ Cutter, Charles A. Rules for a dictionary Catalog.— Washington, D.C.: Government Printing Office, 1904.

٥ ـ Kaiser J. O. Systematic Indexing.— London: Pitman, 1911.

٦ ـ Ranganathan, S.R. Dictionary Catalogue Code.— Madras: Thompson, 1945.

★ Ranganathan, S.R. Classified Catalogue Code: with additional rules for dictionary Catalogye Code. Bombay: Asia publishing House, 1958.

٧ ـ Coates E.J. Subject Catalogues.— London: The Library Association, 1960.

٨ ـ Batty, C. David. Chain Indexing.— Vol. 4, P423-434 In Encyclopedia of Library and Information Science.

٩ ـ Foskett, A.C. Subject Approach to Information.- London: Linnet Books, 1972.

١٠ ـ Indexing Concepts and methods / By Harold Borko & Charles L. Bernion.— New York: Academic Press, 1978.

١١ ـ دراسات في الكتب والمعلومات/ عبد التواب شرف الدين.ـ الكويت: ذات السلاسل، ١٩٨٣.

١٢ ـ الكشاف التحليلي للصحف والمجلات العربية / مقدمة للدكتور محمود الشنيطي المشرف على إصداره، العدد الأول، ١ يناير ١٩٦٢.

١٣ ـ مدخل لدراسة المراجع/ عبد الستار الحلوجي.ـ القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٤ ص ص ١٤٠ ـ ١٤٣.

١٤ ـ مصادر المعلومات/ أنور عمر.ـ القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٧.ـ ص ص ٤٧ ـ ٤٨.

١٥ ـ نفس المرجع السابق ذكره، ص ٥٣.

١٦ ـ Educational Resources Information Centre. Thesaurus of

ERIC descriptors.— Washington: Gov. Printing Office, 1969.—

١٧ ــ الفهارس الموحدة للدوريات Union Calalogs of periodicals وأحيانا تسمى القوائم الموحدة Union Lists of periodicals نوع من أدلة الدوريات التي تقصر نفسها على الموجود فعلا في مكتبات معينة، وقد تكون الفهارس الموحدة خاصة بمجموعات الدوريات في مكتبات جامعة أو أكثر من الجامعات، أو عدة مكتبات متخصصة، أو خاصة بموضوع معين، أو عامة، ومن الفهارس الموحدة للدوريات العامة:

— British Union Catalogue of Periodicals (BUCOP). — London: 1955-58.—

— Union List of Serials in Libraries of the United States and Canada.— N.Y.: Wilson, 1927.

ومن أمثلة الفهارس الموحدة المتخصصة في مجال العلوم والتكنولوجيا:

— World List of Scientific Periodicals published in the Years 1900-1960.- London: 1964-1965.

١٨ ــ مصادر المعلومات/ أنور عمر... ص ٤٩.

١٩ ــ من هذه المراجع: تنظيم المعلومات الصحفية في الأرشيف والمكتبات/ أبو الفتوح حامد عودة.ــ القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٦٨ وقد اقترح نظاما لتصنيف المعلومات الصحفية مع الجداول والكشاف ص ص ١١٣ ــ ١٨٤.

وكذلك ما قام به المرحوم نبيل ابراهيم الجداي وكان أمينا لمكتبة الدوريات التابعة حاليا للمجلس الوطني للثقافة بالكويت، من تنظيم أرشيف لقصاصات الدوريات في المكتبة وقد قمت بزيارة هذا الأرشيف أثناء فترة عملي كخبير للتوثيق والمعلومات بمركز بحوث المناهج ــ الكويت في الفترة من ١٩٧٤ ــ ١٩٨٤.

وكذلك أرشيف المعلومات بجامعة الكويت، وما قام به الزميل بكر شعيب وما نشر في مجلة «مكتبة الجامعة» التي كانت تصدر عن إدارة مكتبات جامعة الكويت، وما نشره المرحوم نبيل الجداي في كتابه (بالاشتراك) الصحف الكويتية .. الكويت ...

٢٠ ــ مصادر المعلومات/ أنور عمر. ص ص ــ١٢٥ ــ ١٢٦.

مكتبـــة مكـــة المكرمـــة

عبد اللطيف بن دهيش

أستاذ مشارك في جامعة أم القرى

تأسست هذه المكتبة بمساعي الشيخ عباس سليمان قطان، أمين العاصمة المقدسة سابقا، وذلك في مبنى خاص شُيِّد لهذا الغرض بعد موافقة من جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله، في الموقع الذي ولد فيه رسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم، بمدخل شعب بني هاشم (شعب علي) بمكة المكرمة .

وأثناء بناء المكتبة توفي الشيخ عباس قطان، فتعطل البناء فترة من الزمن، ثم قامت أمانة العاصمة المقدسة بإتمام المبنى تحت اشرافها ليصبح مكتبة عامة ومنهلا من مناهل العلم والمعرفة في هذا البلد الطاهر المقدس .

وبعد انتهاء المبنى تقرر أن يكون مكتبة عامة تابعة للإدارة العامة للاذاعة والصحافة والنشر، وتحت إشراف الإدارة العامة للأوقاف. وفي أوائل عام ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م، تم افتتاح هذه المكتبة في حفل رسمي. وقد كانت مكتبة الشيخ محمد ماجد صالح الكردي (١٢٩٤ ــ ١٣٤٩ هـ) النواة الأولى لهذه المكتبة والتي سبق وأن اشتراها الشيخ عباس قطان من ورثة الشيخ محمد ماجد الكردي قبل وفاته واحتفظ بها، وذلك عندما عزم على تأسيس هذه المكتبة .

وقد أطلق على هذه المكتبة عند افتتاحها اسم (مكتبة الاذاعة والصحافة والنشر). ونظرا لكبر حجم المبنى، فان الإدارة العامة للاذاعة والصحافة والنشر احتلت جزءا منه وجعلته إدارة لها، وقامت بتأثيث المبنى بما يحتاجه من دواليب للكتب وطاولات وكراسي للمطالعين ومكاتب للموظفين. وقد ساهمت أمانة العاصمة مساهمة كبيرة في انجاز هذا المبنى وجعله مكتبة عامة يستفيد منها طلاب العلم والباحثون .

وقد أسندت إدارة هذه المكتبة عند تأسيسها إلى الشيخ محمد الحريري، كما عُيِّن الشيخ حسين بالخير مشرفا عاما على أعمال المكتبة، وعُيِّن الشيخ عبدالله المزروع مسئولا عن تنظيم وتسجيل الكتب بالمكتبة ، وعُيِّن له أحد الكتاب ليتولى عملية التسجيل للكتب في سجلات خاصة، كما تم تعيين مناول وخادم ليقوما بأعمال الخدمة في هذه المكتبة. وقد تم تنظيم المكتبة وتسجيل كتبها في فترة وجيزة، كما قامت الإدارة العامة للاذاعة والصحافة والنشر بتزويد المكتبة بأعداد كبيرة من الكتب التي تم شراؤها من الأسواق المحلية والتي لم تكن متوفرة بالمكتبة.

وفي عام ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢م، عدل اسم المكتبة إلى اسم مكتبة وزارة الاعلام. وفي نفس العام انتقلت مكاتب وزارة الاعلام إلى جدة، فقامت الوزارة بتسليم المكتبة إلى إدارة الأوقاف العامة بمكة المكرمة، والتي قامت بتعديل اسم المكتبة إلى اسم (مكتبة مكة المكرمة) مع ابقاء كامل موظفيها على وظائفهم السابقة. وفي نفس العام أيضا تأسست وزارة الحج والأوقاف فأصبحت المكتبة تابعة لها، وقد قامت الوزارة بتجديد أثاث المكتبة بكامله وتزويدها بكميات كبيرة من الكتب المطبوعة، كما ضمت إليها مجموعة من المخطوطات الأصلية النادرة التي اشترتها الوزارة من بعض أصحاب الكتب في الداخل والخارج.

وفي عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، انتقل الشيخ عبدالله المزروع

إلى وزارة المعارف وشغرت وظيفته، فَنُقِلَ إليها الشيخ عبد المالك عبد القادر الطرابلسي من مكتبة المدينة العامة، على وظيفة مساعد مدير المكتبة. وفي عام ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م، أحيل إلى التقاعد كل من الشيخ محمد الحريري والشيخ عبد المالك الطرابلسي، وبناء على طلب سعادة وكيل وزارة الحج والأوقاف حينذاك الشيخ أحمد مجاهد تم التعاقد مع الشيخ عبد المالك الطرابلسي براتبه الذي يتقاضاه عند إحالته للتقاعد، وذلك للعمل بالمكتبة لمعرفته التامة لها، وعلى أن يتولى الاشراف العام عليها. كما تم في نفس العام تعيين الشيخ محمد رشيد فارسي مديرا للمكتبة، ولكنه لم يستمر طويلا في عمله بالمكتبة. ومنذ ذلك التاريخ وهو عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، أصبح الشيخ عبد المالك الطرابلسي مشرفاً عاماً على مكتبة مكة المكرمة وأمينا لها، وأصبحت إدارة المكتبة تتكون حتى العام الماضي ١٤٠٥هـ من الأساتذة :

١ ــ الشيخ عبد المالك الطرابلسي ــ مشرفا عاما وأمينا للمكتبة .
٢ ــ الأستاذ محمد أحمد ساب ــ مفهرسا.
٣ ــ الأستاذ علي محمد حمزه ــ مفهرسا.
٤ ــ الأستاذ عبد الباسط أحمد باحارث ــ مأمور استقبال.
٥ ــ الأستاذ محمد نصر محمد ابراهيم ــ مجلداً.
٦ ــ الأستاذ عبد العزيز عبد الله تعليق ــ مسجلاً.

بالاضافة إلى اثنين من المناولين وخادم واحد .

وقد أهديت إلى هذه المكتبة عدة مكتبات خاصة تابعة لعدد من علماء مكة المكرمة ووجهائها وهذه المكتبات المهداة إلى مكتبة مكة المكرمة هي :ــ

١ ــ مكتبة الشيخ عبدالحميد قدس
٢ ــ مكتبة الشيخ محمد سليمان حسب الله
٣ ــ مكتبة الشيخ محمد علي المالكي
٤ ــ مكتبة الشيخ سراج ششه
٥ ــ قسم كبير من مكتبة السيد محمد الحسن الادريسي
٦ ــ مكتبة الشيخ عمر الفاروقي
٧ ــ مكتبة الشيخ محمد أحمد شطا وقد أهديت هذه المكتبة بواسطة ابنه الدكتور علي محمد شطا.

كما قامت وزارة الحج والأوقاف بشراء مكتبة الأستاذ حسين عرب وأضافتها إلى هذه المكتبة وتحتوي مكتبة الأستاذ حسين عرب على أكثر من (١٥٠٠) مجلد.

وقد اهتمت وزارة الحج والأوقاف بمكتبة مكة المكرمة وقررت جعلها مكتبة عامة، فقامت بتزويدها بمجموعة كبيرة من الكتب المطبوعة والمخطوطات والمصورات والدوريات، التي تم شراء بعضها من المكتبات المحلية والبعض الآخر طُلِبَ من دور النشر والمكتبات من خارج المملكة، حتى أصبحت هذه المكتبة تضم حتى العام الماضي (١٤٠٥هـ) حوالى عشرين ألف مجلد من الكتب المطبوعة، في مختلف التخصصات الإسلامية، من تفسير وحديث وفقه وتوحيد وكتب اللغة العربية وآدابها والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي وبعض العلوم الأخرى. كما تحتوي المكتبة على أكثر من ألف ومائتي مخطوطة أصلية في مختلف فروع المعرفة الإسلامية، منها مجموعة نادرة من القرآن الكريم المخطوط بخط اليد. وأقدم المخطوطات يرجع تاريخها إلى أكثر من ألف عام ومن هذه المخطوطات النادرة كتاب (صحيح البخاري) ومخطوطة بهجة النفوس وتحليها وبيان ما لها وما عليها وهو شرح مختصر ابن أبي حمزة ويقع في ٣٧١ صفحة، ومخطوطة الكوكب المنير لشرح الجامع الصغير، وقد كُتِبَ في نهايتها (تم الفراغ من كتابة الجزء الأول في يوم الثلاثاء ٢٤ محرم الحرام سنة ٩٩٧ هـ وكاتبه الشريف حسن البرديني). وتضم المكتبة أيضا عددا من المخطوطات المصورة والدوريات التي يزيد عددها على مائة دورية عربية وأجنبية من الدوريات المتخصصة في الدراسات الإسلامية والقضايا التي تهم العالم الإسلامي ومنها نسخة كاملة لجريدة المدينة والصحف المحلية الأخرى. ومعظم الكتب والمخطوطات

والدوريات بالمكتبة مجلدة تجليدا فاخرا، وهي مصنفة تصنيفا هجائيا بحسب العنوان الخاص بالكتاب أو المخطوطة أو الدورية، ولها سجلات متعددة لجميع الفنون، مكتوبة بخط اليد وجميعها سهلة التناول. وتتجه النية إلى عمل بطاقات فهرسة وتصنيف لكل كتاب أو مخطوطة أو دورية حتى يسهل على القارىء التعرف على احتياجاته من المكتبة بسرعة.

وحسب تعليمات وزارة الحج والأوقاف فان الإعارة الخارجية ممنوعة، ويسمح فقط بالاطلاع على الكتب داخل المكتبة. وتستوعب المكتبة حوالى خمسين مطالعاً في وقت واحد، وهي تفتح أبوابها للقراء والباحثين صباح كل يوم من الساعة الثامنة صباحا وحتى الساعة الثانية والنصف ظهرا، ما عدا يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع.

وتضم المكتبة الأقسام التالية :ـ

ـ الإدارة.

ـ قسم التسجيل والفهرسة والتصنيف.

ـ قسم الخدمات المكتبية.

ـ قسم التصوير العلمي، ويوجد به عدد من أجهزة تصوير الكتب والمخطوطات، ويقوم هذا القسم بتصوير الكتب من المكتبة لروادها، كما يقوم بتصوير المخطوطات للباحثين وطلاب الدراسات العليا بعد احضار موافقة الوزارة واثبات أن الطالب أحد طلاب الدراسات العليا، وأن تكون المخطوطة المطلوب تصويرها في مجال دراسته، وذلك لأهمية المخطوطات وعدم التفريط بها.

ـ قسم التجليد، ويقوم بتجليد المخطوطات النادرة بالمكتبة، أما الكتب فيتم تجليدها في مؤسسات التجليد المحلية وذلك لكثرتها.

المراجـــع

١ ـ إدارة مكتبة مكة المكرمة، تقرير عن مكتبة مكة المكرمة، مطبوع على الآلة الكاتبة، رجب ١٤٠٥ هـ مكون من صفحتين.
٢ ـ إدارة مكتبة مكة المكرمة، تقرير اضافي عن مكتبة مكة المكرمة، مكتوب باليد، شعبان ١٤٠٥ هـ مكون من صفحتين.
٣ ـ محمد علي مغربي : اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري: «الشيخ عباس سليمان قطان»، ص٣٠٧ ـ ٣١٣.
٤ ـ عبد الله الجبوري : «المخطوطات العربية وفهارسها في الخليج وشبه الجزيرة العربية» (عالم الكتب، المجلد الثالث، العدد الرابع)، ربيع ثاني ١٤٠٣ هـ، يناير فبراير ١٩٨٢م)» ص ٦٩٤.
٥ ـ المورد، المجلد الخامس، الجزء الأول، ص٤٦.
٦ ـ جريدة المدينة، العدد ٦٣٩٤، بتاريخ الجمعة ١٠ محرم ١٤٠٥هـ.
٧ ـ زيارة خاصة قمت بها للمكتبة المذكورة.

الكِتاب في الصحافة العربية

ياسر الفهد

عندما تكون هناك مقارنة بين الكتاب والمجلة، فان أول ما يتبادر إلى الذهن أن الكتاب يتسم بالعمق والمنهجية والتخصص، في حين أن المجلة أو الصحيفة تمتاز بامتلاك قدرة أكبر على التشويق والاثارة ومسايرة الأحداث الراهنة، وهذا بالطبع حكم عام تقريبي، فهناك الكثير من الكتب التي تفتن لب القارىء وتأخذ بمجامع قلبه وتزوده بمتعة لا تعادلها متعة، على الرغم من طول صفحاتها وصعوبة مادتها وتعقد أفكارها. كما أن بعض المجلات ولا سيما المتخصصة منها، تهتم بنشر الدراسات المنهجية والأبحاث العميقة. وإذا كان كل من الكتاب والمجلة يتحلى بميزات ينفرد بها الواحد دون الآخر، فان تقديم زبدة كتاب أو صورة خطوطه العريضة وأفكاره الرئيسية في مجلة أو صحيفة ما هو إلا عمل ثقافي هام يجمع بين مزايا الكتاب ومزايا المجلة في آن واحد، لأنه يتيح للقارىء التزود بمعلومات مرجعية ومتخصصة بطريقة ممتعة ومشوقة ويسيرة. وبتعبير آخر فان زوايا الكتب في الصحافة العربية تمكن القارىء من الإلمام بمحتويات كتاب كامل والاحاطة بأفكاره العامة الأساسية دون الحاجة إلى حصوله على هذا الكتاب والاطلاع عليه، مع كل ما ينطوي عليه الوصول إلى الكتاب من صعوبات ولا سيما إذا كان كتابا أجنبيا ، إن الأسواق تغص اليوم بأعداد هائلة من الكتب المنوعة التي ترتفع أثمانها باستمرار. ويقف القارىء إزاء هذا التنوع وفحاشة السعر موقف الحيرة والعجز .. فهو مهما ابتاع من كتب، ومهما ارتاد من مكتبات عامة، يبقى بحاجة إلى مزيد من الكتب، وتبقى هناك كثير من المؤلفات التي يهمه الاطلاع عليها من غير أن تتاح له فرص الوصول إليها .. فهناك الكتب التي تصدر في البلدان العربية المختلفة ولا تصل إلى القطر الذي يعيش فيه القارىء، وهناك حشود الكتب الضخمة التي تنشر في الدول الأجنبية ولا يدري القارىء العربي عنها شيئا من قريب أو بعيد. وأفضل قطار يستطيع أن ينقل جميع هذه الكتب بكل ما تحفل به من درر ثقافية وكنوز علمية، من شتى البلدان العربية والأجنبية إلى محطة القارىء العربي هو قطار المجلة أو الصحيفة!. ومن بين الفوائد التي ينطوي عليها ذلك توفير الكثير من الوقت والجهد على القارىء .. فقد أصبح الوقت في العصر الحديث المتخم بالمشاغل عاملا مقيدا يحسب له كل حساب. فظروف الحياة المعيشية المعقدة ومستلزمات العمل الملحة لا تسمحان إلا لعدد قليل من المثقفين بالانقطاع إلى عالم المطالعة العميقة والانكباب على الكتب المطولة غزيرة الصفحات التي تستنزف الوقت وتمتص عصارة الفكر. فلا شك والحال كذلك أن تقديم خلاصة كتاب على طبق منمق زاهٍ وفي وجبة شهية واحدة على صفحات إحدى الصحف يعد حلا معقولا لمشكلة ضيق الوقت وكذلك لمشكلة صعوبة الحصول على الكتاب، إما لغلاء ثمنه أو لعدم توافره في السوق. وبالاضافة إلى الفائدة التي يحصل عليها القارىء من هذا العمل، فان المؤلف يفيد بدوره منه. إذ أن الكتابة عن كتابه في المجلة تُعَرِّفُ به وبأعماله وتعد بمثابة إعلان عن كتابه. وتختلف طرق تقديم الصحافة للكتب فهناك (الإصدار) أي إيراد خبر الصدور، وهناك (التعريف) و(العرض) و(التقديم) و(التلخيص مع التعليق) و (النقد) و(المراجعة) و(التحليل) .. الخ.

فبعض الزوايا الصحفية تكتفي بايراد خبر إصدار الكتاب ومكان وتاريخ النشر واسم المؤلف والجهة التي أصدرت الكتاب. وهناك زوايا أخرى تضيف إلى ما سبق تعريفا موجزا جدا بفكرة الكتاب وهدفه. وفي غيرها من الزوايا يتم عرض

الكتاب أو تقديمه أو تلخيصه والتعليق عليه بتفصيل أكبر يتجاوز مجرد التعريف الموجز بمحتوى الكتاب. أما في النقد أو المراجعة أو التحليل فان الكتاب يوضع في كفة الميزان أو على المشرحة ويجري عرض أفكاره الرئيسية والتمحيص في محتوياته ثم تقييمه وإبراز محاسنه ومزاياه ونقد نقائصه ومثالبه. وفي الحقيقة فان الحدود الفاصلة بين العرض والتقديم، أو بين النقد أو المراجعة أو التحليل، أو بينها جميعا، ليست حاسمة ... فقد يكون عرض كتاب ما أعمق من مراجعة كتاب آخر، كما قد يكون تقديم كاتب ما لكتاب أوسع وأشمل من تحليل كاتب آخر لكتاب ثان، أي أن الصفة التي يقدم بها الكاتب كتابا ما سواء أكانت العرض أم التحليل أم المراجعة ... الخ لا تكفي وحدها لتكون دليلا على مدى عمق المعالجة. وعلى كل فإن المراجعة أو التحليل أو النقد تأتي بصورة عامة في مرتبة أفضل من التقديم أو العرض أو التلخيص أو التعليق. كما أن العرض هو أقرب إلى التقديم أو التلخيص منه إلى المراجعة أو التحليل أو النقد، وذلك بقدر كون التحليل أقرب إلى المراجعة أو النقد، منه إلى التقديم أو التلخيص أو العرض.

وهكذا فإن المجلات تقدم زوايا مختلفة لالقاء الأضواء على الكتب تتراوح في مدى شمولها وعمقها بين الاكتفاء بايراد خبر الصدور والمعلومات الأولية المرتبطة به وبين التحليل الموسع الشامل. ولنطف الآن طوافا سريعا في أرجاء بعض المجلات العربية لنستجلي المكانة التي يتبوؤها الكِتاب على صفحاتها.

○ **الإصدار :**

تخصص المجلات العربية زوايا معينة تورد فيها أخبارا مقتضبة عن الكتب لا تتعدى تعيين أسماء مؤلفيها والجهة التي نشرتها ومكان وتاريخ الصدور. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، زوايا **(الحركة الثقافية في شهر)** في مجلة الفيصل و **(أخبار ثقافية)** في مجلة المستقبل، و**(مواعيد ثقافية)** في مجلة الشراع. فهذه الزوايا الثلاث ترصد أخبار صدور الكتب ضمن الأخبار الثقافية العامة. ونذكر أيضا زاوية **(أخبار الكتب)** في مجلة القافلة وزاوية **(مطبوعات وصلت الينا)** في مجلة التربية القطرية. وهناك الكثير غيرها.

○ **التعريف :**

وتقدم المجلات زوايا أخرى للتعريف بالكتب تتجاوز فيها المعلومات المقتضبة التي تقتصر على الإصدار فتضيف إليها بعض التفصيلات القليلة الأخرى كاعطاء فكرة اجمالية عن أهداف الكتاب ومحتوياته، دون أن تصل في ذلك إلى حد العرض الكامل أو المراجعة. وكأمثلة على ذلك نذكر زاوية **(من مكتبة العربي)** في مجلة العربي، ومن بين الكتب التي تم التعريف بها في عدد حزيران عام ١٩٨٤ ضمن الزاوية المذكور. ·

أ — [اتجاهات في التربية العربية] وهو من منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومن تأليف الدكتور منير بشور.

ب — [التجليات] وهو من تأليف جمال الغيطاني.

وهناك أيضا زاوية **(منشورات المنظمة)** في مجلة الاعلام العربي، وهي لا تكتفي بالتعريف ببعض الكتب التي تصدرها مختلف الادارات في منظمة **«الاليكسو»** بل تتجاوز ذلك إلى التعريف بالكتب التي هي قيد الطبع أيضا.

ومن بين الكتب التي عَرَّفَتْ بها الزاوية في عدد كانون أول لعام ١٩٨٢ والصادرة عن إدارة الاعلام :

أ — [التعريف بالمنظمة] وهو كتاب منشور باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والأسبانية.

ب ــ [الاعلام والدول النامية] وهو من تأليف فرنسيس بال وترجمة حسين العودات.

جـ ــ [الاعلام والدول المتطورة] وهو أيضا من تأليف فرنسيس بال وترجمة حسين العودات.

كما عَرَّفَتْ أيضا بكتاب [التكنولوجيا في عصر المعلومات] الذي هو قيد الطبع، وقد ألفه اميل دوسولا وترجمه ماري عوض. كما تم في الزاوية المذكورة التعريف ببعض الكتب التي يتوقع صدورها عن إدارة التوثيق والمعلومات وهي:

١ ــ بنوك المعلومات ٢ ــ الطبعة المختصرة لنظام ديوي ٣ ــ قواعد الفهرسة الأنجلو أميركية.

ومن هذه الزوايا أيضا زاوية (مكتبة الدوحة) في مجلة الدوحة. ومن بين الكتب التي تم التعريف بها في عدد آب ١٩٨٤:

أ ــ [ديوان أمة واحدة] وهو من منشورات وزارة الاعلام القطرية وتأليف الشاعر الفلسطيني عبد الكريم.

ب ــ [دليل الكاتب السعودي] وهو من منشورات الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

وهناك زاوية (**إصدارات جديدة**) في مجلة الناشر العربي. ومما عَرَّفَتْ به في عدد شباط لعام ١٩٨٤:

أ ــ [من البيت إلى القصيدة]، للناقد اليمني عبد العزيز مقالح.

ب ــ [مدارس دمشق في العصر الأيوبي] للدكتور حسن شميساني.

ونذكر كذلك زاوية (**كتب وردت إلى المجلة**) في مجلة الفيصل. ومن كتب هذه الزاوية لعدد نيسان عام ١٩٨٤:

أ ــ [الإسلام وأزمة الغرب] تأليف رجا جارودي وترجمة د. رفيق المصري.

ب ــ [الرعاية التربوية للمكفوفين] وهو من تأليف لطفي بركات ومن منشورات دار تهامة في جدة.

جـ ــ [الإخصاب والحمل والولادة] ترجمة د. توما شماني.

د ــ [أمام الحاجز] وهي مجموعة شعرية للشاعرة الأردنية أمينة العدوان.

هـ ــ [مغرب مسلم] من تأليف عبد القادر الادريسي.

ولا ننسى أيضا زاوية (**مطبوعات اليونسكو**) في مجلة اليونسكو للمعلومات والمكتبات والأرشيف وهي تُعَرِّفُ بالكتب التي تصدرها اليونسكو.

وهناك زاوية (**أبحاث وكتب**) في مجلة التربية القطرية ومما عرِّفت به في عدد نيسان لعام ١٩٨٤ كتاب [قوانا الكامنة] للدكتور عبد العزيز جادو.

وهناك زاوية (**إصدارات**) في المجلة العربية للثقافة. وفي عدد أيلول من عام ١٩٨٣ تم التعريف ببعض إصدارات إدارة الثقافة ومنها:

أ ــ [التيسير في المداواة والتدبير] وهو من تأليف الطبيب العربي الشهير أبو مروان عبد الملك بن زهر الأشبيلي الأندلسي، ومن تحقيق منظمة الأليكسو.

ب ــ [ابن خلدون والفكر العربي المعاصر] وهذا الكتاب هو حصيلة ندوة فكرية عقدت في مقر المنظمة في تونس في شهر نيسان من عام ١٩٨٠.

ومن الذين أسهموا في أبحاث الندوة، وبالتالي في أبحاث الدكتور المذكور: د. محيي الدين صابر . محمد المزالي. د. محمد الطالبي. علي أومليل. د. عبدالله شريط. د. عبد السلام المسري . د. محمد زنيبر. د. عبد المجيد

مزيان. د. محمد السويسي د. محجوب بن مزيان. د. محمد عبد الجابري. د. أحمد عبد السلام. د. معن زيادة. د. فهمي الجدعان. د. الحبيب الجنحاني. د. هشام جعيط.

وبالاضافة إلى إصدارات إدارة الثقافة تم التعريف أيضا في العدد المذكور سابقا ببعض إصدارات الأجهزة والإدارات والمعاهد الأخرى التابعة للمنظمة ومنها:

أ ـ [السياسة الإيرانية في الخليج العربي إبان حكم كريم خان] للدكتور علاء الدين نورس.

ب ـ [المدنية العربية] للدكتور خالص الأشعب. والكتابان صدرا عن معهد البحوث والدراسات العربية.

كما عرّفت الزاوية بكتابي :

أ ـ [خطة لتوحيد أسس المناهج الدراسية في الوطن العربي].

ب ـ [قراءات في التربية الاسلامية] وهما من إصدارات إدارة التربية في المنظمة، وكذلك بكتاب [تأثير تعليم اللغة الأجنبية في تعلم اللغة العربية] . وقد أصدرته إدارة البحوث التربوية، كما عرفت بكتب: أ ـ حماية الغابات. ب ـ حماية التربة من الإنجراف. جـ ـ حماية الأحياء البرية، التي صدرت عن إدارة العلوم.

ونذكر أيضا زاوية (**المطبوعات**) في المجلة العربية للتربية. وهي تهتم بالمطبوعات التي تصدرها منظمة الأليكسو. ومن بين ما عرّفت به في عدد أيلول ١٩٨٣ من مطبوعات إدارة التربية:

أ ـ التعليم العالي والتنمية في الوطن العربي. ب ـ توحيد السلم التعليمي في الوطن العربي. جـ ـ اللغة والاعاقة الذهنية.

ومن مطبوعات إدارة التوثيق والمعلومات: الدليل البيليوغرافي للإنتاج الفكري العربي في مجال المعلومات. ولا ننسى زاوية (**عالم الكتب**) في مجلة الحياة الثقافية التي تصدرها وزارة الثقافة التونسية. ومما عرّفت به في عدد نيسان من عام ١٩٨١ :

أ ـ [سيرة مصطفى بن اسماعيل] تحقيق د. رشاد الإمام.

ب ـ [مدينة تونس في العهد الحفصي] تأليف عبد العزيز الدولاتلي.

جـ ـ [من الضحايا] للقاص محمد العروسي المطوي.

د ـ [حتى لا نحلم] للشاعر رشيد بوجدرة.

هـ ـ [تطور الرواية العربية في بلاد الشام] للدكتور ابراهيم السعافين.

و ـ [الأرض الزمردية] شعر أحمد عبد المعطي حجازي.

وهناك زاوية (**كتب وصلتنا**) في المجلة العربية التي تصدرها وزارة التعليم العالي السعودية، ومن الكتب التي تم التعريف بها في عدد حزيران لعام ١٩٨١:

أ ـ [في سبيل علم اجتماع إسلامي]، تأليف د. هاني نصري.

ب ـ [دليل الطالب في التربية العملية] للدكتور محمد علي الخولي.

جـ ـ [إذا أردت أن تنجح] للدكتور ياسر محمد علي.

○ **العرض والنقد :**

تخصص المجلات العربية زوايا لعرض وتقديم الكتب تتجاوز فيها مجرد التعريف السريع الموجز وتصل إلى حد تلخيص الخطوط الرئيسية للكتاب وإيجاز أفكاره الأساسية ثم التعليق عليها ونقدها. وتدخل في هذا النطاق زاوية (**نقد الكتب**) في مجلة شؤون عربية. وتتصدى هذه الزاوية لنقد الكتب العربية والأجنبية التي

تهم الوطن العربي. ومن بين الكتب التي تم نقدها في عدد شباط لعام ١٩٨٤ :

أ ــ [الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر] وهو من تأليف السيد ياسين ونقد د. حبيب الجنحاني.

ب ــ [في سبيل ثقافة عربية ذاتية] تأليف د. عبدالله عبد الدايم ونقد قيس جواد. وهناك زاوية **(من حصاد الكتب)** في مجلة القافلة. ومما عرضته في عدد حزيران لعام ١٩٨٢ كتاب [اليد السفلى] للدكتور محمد عبده يماني، مراجعة بكر عباس. ومنها أيضا زاوية **(هذا الكتاب)** في مجلة الخفجي. وقد عرضت في عدد تموز لعام ١٩٨١ كتاب [أبو الحسن بن كيسان وآراؤه في النحو واللغة] وهو من تأليف علي مزهر الياسري ومراجعة محمد رجب السامرائي. ونذكر كذلك، زاوية **(من ثمرات المطابع)** في مجلة هنا لندن. وفي عدد كانون أول لعام ١٩٨١ تم عرض كتاب [الحركات والاتجاهات في الشعر العربي المعاصر] وهو من تأليف د. سلمى الخضراء الجيوشي. ومنها أيضا زاوية **(عرض الكتب)** في المجلة العربية للتربية. وفيها يتم عرض أحد الكتب الأجنبية التربوية. وفي عدد أيلول لعام ١٩٨٢ عرض الدكتور عبد القادر يوسف كتاب [كَوْني محظوظاً ــ ذكريات وتأملات]. ولا ننسى زاوية **(كتب في البحث التربوي)** في المجلة العربية للبحوث التربوية، وفيها تتم مراجعة بعض أحدث الكتب الأجنبية الخاصة بالبحث التربوي. ومما تمت مراجعته في عدد شباط لعام ١٩٨٤:

أ ــ تحسين القياس في التربية وعلم النفس. ب ــ نظريات القياس في العلوم السلوكية. جـ ــ مدخل في بناء السلالم. د ــ أساليب الاحصاء. هـ ــ لعب الأطفال.

ومن الزوايا الأخرى زاوية **(مراجعة كتب)** في مجلة الناشر العربي. وفي عدد شباط لعام ١٩٨٤ روجعت الكتب التالية:

أ ــ [مولاي السلطان] لحسن الحفصي وهي مسرحية لعز الدين المدني، راجعها عبد الله القويري.

ب ــ [يوميات الصمود والحزن] شعر هارون هاشم رشيد، مراجعة عبد الرؤوف الخنيسي.

جـ ــ [العبور إلى الحب والخوف من الحرية] مراجعة سليمان كشلاف. وهناك زاوية **(كتب جديدة)** في مجلة الثقافة العالمية التي يصدرها المجلس الوطني الكويتي للثقافة والعلوم والفنون. ومن الكتب الأجنبية التي قام قصي هاشم باعدادها وعرضها في عدد نيسان لعام ١٩٨١:

أ ــ [من القردة إلى ملاحي الفضاء] تأليف ادريان بيري.

ب ــ [بريطانيا ويهود أوروبا] تأليف برنارد واسرتين.

جـ ــ [الطبيعة تصرخ من أجل الحماية] تأليف بوري سيناكوف.

د ــ [النظافة العامة في الأقطار المتطورة] تأليف أرنولد باسي.

ونذكر أيضا زاوية **(مكتبة الثقافة)** في مجلة الثقافة العربية التي تصدر في ليبيا. ومن كتب عدد تشرين ثاني لعام ١٩٨١: أ ــ عمر المختار، نشأته وجهاده. ب ــ مخلفات الحرب العالمية والانسان الليبي.

○ زوايا المراجعة والتحليل :

تقدم بعض المجلات العربية زوايا لتحليل الكتب العربية والأجنبية تحليلاً مطولا ومفصلا يتخطى حدود النقد السريع أو العرض الموجز. من ذلك مثلا زاوية **(كتاب الشهر)** في مجلة

العربي وفيها يتم تحليل أحد الكتب الأجنبية الهامة. ونادرا ما يكون الكتاب عربيا في هذه الزاوية ومما تم تحليله في عدد شباط لعام ١٩٧٩ كتاب [من أجل مستقبل البشرية] من تحليل ياسر الفهد، وفي عدد كانون ثاني لعام ١٩٧٤ كتاب [ديناميكية الأزمة العالمية] من تحليل د. عبد الرحمن الحبيب، وفي عدد حزيران لعام ١٩٨٤ كتاب [سيرة محمد] من تحليل د. محمد الموافي. وهناك أيضا زاوية (**رحلة في كتاب**) في مجلة الفيصل، وهي أشبه ما تكون بزاوية كتاب الشهر في العربي. ومن بين ما قدمته في عدد تشرين أول لعام ١٩٨٠ كتاب [حضارة العرب ومراحل تطورها] من تحليل د. عبد الجبار السامرائي وفي عدد نيسان لعام ١٩٨٤ كتاب [الطاقة النووية في العالم النامي] تحليل عدنان عضيمة، وفي عدد كانون أول لعام ١٩٧٩ كتاب [سر ألف ليلة وليلة] من تحليل د. نعيم عطية. ومن الزوايا الأخرى زاوية (**كتاب الشهر**) في مجلة الكويت. وهي زاوية غير ثابتة كما هو الحال في (زاويتي مجلتي العربي والفيصل). ومما تم عرضه وتحليله كتاب [الأطلال على آفاق الفن] من تحليل مختار عطارة، في العدد عشرين من المجلة. ومن الزوايا الأخرى زاوية (**كتاب الشهر**) في مجلة بلسم التي يصدرها الهلال الأحمر الفلسطيني. وفي عدد حزيران لعام ١٩٨٣ عرضت المجلة وحللت كتاب [الشرق في مرآة الغرب.] ولا ننسى زاوية (**كتب**) في مجلة المستقبل العربي. ومن بين ما تم تحليله في عدد آيار ١٩٨١:

أ ــ [خطط التنمية العربية واتجاهاتها التكاملية والتنافرية] وهو من تأليف د. محمود الحمصي وتحليل د. زكي فتاح.

ب ــ [حبال الرمال] قام بتحليله د. غسان سلامة. ونذكر أيضا زاوية (**مراجعات وعرض الكتب**) في المجلة العربية للعلوم الانسانية التي تصدرها جامعة الكويت. ومما تم تحليله في عدد المجلة الصادر في صيف عام ١٩٨٢:

أ ــ [الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث] من تأليف ز.ك. ليفين. ترجمة بشير السباعي. مراجعة حامد خليل.

ب ــ [العروبة والعلمانية] وهو من تأليف جوزيف مغيزل ومراجعة نور الدين حاطوم.

جـ ــ [سرور النفس بمدارك الحواس الخمس] وقد ألفه أبو العباس التيفاشي وحلله محمد إحسان النص.

○ الكتب والزوايا الثقافية والعامة :

تهتم كثير من المجلات العربية بعرض الكتب وتحليلها ومراجعتها ضمن موادها الثقافية أوالعامة دون تخصيص زوايا خاصة بالكتب ذات عناوين معينة. فهناك **المجلة الثقافية** التي تصدرها الجامعة الأردنية **وهي** تهتم بقضايا الكتب ضمن موادها العامة. ففي عدد أيلول لعام ١٩٨٣م، مثلا ، عرض ابراهيم السمان كتاب [مدخل إلى الشعر الأسود الأميركي] وهو من تأليف السيد أحمد مرسي. ونذكر أيضا **مجلة أفكار** التي تصدرها دائرة الثقافة والفنون الأردنية وقد عرضت هذه المجلة وراجعت في عددها الصادر في شهر تموز لعام ١٩٨٠ مجموعة من الكتب نذكر منها:

أ ــ [الموشح] تأليف المرزباني وتحليل د. محمد علوي مقدم.

ب ــ [العودة من الشمال] تأليف فؤاد القسوس مراجعة سمر روحي الفيصل.

جـ ــ [إمارة الكرك الأيوبية] وقد قام بتأليفه د. يوسف غوانمة وراجعه نايف نوايسة.

د ــ [الأمثال الشعبية في الأردن] وهو من تأليف د. هاني العمد ومراجعة عيسى فتوح.

هـ ــ [لمحات من ماضي الكويت] وقد ألفه يوسف التركي وراجعه محمود زيودي.

ولا ننسى أيضا **مجلة الكويت** التي كثيراً ما تنشر مراجعات للكتب خارج نطاق زاويتها كتاب الشهر. ففي العدد عشرين من المجلة مثلا راجع الدكتور عبد الرحمن العيسوي كتاب [الطب النبوي] وهو من تأليف الإمام شمس الدين بن عبدالله. وتهتم **مجلة الفكر العربي المعاصر** التي يصدرها مركز الانماء القومي في بيروت بالكتب ضمن زاويتها الثقافية. وفي عدد نيسان لعام ١٩٨١ مثلا، قدم ابراهيم العاصي تحليلا لكتاب [اللسانيات التوليدية] وهو من تأليف الدكتور عادل فاخوري. أما **مجلة جيش الشعب** الأسبوعية التي تصدرها الإدارة السياسية السورية، فقد نشرت في عدد ١٥ أيار لعام ١٩٨٤ تحليلا لكتاب صميم الشريف [الأغنية العربية] أجراه الدكتور غزوان الزركلي.. ومن المجلات العربية الأخرى التي تهتم بالكتب الأجنبية والعربية ولا سيما منشورات وزارة الثقافة السورية مجلة المعرفة، ومن بين ما عرضته في عدد كانون أول عام ١٩٦٩:

أ ــ [الطلسم] وهي مجموعة قصصية ألفها الكاتب الجزائري محمد ديب وعرضها ظافر عبد الواحد.

ب ــ [محمد بن موسى الخوارزمي] وهو من تأليف زهير الكتبي وعرض هشام الدجاني. والكتابان من منشورات وزارة الثقافة السورية.

جـ ــ [آثار فلسطين] وقد ألفته مجموعة من المؤلفين البولونيين وراجعه د. صالح الحمارنة .

د ــ [التعليم في اسرائيل] وهو من تأليف : د. منير بشور وخالد يوسف ومراجعة ميشيل كيلو.

هـ ــ [أقبية الدم] شعر صدر الدين الماغوط، مراجعة عادل أبو شنب. كما تعنى **مجلة الموقف الأدبي** التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب في دمشق بعرض الكتب الأدبية ومراجعتها ومن بين ما عرضته في عدد آب لعام ١٩٧٩:

أ ــ [رواية الزلازل] من تأليف الطاهر وطار وعرض أحمد دوغان.

ب ــ [رواية النقيض] وهي من تأليف د. أفنان القاسم وعرض مفيد نجم.

جـ ــ [الحصار] شعر علي سليمان وعرض محمد منذر لطفي.

○ الكتب والأعداد الخاصة :

يصل اهتمام بعض المجلات العربية بمراجعات الكتب وتحليلاتها إلى حد أنها تعمد أحيانا إلى إصدار أعداد خاصة بعرض الكتب. من ذلك مثلا **مجلة عالم الفكر** التي تتبع وزارة الإعلام الكويتية. فهي بين كل حين وآخر تخصص أحد أعدادها للكتب الأجنبية، ولا سيما في الأشهر التي تلي معرض الكتب الذي يقيمه المجلس الوطني الكويتي للثقافة والعلوم والفنون كل عام. وفي عدد آذار لعام ١٩٨١ تمت مراجعة وتحليل الكتب الأجنبية التالية :

أ ــ [التفرقة العنصرية] تحليل فاروق العادلي.

ب ــ [النظرية الماركسية السياسية] تحليل عبد الرحمن خليفة.

جـ ــ [الشعر الانكليزي والرواية في الخمسينات] تحليل أمين العيوطي.

د ــ [حياة غريبة] تحليل أحمد محمود صبري.

هـ ــ [منع التلوث] تحليل عبد العزيز أمين.

و ــ [من أجل تقدم كوكبنا الصغير] تحليل ياسر الفهد.

ز ــ [متوحشون وملوك] تحليل حافظ الأسود.

ح ــ [مالتوس والسكان] تحليل أمل الصباح.

ط ــ [سكان أميركا والاتجاه نحو الثبات] تحليل محمد الشرنوبي.

أما **مجلة الفكر العربي** التي يصدرها معهد الانماء العربي، فانها عندما تصدر عددا خاصا بموضوع معين، تعمد أحيانا، إلى إتباعه بعدد آخر خاص ومراجعات الكتب العربية والأجنبية التي تدور حول الموضوع نفسه، وعندما أصدرت المجلة خلال عام ١٩٨١

عدد الفكر السياسي العربي، أتبعته بعدد آخر خاص بالكتب، وهو عدد تشرين أول لعام ١٩٨١. ومن بين الكتب التي تمت مراجعتها أو تحليلها في العدد المذكور :

أ — [نظام الخلافة في الفكر الإسلامي] تأليف د. مصطفى حلمي، مراجعة محمد فرحات.

ب — [نظرة إلى تطور الفكر السياسي الإسلامي] تأليف د. محمد جلال شرف، ومراجعة د. مروان قباني.

جـ — [الفلسفة السياسية عند الفارابي] تأليف عبد السلام بن عبد العالي، مراجعة سامي عياش.

د — [القرآن والدولة] تأليف د. محمد أحمد خلف الله، مراجعة د. رضوان السيد.

هـ — [أعلام الفكر السياسي] تأليف موريس كرانستون، مراجعة فيصل جلول.

و — [فكر هيجل السياسي] تأليف برنار بورجوا، مراجعة د. جورج كتورة.

ز — [معنى الأمة] تأليف ماريو البرتيني، مراجعة هشام القروي.

ح — [تدخل الدول العظمى في الشرق الأوسط] تأليف بيتر مانجولد، مراجعة ياسر الفهد.

ط — [حول خاصية المصطلح في السياسة] تأليف جاك سيفالييه، مراجعة د. خليل أحمد خليل .

ي — [أزمة الدكتاتورات] تأليف نيكوس بولنزاس، مراجعة يزيد صايغ.

ك — [الناصرية، البيروقراطية والثورة] تأليف د. أسعد عبد الرحمن، مراجعة علي عامر.

ل — [إطلالة على التجربة الثورية لجمال عبد الناصر] تأليف د. جمال الأتاسي، مراجعة محمد سليم طبّارة.

م — [نافذة على المستقبل] تأليف د. سليم الحص، مراجعة حازم صاغية.

ومن جهة ثانية، فإن بعض المجلات تصدر أعدادا خاصة بموضوع معين، وكل عدد منها يعد بمثابة كتاب كامل. ولمثل هذه الأعداد أهمية كبيرة لأن المجلات تطبع عشرات الآلاف من النسخ تقريبا لكل عدد، في حين أن ما يطبع من كل كتاب عربي يتراوح وسطيا بين ٢ إلى ٥ آلاف نسخة. ونسوق كأمثلة **مجلة البحوث التاريخية** التي تتبع مركز الجهاد الليبي، فقد خصصت عددها الأول في عامها الثالث لموضوع (تجارة القوافل عبر الصحراء). وكذلك **مجلة العرفان** التي خصصت عددها الصادر في شهر شباط من عام ١٩٧٦ لموضوع (أديب اسحق باعث النهضة القومية) وهو للكاتب السوري عيسى فتوح. ولا ننسى **مجلة العربي** التي تصدر عددا فصليا خاصا بموضوع معين كل ثلاثة أشهر. وقد خصصت كتابها الثالث الصادر في شهر تموز من عام ١٩٨٤ لموضوع (المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة).

○ مجلات الكتب :

تصدر في بعض الأقطار العربية مجلات متخصصة بالكتب حيث نجد جميع صفحاتها مكرسة لهذه الغاية.

ومن هذه المجلات مثلا مجلة **(عالم الكتب)** التي تصدرها دار ثقيف للنشر في الرياض.

وهذه المجلة تعرض بعض الكتب عرضا واسعا مفصلا، وتُعَرِّفُ ببعضها الآخر تعريفا مختصرا، كما أنها تراجع وتحلل. وإذا اطلعنا على عدد أيار لعام ١٩٨٠ من المجلة نجد أنه يتضمن ما يلي:

١ — في زاوية **(كِتاب العدد)** عرض أحمد عبد القادر المهندس كِتاب (الزمن الرابع في المملكة العربية السعودية) عرضا موسعا ومفصلا.

٢ — في زاوية **(من الكتب الحديثة)** تم التعريف بعشرات الكتب من جميع أنواع المعارف تعريفا سريعا ومن بين هذه الكتب :

أ ــ [فهرس مخطوطات المكتبة الوطنية] لسيد عبدالله انوار.

ب ــ [جمالية الفن العربي] للدكتور عفيف بهنسي، وقد صدر ضمن سلسلة عالم المعرفة.

جـ ــ [الصحافة الكويتية] لأحمد بدر.

د ــ [الخدمة المكتبية الريفية] لعبد الستار الحلوجي.

هـ ــ [الصحافة العربية] لراج وليم (كتاب اجنبي).

و ــ [حركة التأليف والنشر في السعودية] ليحيى الساعاتي.

ز ــ [مناهج البحوث وكتابتها] ليوسف مصطفى القاضي.

ح ــ [الانسان الحائر بين العلم والخرافة] لعبد المحسن صالح.

ط ــ [تصنيع الشرق الأوسط] للويس تيرنر.

٣ ــ في فصل **(المراجعات)** تمت مراجعة عدة كتب من بينها:

أ ــ [التاريخ الطبيعي للمملكة العربية السعودية] وهو من تأليف ك. تبنوني ومراجعة جعفر ابراهيم التاي.

ب ــ [فهرس المطبوعات الحكومية] مراجعة ناصر محمد السويدان.

٤ ــ في زاوية **(أخبار موجزة من عالم الكتب)** تمت الاشارة إلى كتب عديدة من الدول العربية والعالم مع الاكتفاء بذكر عنوان الكتاب ومؤلفه ومكان صدوره والجهة التي أصدرته. ومن بين الكتب التي وردت في الزاوية :

أ ــ [أرطاة بن سهية] لعبد العزيز الرفاعي.

ب ــ [الآلة تسرقني] لسليمان الحماد.

جـ ــ [التدخين وأثره على الصحة] لمحمد علي البار.

وتنشر **مجلة عالم الكتب** أيضا اعلانات عن الكتب وعناوين مؤلفيها مما يساعد القراء على الحصول من المؤلفين مباشرة على الكتب التي لا يستطيعون الوصول إليها بواسطة المكتبات العامة.

○ الصحافة العربية وقضايا الكتاب :

تهتم الصحافة العربية أيضا، بالاضافة إلى كل ما سبق، بنشر الكتابات التي تعالج مشكلات الكتاب العربي وقضاياه، ولا سيما في هذا الزمن الصعب الذي يتعرض فيه الكتاب إلى شتى أنواع القيود. ومن المجلات التي تهتم بحكم تخصصها وأهدافها إهتماما خاصا بعرض قضايا الكتاب العربي مجلات **(الناشر العربي والكاتب العربي والمجلة العربية للثقافة)**. ففي عدد حزيران لعام ١٩٨٣ نشرت مجلة الناشر العربي من بين ما نشرت الموضوعات التالية (المؤثرات الأجنبية في الكتاب العربي) لبشير الهاشمي، (الكتاب وطموحات الواقع العربي) للدكتور عماد حاتم، (معوقات حركة الكتاب العربي) للدكتور عبد الله محمد الشريف، (الكتاب العربي بين التقدم والتخلف) لبهيج عثمان. وفي عدد تموز لعام ١٩٨٢ نشرت مجلة الكاتب العربي، التي يصدرها الاتحاد العام للأدباء العرب، من بين ما نشرت مقال (محاولة طرح لقضية الكتاب العربي) لبشير الهاشمي، كما نشرت المجلة العربية للثقافة في عدد آذار لعام ١٩٨٣ مقال (واقع الكتاب في السبعينات وآفاقه في الثمانينات) لبشير الهاشمي أيضا. وتهتم مجلات عربية أخرى كثيرة بمشكلات الكتاب وقد نشرت **مجلة شؤون عربية** التي تصدرها وحدة المجلات في الجامعة العربية، في عدد شباط لعام ١٩٨٤ (نص ندوة عن الكتاب المدرسي) أدارها جهاد فاضل واشترك فيها د. أحمد صيداوي ود. زهير حطب ود. محمد علي موسى ود. نخلة وهبة. أما **مجلة التربية القطرية** فقد نشرت في عدد نيسان لعام ١٩٧٤ مقالا بعنوان (الكتاب العربي والقارىء) لعبد الجعفر الدجيلي. ونشرت **مجلة المعرفة السورية** في عدد تموز لعام ١٩٨٤ مقال (الكتاب السوري كما ونوعا) لسميح العيسى.

○ **الكتاب والصحف العربية :**

لقد اقتصرنا حتى الآن على اظهار دور المجلات العربية في عرض الكتب. ولا شك أن للصحف أيضا دورا مماثلا لدور المجلات في هذا المجال، وإن كان يقل عنه أهمية إلى حد ما، نظرا لأن اهتمام الصحف يتركز بالدرجة الأولى على النواحي السياسية. ويتراوح دور الصحف بين إيراد خبر صدور الكِتاب وبين المراجعة المفصلة وسنكتفي هنا بايراد بعض الأمثلة القليلة: فهناك مثلا **صحيفة الثورة السورية** التي تنشر في كل عدد من أعدادها وضمن زاوية (عالم الكتب) خبرا عن صدور كتاب هام. وفي عدد ٢٥ آب لعام ١٩٨٤ كان عنوان الكِتاب (الطاعون) وهو من تأليف البير كامو وترجمة د. سهيل ادريس وقد صدرت منه طبعة جديدة.

وفي عدد ٢٥ آب من **صحيفة تشرين السورية** ورد خبر عن صدور كِتاب (إني أواصل الأرق) وهو من تأليف سليمان العيسى ومن منشورات دار طلاس للنشر. وفي عدد ٢٤ تشرين ثاني لعام ١٩٨٤ أوردت **صحيفة الرأي العام الكويتية** خبرا عن صدور كتاب (فن العمارة في الكويت) وهو من تأليف الكاتب البريطاني ستيفن غاردنر.

أما **صحيفة القبس الكويتية** فقد نشرت خلال شهر ذي الحجة من عام ١٤٠٤ هـ تحليلا موسعا على حلقات لكِتاب (البحر الأحمر والصراع الاقليمي والدولي) وقد صدر هذا الكتاب الهام عن مركز دراسات الوحدة العربية .

المكتبات الإسلامية في مصر في العصر الفاطمي

عبد الله صالح بن عيسى

رئيس قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب والعلوم الانسانية

جامعة الملك عبد العزيز

أخذت مصر منذ مستهل النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تحتل مكاناً مرموقاً بين الدول المجاورة لها، فقد أصبحت على أيدي الفاطميين مقر دولة تنافس العباسيين الذين كانوا إذ ذاك لا يزالون يبسطون سيادتهم على كثير من أقطار العالم الإسلامي .

على أن أهم ما اتصف به العصر الفاطمي في مصر هو النهضة التي ظهرت آثارها في جميع نواحي الحياة المصرية ، إذ رأى الفاطميون أن تعزيز دولتهم ونجاح سياستها الخارجية لا يتم تحقيقهما الا بتنمية موارد الثروة، ومن ثم بذلوا قصارى جهدهم في هذا السبيل، فَعَمَّ الرخاء وعمرت خزائنهم بالمال .

وكان لوفرة ثروة الفاطميين واعتمادهم في نشر دعوتهم على الشعراء والكتاب وغيرهم من رجال الأدب، واهتمامهم بانشاء المعاهد العلمية أثر كبير في خلق نهضة ثقافية في مصر، فأصبح كثير من أبنائها طلابا للعلم وأنصارا للأدب، كما وفد إلى معاهدها بالقاهرة كثير من أعلام المشرق سعياً إلى موارد العلم .

وكان من نتائج تلك الحركة العلمية النشطة أن تعددت المراكز الثقافية في المساجد ودور العلم وقصور الخلفاء وكبار رجال الدولة، وانتشرت في تلك المراكز العلمية، المكتبات العامرة بالكتب في شتى فروع العلم، فقد كانت خزائن الكتب مظهرا من مظاهر الحياة الثقافية والدينية في مصر.

فكانت المساجد مثابة للعلماء، وخاصة فقهاء الدين الذين كان عليهم أن يحاضروا الناس في علومه. وكان بعض الوزراء والقضاة يشتركون في تأليف كتبه يدرسها الأساتذة في تعليم الناس، ومن أعظم تلك الكتب ما أَلَّفَهُ يعقوب بن كلس في الفقه، وهو وزير المعز لدين الله الفاطمي ثم وزير ولده العزيز من بعده. وكان للجامع الأزهر بالذات أثر كبير في النهوض بالحياة الثقافية في مصر في ذلك العصر. وقد ظهرت به فكرة الدراسة في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي .

على أن الجامع الأزهر سرعان ما لبث أن فاقت شهرته جميع المساجد الجامعة في مصر منذ حَوَّله الوزير يعقوب بن كلس سنة ٣٧٨ هـ ــ في عهد العزيز ــ إلى جامعة للدراسة بعد أن كان مقصورا على الدعوة الفاطمية، واستأذنه في أن يعين به بعض الفقهاء للقراءة والدرس، على أن يعقدوا مجالسهم بهذا الجامع في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر،وأنشأ لهم دارا للسكنى بجوار الأزهر .

وكان أولئك الفقهاء أول الأساتذة الرسميين الذين عُينوا بالجامع الأزهر، وباشروا مهمتهم العلمية تحت إشراف الدولة. ولقد رغب الخلفاء الفاطميون في جعله من الأهمية وعظم الشأن

بحيث يجذب طلاب العلم من كافة أرجاء البلاد الإسلامية. ولكي يشجع الطلاب «وطنيين وأجانب» كان يقدم إليهم المأكل والمسكن وكل ما يوفر عليهم وسائل المعيشة وأسباب الراحة من غير أجر.

وكان للأزهر مكتبة عامرة بالكتب في شتى ألوان المعرفة يعتمد عليها الفقهاء وطلابهم في رسالتهم العلمية. وظل الأزهر مركز الفقه الفاطمي إلى أن بني جامع الحاكم بأمر الله فانتقل اليه الفقهاء لإلقاء دروسهم وألحق به أيضا مكتبة كبيرة لخدمة الدارسين نقل إليها كثير من المصاحف والكتب .

ولم يقتصر انتشار المكتبات في العصر الفاطمي على المساجد، وإنما تعداها إلى قصور الخلفاء وكبار رجال الدولة، فقد اتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة، فألحقوا بها المكتبات، وكان أهمها جميعا تلك المكتبة الضخمة التي كان مقرها القصر الكبير الشرقي مقر الخليفة الفاطمي، وقد أشاد المؤرخون بعظمتها وندرة ما تحتويه من مصنفات، حتى تميزت هذه المكتبة على غيرها من مكتبات العالم الإسلامي بما في خزائنها من كتب قيّمة.

فكانت تحتوي على أعداد ضخمة من الكتب في سائر العلوم والفنون في الفقه واللغة والحديث والتاريخ والسيَر والفلك والكيمياء ومجموعة نادرة من المصاحف الكريمة ، بالاضافة إلى مجموعات كبيرة من الكتب في الطب والفلسفة والرياضيات، فكان كبار العلماء في هذا العصر يُصنّفون الكتب في تخصصاتهم ويتم نسخها وتحفظ في خزانة القصر .

وكانت مكتبة القصر على درجة كبيرة من التنظيم بحيث يسهل على القارىء الحصول على أي كتاب في يُسْر، فكانت الكتب موضوعة في قاعة ضخمة مستديرة بها مقاعد للجلوس ومناضد للقراءة والنسخ، وباستدارة القاعة خزائن الكتب التي تبلغ أربعين خزانة، وكل خزانة مقسمة إلى عدد من الرفوف التي تفصل بينها حواجز داخلية، ويحوي كل حاجز على الكتب الخاصة بأحد فروع العلم والمعرفة، وعلى كل خزانة فهرس بما تشتمله من الكتب ومؤلفيها. وقد بلغت مقتنياتها ما يزيد على مائة ألف مجلد .

وقد اهتم الخلفاء الفاطميون إهتماما كبيرا بتزويد مكتبة القصر بالكتب النادرة في كل علم وفن، واقتناء العديد من النسخ للكتاب الواحد حتى يتيحوا الفرصة لأكبر عدد من القراء من الاطلاع عليه. وكان تجار الكتب يعرضون على موظفي مكتبة القصر أندر الكتب التي يعثرون عليها.

وكثيرا ما كان الخليفة الفاطمي يزور خزانة الكتب في القصر الشرقي ويَمْثُل بين يديه أمين الخزانة ويأتيه بمصاحف مكتوبة بأقلام المشاهير من الخطاطين، ويعرض عليه ما يقترح شراءه من الكتب أو ما يريد الخليفة حمله لقراءته في مجلسه الخاص .

وكانت مكتبة القصر تشتمل على قاعة خارجية يُسْمَحُ فيها لعامة الناس بالقراءة والنسخ .

أما وظيفة متولي الكتب بالقصر، فكانت من الوظائف الكبيرة في الدولة الفاطمية تُسْنَدُ إلى كبار العلماء والفضلاء، وأحيانا تُسْنَدُ إلى «جليس الخليفة» الذي يشرف على تعليمه وتثقيفه، ولعل ذلك كان راجعا إلى أنه كان يمد الخليفة بالمفيد من الكتب التي تساعده في أداء مهام الحكم.

وقد كانت مكتبة القصر هي المصدر الرئيسي الذي يقوم بتزويد مكتبات المساجد والمراكز الثقافية الأخرى بحاجتها من الكتب ليتمكن الطلاب والقائمون بالتدريس من الاطلاع عليها والنسخ منها.

وإلى جانب مكتبة القصر، كان وزراء الدولة الفاطمية يحتفظون بمكتبات ضخمة في قصورهم تحوي الآلاف من الكتب النفيسة، فكان الوزير يعقوب بن كلس يشجع العلوم والفنون،

ويجمع الاجتماعات الكبيرة في بيته كل يوم خميس، ويقرأ على المجتمعين مؤلفاته. وكان يحضر هذه الاجتماعات القضاة والفقهاء، وأساتذة القراءات، والنحاة، وعلماء الحديث وكبار رجال الدولة وأصحاب المواهب الممتازة، وكان يتقدم إليه الشعراء حين ينتهي الاجتماع فينشدونه مدائحهم.

وكان يجمع في قصره عدداً كبيراً من الموظفين، يشتغل بعضهم بكتابة نسخ من القرآن الكريم، وبعضهم ينسخ شيئا من كتب الحديث والفقه والأدب وبعض كتب العلوم. وكان يحتفظ بالكتب في مكتبة داره ليطّلع عليها زواره، ومن يجتمع في مجالسه من رجال الأدب والعلم .

وكان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي يملك مكتبة عظيمة بلغ عدد الكتب فيها خمسمائة ألف كتاب، وكان شغوفا باقتناء الكتب وضمها لمكتبته، ويروى أن رجلا عراقيا جاء إلى مصر لشراء الكتب وأنه استطاع أن يحصل على صفقة كبيرة من مكتبة أحد الأطباء المشهورين في ذلك الوقت مقدارها عشرة آلاف كتاب. وعلم الأفضل بخبر هذه الصفقة، فساءه أن تخرج تلك الكتب من الديار المصرية فأصدر أوامره باسترداد الكتب من التاجر العراقي وضمها إلى مكتبته، ومنح الطبيب القيمة المتفق عليها.

وإن دل ذلك على شيء فانما يدل على أن الأطباء والعلماء ورجال الفكر في مصر في العصر الفاطمي كانوا يمتلكون في دورهم مكتبات خاصة تضم مجموعات كبيرة من الكتب القيمة لدرجة أن مكتباتهم كانت موضع اهتمام تجار الكتب ومحبي اقتنائها، فعند وفاة أحد العلماء كان يتسابق هؤلاء لاقتناء ما قد يباع من كتبه خشية وقوعها في يد من لا يعرف قدرها، ومن أمثلة ذلك ما حدث عند وفاة العالم النحوي المصري عبدالله بن بري، وعرضت كتبه للبيع فسارع لشرائها الجم الغفير من الاجلاء بمصر.

ومن المكتبات الشهيرة في العصر الفاطمي تلك المكتبة التي عرفت باسم «دار العلم»، وقد أمر بانشائها الخليفة الحاكم بأمر الله لتكون ملحقة بدار الحكمة التي أسسها سنة ٣٩٥هـ. وقد عرفت دار الحكمة بهذا الاسم لتكون رمزا للدعوة الفاطمية لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة. وقد حوت مكتبة «دار الحكمة» أو مكتبة «دار العلم» الكثير من الكتب في سائر العلوم والآداب، من فقه ولغة ونحو وكيمياء وطب. وكانت مكتبة القصر الفاطمي تقوم بتزويدها بما تحتاجه من كتب في شتى ألوان المعرفة. وقد سُمِحَ لسائر الناس على طبقاتهم التردد عليها.

ولقد حظيت المكتبات باهتمام الخلفاء الفاطميين، فقد كانوا يعتبرون المساجد والمكتبات وسائل لنشر دعوتهم، فقد كانوا يُعلّمون فيها العقائد الإسلامية. لذلك بذل الخلفاء جهودا خاصة لبناء مساجد جديدة وتأسيس مكتبات كبيرة. ولم يقصروا عن وقف الأوقاف وبذل العطايا والهبات للمساجد، كما نقلت إلى المكتبات من مكتبة القصر نسخ من القرآن الكريم مختلفة الأشكال والأحجام وكتب أخرى في مختلف ألوان المعرفة .

وهكذا ازدهرت الحركة العلمية والأدبية في العصر الفاطمي بمصر بفضل تعضيد الخلفاء الفاطميين وبعض وزرائهم لها واهتمامهم بخزائن الكتب وتعميرها بالكتب المتنوعة وفتحها أمام الناس ليستزيدوا بما تحويه من صنوف العلم. فقد فتح المعز أبواب قصره للعلماء والطلاب، وأباح لهم جميعا الاطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر، وحذا الخلفاء من بعده حذوه، فصاروا يعقدون المجالس الأدبية بقصورهم، ويدعون إليها الفقهاء والعلماء والأدباء، فيتناظرون بحضرتهم. ولم تكن هذه المجالس تقل في قيمتها التعليمية عن الدروس التي تلقى بالجامع الأزهر أو بدار الحكمة.

وللأسف لم تُترك تلك المكتبات العظيمة التي أوجدها الخلفاء

الفاطميون تؤدي دورها في خدمة طلاب العلم ومريديه بل امتدت إليها يد العابثين. فقد فقدت مكتبة القصر الفاطمي عددا غير قليل من الكتب القيّمة التي كانت بها في غضون الشدة العظمى التي حلت بمصر في عهد المستنصر بالله، فاستولى الجند والأمراء على كثير من الكتب مما في خزانة القصر. كما أحرق بعضها بفعل المتعصبين ضد الدولة الفاطمية. وعلى الرغم من ذلك كله، فقد بقي في خزائن القصر بعض كتب لم تصل إليها يد العبث، واستطاع الفاطميون فيما بعد أن يعوضوا بعض ما فقدوه، فجلبوا إلى مكتبة القصر كثيرا من الكتب الجديدة حتى أصبح في قصر العاضد آخر خلفاء الفاطميين مكتبة كبيرة.

كما امتدت يد العبث والنهب والتدمير إلى مكتبة دار العلم، فأحرق وأغرق بالنيل العديد من الكتب القيّمة التي لا يمكن تعويضها.

وفي النهاية فانه يمكن القول أن خزائن الكتب في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء والعلماء والأدباء لعبت دورا كبيرا في الحياة الثقافية والفكرية في العصر الفاطمي، كان من أثره ظهور طائفة كبيرة من المؤرخين والأدباء والعلماء والفلاسفة والأطباء. فاشتهر من المؤرخين في العصر الفاطمي الأمير المختار عز الملك المعروف بالمسبحي المتوفي سنة ٤٣٠ هـ، صاحب التاريخ الكبير المسمى «تاريخ مصر»، وأبو عبدالله القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤هـ، صاحب كتاب خطط مصر المسمى «المختار في ذكر الخطط والآثار». وكان هذا الكتاب عونا للمقريزي في كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار». ومن الكُتّاب المؤرخين أيضا ابن منجب الصيرفي صاحب كتاب «قوانين الدواوين».

كذلك نبغ في العصر الفاطمي بعض العلماء من أمثال أبي علي محمد بن الحسن الهيثم (ت ٤٣٠هـ)، وأصله من البصرة ثم أتى مصر بدعوة من الحاكم بأمر الله لما بلغه أن له نظرية هامة في توزيع مياه النيل، وكان ابن الهيثم مصدر حركة فلسفية كبيرة، وخاصة الطبيعيات والرياضيات وقد ألف نحو مائتي كتاب في الرياضة والطبيعة والفلسفة.

واشتهر من الأطباء والفلاسفة أبو الحسن علي بن رضوان وهو مصري المولد (ت ٤٦٠ هـ) وأصبح بفضل جده واجتهاده رئيس الأطباء في البلاد الفاطمية. وله كتب كثيرة في الطب والفلسفة والمنطق.

* * *

مصادر البحث

- البراوي، راشد: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨، ص ١٦٢.
- حسن، حسن ابراهيم: تاريخ الدولة الفاطمية. القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤، ص ٤٢٦ — ٤٣٥، ٥٦٥ — ٥٦٦.
- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢. القاهرة، مطبعة بولاق، ١٣١٠ هـ، ص ٣٣٤.
- سرور، محمد جمال الدين: الدولة الفاطمية في مصر. القاهرة، دار الفكر العربي، ١٣٩٠ هـ (١٩٧٠م)، ص ص ١٧٤ — ١٨١.
- السيوطي، جلال الدين: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جـ٢. القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٢١ هـ، ص ١٥١.
- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، جـ٣. القاهرة، دار الكتب، ١٩١٤، ص ٤٧١.
- أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ٤. القاهرة، دار الكتب، ١٩٣٣، ص ١٠١.
- المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٧٠ هـ (جـ ١، ص ٤٠٨، ٤٥٨)، (جـ ٢ ،ص ٢٧٣ — ٢٧٥، ٣٤٢).

المخطوطات

البسيط في التفسير للواحدي

بهاء الدين عبد الرحمن

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

صاحب هذا التفسير هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي[١] لم يذكر الذين ترجموا له سنة مولده ولكنهم يذكرون أنه تلمذ لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ فيكون مولده ـــ على الأغلب ـــ في العقد الأول من القرن الخامس أما وفاته فقد كانت في جمادى الآخرة سنة ٤٦٨ هـ ومولده ووفاته بنيسابور[١].

يعد الواحدي «أستاذ عصره في النحو والتفسير ورزق السعادة في تصانيفه وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون في دروسهم منها البسيط في تفسير القرآن الكريم وكذلك الوسيط وكذلك الوجيز .. وله كتاب أسباب النزول والتحبير في شرح أسماء الله الحسنى.وشرح ديوان أبي الطيب المتنبي شرحاً مستوفى»[٢].

«قرأ الحديث على المشايخ وأدرك الإسناد العالي وسار الناس إلى علمه واستفادوا من فوائده..»[٣].

ومن شيوخه أبو الفضل العروضي وأبو الحسن الضرير القهندري النحوي[٤] وقد تخرج به طائفة من الأئمة من أشهرهم أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني الذي تخصص بصحبته والأخذ عنه وسماع التفسير منه[٥] ومن يطلع على تفسيره (البسيط) يعلم «مقدار ما عنده من علم العربية»[٦].

تحدث عنه معاصره صاحب دمية القصر، فقال: «خبط ما عند أئمة الأدب من أصول كلام العرب خبط عصا الراعي فروع الغرب، والقى الدلاء في بحارهم حتى نزفها ومد البنان إلى ثمارهم حتى قطفها .. فسما أنشدني لنفسه قوله وقد دخل على الشيخ الإمام أبي عمر سعيد بن هبة الله الموفق وهو في كتّابه يتعلم الخط ويكتب :

إن الربيع بحسنه وبهائه يحكيهما خط الرئيس أبي عمرْ

فكأنه في الدرج يرقم كاتباً ولي لطاف بنانه فتق الزهرْ

خط غدا ملء العيون ملاحةً متنزها للحظ قيداً للبصرْ[٨]

وقد ذكر له السيوطي مصنفا في النحو يدعى «الإغراب في علم الاعراب»[٤] ذكره صاحب الكشف بالعين المهملة «الإعراب في علم الإعراب»[٨].

هذا عن صاحب البسيط فماذا عن البسيط نفسه؟.

يعد البسيط بحق من أهم التفاسير التي ألفت في القرن الخامس الهجري، بذل فيه مؤلفه جهدا كبيرا ، ووقتا طويلا ، حتى أخرجه للناس رفيع القدر جليلا، بلغ به من إعجاب صاحبه ما جعله يقول في خاتمته « وقد يسر الله تعالى ـــ وله الحمد ـــ بحسن توفيقه تحرير هذا الكتاب الذي لم يسبق إلى مثله في هذا الباب شرحاً وبياناً ونظماً وإتقاناً غير ممل، وإيجازاً غير مخل، حتى

برز عند تمامه، كالروض غبّ رهامه...»(٩).

يقع هذا التفسير في خمسة أجزاء كبيرة وتوجد منه نسخة مصورة في قسم المخطوطات بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود المركزية ، وهذا بيان لأرقام أجزاء هذه النسخة وعدد أوراقها:

١ ــ الجزء الأول برقم ٨٠٤٨ ف وعدد أوراقه ٢٤٨ ورقة.
٢ ــ الجزء الثاني برقم ٣٧٣٦ ف وعدد أوراقه ٢٣٧ ورقة.
٣ ــ الجزء الثالث برقم ٨٠٤٩ ف وعدد أوراقه ٢٥٢ ورقة.
٤ ــ الجزاء الرابع برقم ٨٠٥٠ ف وعدد أوراقه ٢٥٢ ورقة.
٥ ــ الجزء الخامس برقم ٨٠٥١ ف وعدد أوراقه ٢٠٩ ورقة.

وقد فرغ صاحبه من تأليفه «لعشربقين من ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة»(٩).

وقول صاحبه ــ رحمه الله ــ عنه بأنه «لم يسبق إلى مثله في هذا الباب» وإن كان يحتاج إلى تحقيق دقيق إلا أنه لا يبعد أن يكون صحيحا، فقد جمع بين التفسير المروي عن الصحابة والتابعين وبين التفسير المعتمد على بيان المعنى اللغوي والنحوي؛ فمن منهجه في التفسير أنه يبدأ بذكر رأي المفسرين من الصحابة والتابعين دون ذكر السند، ثم يذكر رأي اللغويين، وبعد ذلك يعرض لبيان الإعراب فيأتي بآراء النحويين، مثال ذلك ما قاله في تفسير قوله تعالى في سورة هود «وما زادوهم غير تتبيب»(١٠):

«ابن عباس وغيره من المفسرين يقولون غير تخسير، وأبو عبيده وأهل اللغة يقولون: هو الإهلاك، والتباب: الهلاك، وأحدهما قريب من الآخر ... قال ابن الأنباري : في قوله «وما زادوهم غير تتبيب» قولان أحدهما وما زادتهم عبادتها غير تتبيب فحذفت العبادة على حذف المضاف، والآخر بأن الآلهة زادتهم بلاء وإن كانت من الموات، لأنهم ادعوا أن عبادتهم إياها تنفعهم عند الله فلما جرى الأمر بخلاف ما قدروا وصفها الله بأنها زادتهم بلاءً وهلاكاً وخساراً»(١١).

والذي ذكرناه هو الغالب على منهجه في التفسير وبخاصة في الآيات التي روي تفسيرها عن السلف، إلا أنه أحياناً قد يذكر آراء النحويين، ثم يذكر قول المفسرين، وبعد ذلك يوجه الإعراب حسب المعنى الذي روي عنهم، مثال ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله تعالى في سورة يونس «قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون»(١٢) حيث قال:

«قال أبو علي : الجار في قوله (بفضل الله) متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم من قوله «قد جاءتكم موعظة»(١٣) ... ونحو هذا قال ابن الأنباري فقال الباء الأولى في الآية خبر لاسم مضمر، وتأويله هذا الشفاء وهذه الموعظة بفضل الله، فحذف الاسم وأبقى خبره .. وقال ابن الأنباري (ذلك) إشارة إلى معنى الفضل والرحمة تلخيصه : بذلك التطول فليفرحوا، قال أبو علي: الجار في قوله فبذلك متعلق بـ (ليفرحوا) لأن هذا الفعل يتصل به، يقال: فرحت بكذا، والفاء في قوله فليفرحوا زيادة كقول الشاعر:

وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي(١٤)

هذا الذي ذكرنا مذهب النحويين في هذه الآية ومذهب المفسرين غير هذا، فإن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم قالوا: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن، وقال أبو سعيد الخدري: فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله.

وعلى هذا الباء في (بفضل الله) يتعلق بمحذوف يفسره ما بعده كأنه قيل: قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته...»(١٥).

ونادرا ما تراه يذكر آراء الفريقين دون ترتيب، مثل تفسيره لقوله عز وجل:

«قال يا قومي ارهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط»(١٦) حيث قال: «قال الليث:

الظهري: الشيء الذي ينساه ويغفل عنه قال ابن عباس: يريد القيتموه خلف ظهوركم، وامتنعتم عن قتلي مخافة قومي، والله أعز وأكبر من جميع خلقه، قال الفراء: يقول رميتم أمر الله وراء ظهوركم، يعني تعظمون أمر رهطي وتتركون أن تعظموا الله وتخافوه، وقال ابن الأنباري : الظهري: يقصد به هاهنا إلى الاهمال والاطراح، تقول العرب: سألت فلاناً حاجة فظهر بها، وسألته حاجة فجعلها ظهريه، يعني أهملها واطرحها، ولم يلتفت إليها، وأنشد الفرزدق:

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعيى علي جوابها[١٧]

قال معناه: لا تكونن مهملة مطرحة، وقال قتادة في هذه الآية: اعززتم قومكم وظهرتم بربكم، قال أبو بكر: يريد بقوله ظهرتم بربكم: أهملتم أمره ونهيه، وأعرضتم عن طاعته.

وجميع أهل المعاني قالوا: الكناية في قوله (واتخذتموه) يعود إلى أمر الله وما جاء بهم شعيب من الله تعالى، وهو في الظاهر يعود على اسم الله تعالى ولكنه يعرف بالمعنى أن المراد منه : الأمر، كما تقول العرب: جعلتني خلف ظهرك ودبر أذنك، يريدون جعلت أمري وحاجتي وكلامي[١٨]».

على أن منهجه في التفسير لا يتضح إلا إذا اتضح منهجه في عرض الآراء النحوية في أثناء إعرابه للآيات وما يدل عليه ذلك من تضلع الرجل في علم العربية وقدرته على بسط القول في ذكر الأوجه الاعرابية ونسبة الآراء إلى أصحابها، وما لديهم من حجج وأدلة بأسلوب سهل لا تعقيد فيه ولا التواء.

لذلك لابد لنا من ذكر بعض الأمثلة التي تبين مدى اهتمام صاحب هذا التفسير ـــ رحمه الله ـــ بالنحو ومسائله سواء كان ذلك الاهتمام **لبيان المعنى أم لرفع ابهام وحل اشكال أم لتفصيل أمر له صلة ببيان المعنى.**

مثال الأول قوله في تفسير قوله تعالى «إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»[١٩]:

«وسواء في الآية رفع بالابتداء ويقوم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) مقام الخبر في المعنى كأنه بمنزلة قولك سواء عليهم الإنذار وتركه ـــ لا في الإعراب لأنك إذا قدرت هذا التقدير في الإعراب صار (سواء عليهم) خبراً مقدماً ـــ والجملة في موضع رفع بأنها خبر (إن).

ويجوز أن يكون خبر (إن) قوله (لا يؤمنون)، كأنه قيل: إن الذين كفروا لا يؤمنون سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم، فيكون قوله (سواء عليهم أأنذرتهم) جملة معترضة بين الاسم والخبر، وجاز ذلك لأنه تأكيد لامتناعهم عن الايمان ولو كان كلاماً أجنبياً لم يجز اعتراضه بينهما»[٢٠].

ومثال الثاني ـــ أعني حل الاشكال ـــ ما جاء عند تفسيره لقوله عز وجل في سورة البقرة «عوان بين ذلك»[٢١] حيث قال:

«وأما قوله عوان بين ذلك فأضيف «بين» إلى (ذلك) من حيث جاز إضافته إلى (القوم) وما أشبه ذلك من الأسماء التي تدل على الكثرة وإن كانت مفردة، وإنما جاز أن يكون قولنا (ذلك) يراد به مرة الإفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهته الموصولة كـ (الذي) و(ما) ألا ترى أن القبيلين يشتبهان في دلالة كل واحد منهما على غير شيء بعينه .. فلما كان (الذي) و(ما)، و(من) على ما وصفنا وكانت المبهمة مثلها ... أجري مجراها ... وهذا واسع مستحسن في جميع المبهمة فمن المبهمة (كم) في قوله «وكم من ملك في السموات والأرض لا تغني شفاعتهم»[٢٢] وقال «وكم من قرية أهلكناها»[٢٣] ثم قال: «أو هم قائلون»[٢٣] ... وقال «وكل أتوه وآخرين»[٢٤] ... فهذه الأسماء حسن فيها هذا لما لم يكن لواحد بعينه ولا لنوع وحده فكذلك (ذلك) لما كان مبهماً جاز أن يراد به الواحد مرة وأكثر من الواحد مرة ... ويدلك

على ما ذكرنا من قصدهم بـ (ذلك) الجمع وما زاد عن الواحد أن رؤبة لما قيل له في قوله:

فيه خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق[٢٥]

إن أردت (الخطوط) وجب أن تقول: كأنها، وإن أردت السواد والبلق وجب أن تقول: كأنهما، قال: أردت: كأن ذاك .. ويدل أيضا على أنهم يقصدون بـ (ذلك) إلى أكثر من الواحد إضافتهم (كلا) إليه في قول القائل:

.... وكلا ذلك وجه وقبل...»[٢٦] [٢٧]

ومثال الثالث ما ورد عند تفسير قوله تعالى «ثم اتخذتم العجل من بعده»[٢٨] إذ قال: «وأما (اتخذ) فإنه على ضربين أحدهما أن يتعدى إلى مفعول واحد والثاني أن يتعدى إلى مفعولين، فأما تعديه إلى واحد فكقوله:

«يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا»[٢٩] و«أم اتخذ مما يخلق بنات»[٣٠]، وقوله: «واتخذوا من دونه آلهة»[٣١]، «لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا»[٣٢]. وأما تعديه إلى مفعولين، فإن الثاني منهما هو الأول في المعنى كقوله «اتخذوا أيمانهم جنة»[٣٣]، وقال : «لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء»[٣٤]، «فاتخذتموهم سخرياً»[٣٥]، ونظير (اتخذت) في تعديه إلى مفعول واحد مرة وإلى مفعولين (الجعل)، قال الله تعالى «وجعل الظلمات والنور»[٣٦] أي خلقهما، فإذا تعدى إلى مفعولين كان الثاني الأول في المعنى، قال: «واجعلوا بيوتكم قبلة»[٣٧] «وجعلناهم أئمة»[٣٨] فأما قوله «ثم اتخذتم العجل من بعده»[٣٩] ... «إن الذين اتخذوا العجل»[٤٠] فالتقدير في هذا كله: اتخذوه إلها، فحذف المفعول الثاني، الدليل على ذلك أنه لو كان على ظاهره — لكان من صاغ عجلاً أو نجره أو عمله بضرب من الأعمال استحق الغضب من الله».[٤١].

ومما يتميز به هذا التفسير أيضا الاستطراد في ذكر المسائل النحوية، والإطناب في ذكر التفاصيل حتى لتحسب أنك لست أمام كتاب في التفسير وإنما أمام كتاب في النحو مطول وسأذكر لذلك مثالاً قد يكون لطوله مملاً بالنسبة لقارىء عادي يريد أن يقرأ تفسيراً ولكنه ممتع للمتخصص في الدراسة النحوية لما فيه من تحليل دقيق وتخريج لطيف وعرض للآراء بسيط فنحن نقرأ الآن «البسيط».

قال في تفسير قوله تعالى «واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً[٤٢]»:

«وموضع (لا تجزي) نصب لأنه صفة ليوم والعائد على اليوم محذوف من الآية واختلف النحويون فيه، فقال الفراء: التأويل: لا تجزي فيه نفس عن نفس ثم حذفت الصفة، ومثله قوله: «وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم..»[٤٣] والمعنى : ما للظالمين فيه من حميم، وكذلك قوله: «يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً» أي: فيه، وهذا أيضا مذهب سيبويه.

وكان الكسائي لا يجيز إضمار الصفة ويقول: إن المحذوف هاهنا الهاء وتقديره كأنك قلت: واتقوا يوماً لا تجزيه نفس عن نفس، فجعل اليوم مفعولاً على السعة، ثم ألقيت الهاء كما تقول: رأيت رجلاً أحب، تريد : احبه، وينشد على هذا:

قد صبحت صبحها السلام بكبد خالطها السنام
في ساعة يحبها الطعام[٤٤]

يعني : يحب فيها، فجعل الظرف مفعولاً على السعة، وهذا أيضا مذهب الأخفش، قال الكسائي: ولو أجزت إضمار الصفة هاهنا لأجزت: أنت الذي كلمت، وأنا أريد: كلمت فيه، وهذا رجل قصدت، وأنا أريد إليه، وهذا رجل أرغب، وأنا أريد: فيه،

ولما لم يجز إضمار حرف الصفة في هذه المواضع، كذلك في الآية، قال الفراء والزجاج وجماعة النحويين: لا يلزم ما ذكره الكسائي، لأن الصفة مع الظروف جائزة الحذف ألا ترى أنك تقول: أتيتك، وأتيتك يوم الخميس، فيكون المعنى واحداً وإذا قلت: كلمتك، كان غير معنى: كلمت فيك، فلما اختلف المعنى مع الأسماء التي لا تكون ظروفاً لم يجز اضمار الصفة معها، واليوم من أسماء الزمان، وأسماء الزمان يكون فيها ما لا يكون في غيرها.

قال أبو علي : الظرف نوع من أنواع المفعولات المنتصبة عن تمام الكلام، وهو زمان أو مكان، فأما أسماء الزمان فالفعل يتعدى إلى مختصه ومبهمه، ومعرفته ونكرته، وكل نوع منه، كما يتعدى إلى المصدر وكل ضرب منه، وإنما كان كذلك لاجتماعهما في دلالة الفعل عليهما، ألا ترى أن في لفظ الفعل دلالة على الزمان، كما أن في لفظه دلالة على الحدث، وأما أسماء المكان فإن الفعل يتعدى إلى المبهم منها بغير حرف الجر دون المختص، ومعنى المبهم منها ما كان شائعاً، ولم يكن له حدود معلومة، نحو خلف، وقدام ... تقول قمت خلفك: فتعدي إليه الفعل، وقمت في المسجد، ولا تقول قمت المسجد، وإنما كان كذلك لأن الفعل لا يدل على ظروف المكان بلفظه، وإنما يدل عليها بالمعنى كما يدل على المفعول والمفعول إذا تعدى الفعل إليه بحرف جر لا يجوز حذف حرف الجر منه، إلا أن يسمع من العرب، ألا ترى أنك تقول: مررت بزيد، ولا يجوز أن تقول: مررت زيداً، فكذلك كان القياس في جميع ظروف المكان أن يتعدى إليها الفعل بحرف الجر، إلا أن المبهمة جاز حذف الجر منها لأنها قد اشبهت ظروف الزمان، وذلك أنه ليس لها خلق(٤٥) كما أن الزمان لا خلق له: فباين ظروف المكان بعضها بعضاً، فالخلف والقدام وهذه المبهمة يجوز أن ينقلب كلها فيصير الخلف قداماً، والقدام خلفاً كما يجوز أن ينقلب ظرف الزمان، فيصير اليوم أمس، فلما شبهت المبهمة من ظروف المكان بظروف الزمان عدوا إليها الفعل من غير توسط....

قال أبو علي : والجائز عندي من هذه الأقاويل التي قيلت في الآية قول من قال إن (اليوم) جعل مفعول (تجزي) على السعة، كقول الشاعر:

ويوم شهدناه سليماً وعامراً ....

ثم حذفت الهاء من الصفة كما تحذف من الصلة .. وذلك أن الصفة تخصص الموصوف، كما أن الصلة تخصص الموصول، ومرتبتها أن تكون بعد الموصوف كما أن مرتبة الصلة كذلك، وتتضمن الصفة ذكراً من موصوفها كما تتضمن الصلة من موصولها، فشد مشابهتهما على ما تراه، وقد كثر مجيء الصلة محذوفاً منها العائد، كقولك: الذي رأيت زيد، والصفة كالصلة فإن قال قائل: إذا جاز حذف الضمير المتصل من الصفة في نحو قولك، هذا رجل ضربت، والناس رجلان، رجل أكرمت، ورجل أهنت، فلم لا يجوز حذف الجار والمجرور من حيث جاز حذف الهاء، قيل: إنما جاز حذف الضمير المتصل من الصفة لمشابهتها الصلة فلما كثر ذلك في الصلة وشابهتها الصفة شبهت بها أيضاً في حذف الضمير منها، ولا اختلاف بين الجميع في أن الضمير إذا خرج عن الفعل إلى الحرف فلم يتصل به لم يحذف من الصلة، فمن قال : الذي ضربت زيد، لم يقل: الذي رغبت زيد، ولا: الذي مررت زيد، إذا أراد: فيه، وبه، وإذا لم يجز ذلك في الأصل الذي هو الصلة المشبه به الصفة كان في الصفة أبعد من الجواز»(٤٦).

وبهذا المثال يتضح ما يتميز به هذا التفسير من اهتمام بالنحو ومسائله وما يتسم به من بسط الآراء وأدلة الاحتجاج والتعليل وما يلحظ فيه من ايراد المذهب الكوفي الذي يمثله الفراء والكسائي، والمذهب البصري الذي يمثله أبو علي والزجاج، لذلك لا نبالغ إذا قلنا إن (البسيط) يعد موسوعة في مجال النحو التطبيقي، يمكن الاستفادة من منهجه بعد تهذيبه في مجال الدرس النحوي المعاصر، وذلك بالتركيز على النصوص وفهمها

والانطلاق منها إلى القاعدة، وما يتصل بها من ذكر الآراء والاجتهادات إن وجدت، وذلك بالنسبة للمتخصصين، أما بالنسبة لغيرهم فيضرب عنها صفحاً، وينصب الاهتمام على النص وفهم معناه، ومن ثم الوصول إلى القواعد والأصول.

هوامش

(١) دمية القصر، ١٠١٧/٢، وفيات الأعيان ٣٠٣/٣ انباه الرواة ٢٢٣/٢، البغية ٤٥/٢.
(٢) وفيات الأعيان ٣٠٣/٣ ــ ٣٠٤.
(٣) انباه الرواة، ٢٢٣/٢
(٤) البغية٢ /١٤٥
(٥) انباه الرواة ١٢١/١
(٦) المرجع السابق ٢٢٣/٢
(٧) دمية القصر ١٠١٧/٢ ــ ١٠١٩
(٨) كشف الظنون ١٢٥/١
(٩) البسيط جـ٥ / ٢٠٩ ب.
(١٠) من الآية ١٠١.
(١١) البسيط جـ ٣/ ٤٤ ب.
(١٢) الآية ٥٨.
(١٣) «يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين» (٥٧) يونس.
(١٤) : صدره : لا تجزعي إنا منفس أهلكته ...
والبيت للنمر بن تولب أنظر الكتاب ٦٧/١، شرح المفصل ١٣٨/٢، اللباب ٣٩٨، الخزانة١٥٢/١، ٤٥٠، ٦٤٢/٣.
(١٥) البسيط ١١/٣ ب.
(١٦) الآية ٩٢ من سورة هود.
(١٧) ديوان الفرزدق ٩٥/١ ورواية الديوان : لا تهوننٌ... ولا يحيا.
(١٨) البسيط ٤٣/٣ ب.
(١٩) الآية ٦ من سورة البقرة.
(٢٠) البسيط ٢١/١ ب.
(٢١) من الآية ٦٨.
(٢٢) من الآية ٢٦ من سورة النجم
(٢٣) من الآية (٤) من سورة الأعراف
(٢٤) من الآية ٨٧ من سورة النحل
(٢٥) ديوان رؤبة : ١٠٤.
(٢٦) عجز بيت لعبد الله بن الزبعري وصدره:
«إن للخير وللشر مدى ....
انظر : المسائل البغداديات٢٠٥، فاتحة الإعراب /٧٥ ــ شرح المفصل ٢/٣ ــ تعليق الفرائد ٢٩٠/١ ــ ٣٤٣/٢.
(٢٧) البسيط ٦٠/١ أ ــ ب .
(٢٨) من الآية ٥١ من سورة البقرة .
(٢٩) من الآية ٢٧ من سورة الفرقان.
(٣٠) من الآية ١٦ من سورة الزخرف.
(٣١) من الآية ٣ من سورة الفرقان.
(٣٢) من الآية ١٧ من سورة الأنبياء.
(٣٣) من الآية ١٦ من سورة المجادلة
(٣٤) من الآية الأولى من سورة الممتحنة.
(٣٥) من الآية ١١٠ من سورة المؤمنون.
(٣٦) من الآية الأولى من سورة الأنعام.
(٣٧) من الآية ٨٧ من سورة يونس.
(٣٨) من الآية ٧٣ من سورة الأنبياء أومن الآية ٤١ من سورة القصص.
(٣٩) من الآية ٥١ من سورة البقرة أو من الآية ٩٢ من السورة نفسها.
(٤٠) من الآية ١٥٢ من سورة الأعراف.
(٤١) البسيط ٤٩/١ ب.
(٤٢) من الآية ٤٨ من سورة البقرة.
(٤٣) الآية ١٨ سورة غافر.
(٤٤) أنظر معاني القرآن ٣٢/١.
(٤٥) يقصد به الجرم والجسم.
(٤٦) البسيط ٤٦/١ أ ــ ب.

العرض والتحليل

أثر الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى لمونتغمري وات

جعفر هادي حسن

هذا كتاب مهم يتحدث فيه مؤلفه عن تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى. وتأتي أهمية هذا الكتاب من أهمية مؤلفه و. مونتغمري وات. والمؤلف مستشرق مشهور ومعروف في الغرب وفي العالم الإسلامي، كتب كثيراً من الكتب والمقالات أغلبها لها علاقة بالإسلام والقضايا الإسلامية. وقد تقاعد قبل ثلاث أو أربع سنوات بعد أن شغل كرسي الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة أدنبره لفترة طويلة. ولقد نُشِرَ هذا الكتاب لحد الآن باللغات الانجليزية والفرنسية واليابانية ولا أعلم له ترجمة باللغة العربية . وقد صدرت الطبعة الأولى منه في السبعينات وأعيد طبعه عام ١٩٨٢. ويضم الكتاب ١٢٥ صفحة .

وعلى الرغم من أن المؤلف كان موضوعياً في كثير من آرائه إلا أنه بقي غير متحرر من عقدة الإستشراق حيث بث بعض آرائه غير الموضوعية عند تمهيده لبحثه .

ومن هذه الآراء في ص ٦ «إن الفتوحات الإسلامية كانت استمرارا وامتدادا لما كان يمارسه عرب الجزيرة من غارات. وإن كثيرا من المشاركين في الحملات الإسلامية كانوا في الغالب مدفوعين بدافع مادي للحصول على الغنائم» . في الواقع إننا لا نستغرب أن نقرأ مثل هذا الرأي من قبل الكُتّاب الغربيين لأنهم لا يتمكنون أن يستوعبوا ويفهموا كيف أن الإسلام وصل إلى أطراف الأرض خلال فترة قصيرة من الزمن. إنهم سوف يبقون لا يفهمون إذا أصروا على تفسير ذلك ماديا والغاء عامل العقيدة. ولا ندري ماذا سيكون جوابهم لو سألناهم لماذا لم يصل العرب أيام الجاهلية ــ إلى ما وصلوا إليه عندما أصبحوا مسلمين ؟ فالوسائل التي كان يستخدمها العرب من أسلحة ووسائل نقل وغيرها لا تختلف كثيراً عما كانت عليه في العصر الجاهلي. إذن فالدافع الذي دفعهم إلى أن يحققوا ما حققوه إنما هو دافع أبعد من هذا الذي ذكره «وات» وأعمق منه بكثير. أضف إلى ذلك أن غنائم الحرب لها أحكامها وقوانينها في الإسلام، فلا يحق لمجاهد أن يأخذ ما يحلو له أن يأخذ ولا أن يتصرف بالغنيمة بالشكل الذي يود أن يتصرف بها. ومن هذه الآراء قوله في ص ٢٢ «إن الإسلام دين تجارة وليس دين زراعة وإن نظام ملكية الأرض وأحكام الميراث التي توجب تقسيم الأرض ونظام الوقف كل هذه لم تشجع ملاك الأرض على تطوير الزراعة واستخدام طرق أفضل فيها . ومع ذلك فقد كانت هناك زراعة جيدة لحد ما في الأراضي الإسلامية القابلة للزراعة وبسبب ذلك فقد تمكن العرب أن يرفعوا مستوى الزراعة في قطر مثل أسبانيا».

لا أعتقد أن هذا الرأي جدير بالنقاش ولكن مع ذلك أود أن أذكر بأن الأحاديث النبوية التي تشجع على الزراعة خير دليل على اهتمام الإسلام بها. أضف إلى ذلك أن الدولة الإسلامية على مدى تاريخها الطويل كانت دولة زراعية مكتفية ذاتيا. ولم نسمع قبل العصر الحديث أنها استوردت الحبوب مثلا من دول غير إسلامية. وما سماه «وات» بالمعوقات لم يمنع من ذلك أبدا. ثم إن

«وات» نفسه يعترف في العبارة نفسها بأن العرب تمكنوا من رفع مستوى الزراعة في قطر مثل أسبانيا. ثم يبدأ «وات» حديثه عن التأثير الثقافي الإسلامي على أوروبا بالحديث عن التجارة بين العالم الإسلامي وأوروبا لما لها من أهمية في هذا التأثير، ثم بعد ذلك يتحدث عن الحقول العلمية علماً علماً وكذلك عن الفلسفة ، وسأعرض لذلك بشكل مختصر من غير تعليق على آرائه إلا إذا اقتضى الأمر ذلك .

في نهاية القرن الثامن الميلادي كانت التجارة في أوروبا الغربية متأخرة وبدأت العلاقات بينها وبين العالم الإسلامي تدريجيا، وكان المسلمون هم البادئون في تنشيط هذه العلاقات وذلك عام ٨٠٠م، حيث أخذت البضائع من البلاد الإسلامية تصدر عبر حدودها. وكان أغلب البحر المتوسط تحت سيطرة الأسطول الإسلامي بينما بقي البيزنطيون في البحرين الادرياتيكي وإيجه. وأوجد المسلمون قواعد لهم في سردينيا وكورسيكا حتى القرن الحادي عشر ، بينما كان لهم مركز في Grade - Freinte على البحر بين نيس ومرسيليا من عام ٨٩١م حتى عام ٩٧٣م. وبما أن القراصنة كانوا يغيرون في بعض الأحيان على الأسطول الإسلامي فقد أخذ المسلمون يحكمون من سيطرتهم والمحافظة على أسطولهم. ونتيجة لذلك فقد كان هناك حضور للمسلمين منذ القرن التاسع في مدينة Amalfi التي كانت حليفة لهم ومنذ القرن العاشر في مدينة Pisa . وهناك أدلة وإن لم تكن قوية على وجود اتصالات مع هذه المدن في القرن الثامن .

وفي النصف الثاني من القرن العاشر تقدمت العلاقات التجارية بين أوروبا والعالم الإسلامي كثيراً فتطور نوعها وازداد حجمها. وفي عام ١٠٠٠ م حدث تغير في حجم التجارة وفي طرقها. فقد حول الفاطميون عاصمتهم من تونس إلى مصر وأوجدوا القاهرة واحتاجوا إلى خشب وحديد من إيطاليا والدول الأوروبية الأخرى. ولقد تشجع الايطاليون الذين كانوا قد تاجروا مع الفاطميين عندما كانوا في تونس أن يذهبوا إلى مصر للتجارة ولقد تبدل طريق التجارة شرق السويس وأصبح عن طريق البحر الأحمر بسبب القرامطة في البحرين. وإذا ما أردنا أن نحدد العلاقة بين أوروبا والعالم الإسلامي فنقول بأنها كانت مشابهة للعلاقات التجارية بين أوروبا ومستعمراتها في القرن التاسع عشر والقرن العشرين والفرق الرئيسي الوحيد هو أن أوروبا كانت هي المستعمرة (بفتح الراء) في القرون الوسطى لأن وارداتها من العالم الإسلامي كانت في الغالب بضائع استهلاكية وكانت هي بدورها تصدر المواد الخام والخدم .

ومن خلال التجارة ومن خلال حضور العرب السياسي في أسبانيا وصقلية منذ القرن الثامن الميلادي دخلت الثقافة الإسلامية الأكثر تقدما إلى أوروبا الغربية وعلى الرغم من أن أوروبا كانت على اتصال بالامبراطورية البيزنطية إلا أنها أخذت من المسلمين أكثر بكثير مما أخذته من بيزنطة. وكان الأدب والشعر العربيان قد حفزا ورقيا الخيال الأوروبي والعبقرية الشعرية، وإن أثر الزجل والموشحات الأندلسية لواضح جداً في الشعر الأوروبي القديم. ويتضح تأثير الحضارة الإسلامية على حياة ملكي صقلية روجر الثاني ١١٢٧ — ١١٥٤ وحفيده فردريك الثاني ١٢١٥ — ١٢٥٠م اللذين عاشا حياة شبيهة بالحياة الموجودة في قرطبة، فقد لبسا الملابس الإسلامية وتشبها بالحكام المسلمين في عاداتهما بل إنهما شجعا الشعر العربي في صقلية وإلى ذلك يرجع التأثير العميق للشعر العربي على الشعر الايطالي القديم. وكان كثير من موظفي الدولة أيام هذين الملكين من المسلمين وكان لهما مستشارون مسلمون وقد شجعا العلماء من سوريا وبغداد وشجع فردريك الثاني خاصة النقاش العلمي والفلسفي ولقد ترجم له مايكل سكوت بعض الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية. ولقد أطلق الكتاب المسيحيون على روجر الثاني وحفيده لقب «سلطاني صقلية المعمَّدين» لشدة تأثرهما بالحضارة الإسلامية .

كانت أوروبا تنظر إلى العالم الإسلامي بشكل خليط من

الخوف العميق والإعجاب المصحوب بالاعتراف بالتفوق. ولقد قلَّ هذا الخوف في القرن الحادي عشر عندما حققت أوروبا بعض الإنتصارات العسكرية. وعند ذلك بدأت تركز جهودها على الإفادة مما أعجبت به من التقدم العلمي الذي حققه العالم الإسلامي. فقبل القرن الثاني عشر، الذي يعتبر القرن المهم في مجال الترجمة كانت هناك محاولات متفرقة من أجل الإستفادة من العلوم الإسلامية. وهناك بعض الأدلة التي تشير إلى أن أعمال الترجمة إلى اللغة اللاتينية بدأت في القرن التاسع. وإن من أوائل العلماء المسيحيين والذي يعتبر ذا أهمية والذي درس العلوم الإسلامية كان Gerbert of Aurillac الذي أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني من عام ٩٩٩م إلى عام ١٠٠٣م. ويبدو أنه كان قد استفاد من الكتب الإسلامية عندما كان في Catalonia وكذلك عندما ذهب إلى قرطبة.

وهناك قصة تذكر بأن بعض أساتذته كانوا مسلمين. ويعتبر استعماله للأرقام العربية أقدم تسجيل لاستعمالها في أوروبا. وهناك إشارات أخرى من القرن العاشر والقرن الحادي عشر إلى ترجمة بعض الأعمال الإسلامية إلى اللاتينية. فقد عثر على مخطوط في دير Ripoll يحتوي على رسالتين باللاتينية عن الإسطرلاب وهو مؤرخ من القرن العاشر ولا شك أنه جاء من مصدر إسلامي. وهناك كتابان في الإسطرلاب من القرن الحادي عشر فيهما معلومات مستقاة من علماء مسلمين وهذان الكتابان يعزيان إلى Hermanus Contractus ولكن هذا مشكوك فيه.

○ في حقل الطب :

بعد أن ترجمت مؤلفات جالينوس وابقراط إلى اللغة العربية انتهى احتكار المسيحيين للطب ووصل بعض العلماء المسلمين في علم الطب مرتبة فاقوا بها المتقدمين منهم وكانوا في نفس المستوى مع أعظم علماء الطب اليونانيين. ولقد تهيأ ذلك كله للمسلمين بما درسوا من علم نظري كثير وبما حصلوا عليه من خبرة عملية واسعة خلال ممارساتهم الطبية.

ويكفي هنا أن أشير إلى أشهر اثنين من الأطباء المسلمين وهما الرازي وابن سينا وشخص ثالث يعرفه الغرب بـ Haly Abbas (علي بن عباس) طبيب عضد الدولة. ولقد ولد أبو بكر الرازي في الري عام ٨٦٥م وتوفي إما في الري أو في بغداد عام ٩٢٣م أو عام ٩٣٢م ويقال بأنه كان على رأس أحد المستشفيات في بغداد، وفوق هذا كان مؤلفا مكثراً في القضايا العلمية والفلسفية التي كانت تدرس في تلك الفترة. ولكن من المتفق عليه أنه كان طبيبا أكثر منه شيئا آخر. ولقد وصلنا ما يقارب الخمسين مؤلفا من مؤلفاته أشهرها كتاب «الحاوي في الطب» الذي يعتبر دائرة معارف في حقله والذي ترجم إلى اللاتينية واليونانية والفرنسية والانجليزية. والرازي في هذا الكتاب عندما يتحدث عن مرض معين فإنه يذكر آراء اليونانيين والسريان والهنود والفرس ثم آراء المسلمين ثم بعد ذلك يعطي رأيه ويذكر ملاحظاته من خلال تجاربه، ومن رسائله المهمة رسالة في الحصبة وأخرى في الجدري.

أما بالنسبة إلى ابن سينا المتوفى عام ١٠٣٧ م فهو مثل الرازي كتب في عدة مواضيع وهو يعد فيلسوفا أكثر منه طبيبا ومع ذلك فقد أعتبر كتابه «القانون في الطب» قمة من قمم الفكر الإسلامي. ولقد ترجم القانون إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر وقد بقي مصدراً رئيسيا للطب في أوروبا حتى القرن السابع عشر على الأقل وقد طبع ست عشرة طبعة حتى القرن الخامس عشر، إحداها باللغة العبرية وقد طبع الكتاب عشرين طبعة في القرن السادس عشر وعدة طبعات أخرى في القرن السابع عشر وقد ظهرت شروحات كثيرة عليه منها باللاتينية والعبرية واللغات المحلية الأخرى.

أما علي بن العباس المتوفى عام ٩٩٤م فقد كتب كتابا في الطب سماه «الكناش الملوكي» ويعتبر من أوائل الكتب الإسلامية التي تُرْجِمَتْ إلى اللغة اللاتينية وكانت لهذا الكتاب

شهرة واسعة في أوروبا وسمي باللاتينية Liber Regius . ولم تكن الأندلس متخلفة في هذا المجال فقد أنجبت علماء وأطباء عباقرة .. من هؤلاء أبو القاسم الزهراوي المتوفى ١٠٠٩م وتعتبر كتبه في علم الجراحة وأدواتها من أحسن الكتب التي كتبها العلماء المسلمون في هذا المجال. ومن هؤلاء أيضا الفيلسوف ابن رشد الذي يسمى باللاتينية Averroes فقد كان طبيباً ماهراً. ويجب أيضا أن نذكر هنا ابن زهر أو Avenzoar المتوفى عام ١١٦١م.

والمتتبع لتأريخ الأندلس يرى أنه حتى القرن الرابع عشر كان هناك أطباء مسلمون يكتبون في الطب. حيث نجد من هذا القرن كتابات الأطباء المسلمين عن الطاعون الذي أصاب غرناطة والمريا.

أما بالنسبة إلى الخدمات الطبية فإن المعلومات المؤكدة تذكر لنا أنه في حوالي عام ٨٠٠ م أمر هارون الرشيد بانشاء مستشفى في بغداد ولا ندري فيما إذا كان هناك مستشفى غيره في بغداد في هذا الوقت. ولكن قبل عام ٩٠٠م أنشيء مستشفى آخر. وفي حوالي هذه السنة بني مستشفى غيره . وفي عام ٩١٤ كان هناك آخر . وفي ٩١٨م انشيء اثنان وآخر عام ٩٢٥م وقد أوقفت لهذه المستشفيات أوقاف وخصصت لها منح من أجل إدامتها.

وقد ذكرت لنا الكتب بأنه في بداية القرن العاشر الميلادي كان الأطباء يقومون بزيارات للسجون وكانت هناك مصحات متنقلة تنتقل في بعض القرى العراقية في الجنوب. ومنذ القرن التاسع بدأت المستشفيات تبنى في المدن الكبيرة في العراق ومن المستشفيات العظيمة التي شيدت في العالم الإسلامي مستشفى المنصوري في القاهرة الذي أنشيء في عام ١٢٨٤م. لقد ذكر بأن هذا المستشفى كان يسع لـ ٨٠٠٠ (ثمانية آلاف) مريض. وكان المرضى الذكور مفصولين عن الإناث وكانت هناك أقسام خاصة للأمراض المختلفة وكذلك قسم للعمليات وكان بجانب الأطباء والجراحين الذين كان منهم المختصون ممرضون وممرضات. وكان في هذا المستشفى جهاز إداري كبير وصيدلية ومخازن ومسجد ومكتبة ومكان للمحاضرات .

أما بالنسبة إلى الطب في أوروبا فقد كان متأخرا جدا قبل أن يتصل الأوروبيون بالمسلمين. ففي نهاية القرن الثاني عشر فقط أنشأ الصليبيون مستشفى بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ومع ذلك فإنه لم يكن بنفس مستوى المستشفيات الإسلامية من حيث أنه لم تكن هناك ردهات منفصلة للأمراض المعدية وغير ذلك. ولم يتعلم الأوروبيون تدريس الطلاب في المستشفيات من المسلمين إلا في عام ١٥٥٠م ولم نعرف عن حالة طبيب مقيم في أوروبا إلا عام ١٥٠٠م وكان ذلك في ستراسبورغ.

ولقد استمر تأثير الطب الإسلامي على أوروبا حتى القرن السادس عشر ويتبين ذلك من خلال قائمة الكتب التي كانت تطبع (ولقد أشرنا إلى طبعات الكتب الإسلامية قبل قليل) . بل لقد طبع قانون ابن سينا قبل أن يطبع أي كتاب لجالينوس ولقد اعتبر القانون من أجل ذلك من أكثر الكتب الطبية التي اهتم الناس بتدريسها على مرّ التاريخ. ولقد ذكر أحد العلماء بأنه في المراجع الطبية الأوربية (قبل عصر النهضة) يشار إلى علماء المسلمين أكثر مما يشار إلى علماء اليونان فمثلاً في كتب Ferrari da Gradx وجد أن ابن سينا ذكر أكثر من ثلاثة آلاف مرة بينما جالينوس والرازي ألف مرة وابقراط ذكر مرة واحدة فقط.

○ في حقل الفلك والرياضيات :

من الموضوعات التي ترجمت من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية هي تلك التي لها صلة بالتطبيق العملي لما يهم المسلمين كالطب والفلك. فمعرفة علم الفلك كانت لها فوائد عملية كثيرة وتأتي على رأسها معرفة القبلة. أما بالنسبة إلى الرياضيات فقد كان المسلمون بحاجة عملية إليها وفي الحقيقة فإن التقدم الأول

الذي حققه المسلمون كان في مجال الرياضيات. وأول اسم يتبادر إلى الذهن في مجال الرياضيات والفلك هو اسم الخوارزمي الذي توفي بوقت قصير بعد عام ٨٤٦م والمعروف في اللاتينية بـ Algorismus أو Algoarismus ومن اسمه اشتق المصطلح Algorism . ولقد اشتغل هذا العالم أيام المأمون في بيت الحكمة. ولقد طور الخوارزمي بعض أنواع الزيج التي اخترعها الهنود للمأمون وقد ألف أيضا في جغرافية الأرض المسكونة التي اعتمدت أصلا على جغرافية بطليموس. وفي الجبر خاصة كانت له اليد الطولى. وهو في الحقيقة أول من استعمل الأرقام التي نسميها الآن بالأرقام العربية . وقد عمل الخوارزمي وخلفاؤه على القيام بعمليات حسابية معقدة مثل إيجاد الجذر التربيعي. وقد بدأت عمليات الكسور العشرية في حوالى ٩٥٠م على يد رجل اسمه الأقليدسي. ومن جملة الرياضيين الذين ترجمت أعمالهم إلى اللاتينية التبريزي Anaritius المتوفى حوالى ٩٢٢م والعالم المشهور بحق ابن الهيثم والمسمى باللاتينية Al-Haytham أو Al-hazen المتوفى عام ١٠٣٩م. وكان ابن الهيثم قد اطلع على ما كتبه اليونانيون والمسلمون الأوائل وجاء بآراء ونظريات جديدة كنظرياته في البصريات . ولقد بقيت بعض المسائل التي عالجها ابن الهيثم تحمل اسمه حتى اليوم ويعبر عنها الأوروبيون بـ Alhazen's Problem ولقد خلف لنا ابن الهيثم ما يقارب من خمسين رسالة وكتابا وأشهرها كتاب المناظر الذي ترجم إلى اللاتينية باسم Optica Thesaurus وقد كان ابن الهيثم على وشك اكتشاف العدسات المكبرة.

وعندما أصبح المسلمون مهتمين بالفلك بدأوا يترجمون من السنسكريتية، والفهلوية بالاضافة إلى السريانية واليونانية. والكتاب الذي اعتمدوا عليه مبدئيا هو كتاب المجسطي لبطليموس. ويعتقد أن ترجمته تمت في نهاية القرن الثامن الميلادي ثم ترجم عدة مرات وشرح عدة شروح وكتبت له عدة مداخل. وكان أكثر عمل الفلكيين منصبا على الزيج وكانت هناك أنواع منه منها الهندي والفارسي واليوناني. وبسبب الاختلافات الموجودة بينها فإن المسلمين حاولوا أن ينتجوا زيجا مضبوطا. وفي حوالي ٩٠٠ م صنع البتاني أنواعا من الزيج مضبوطة جدا وقد سميت باسمه tables Albategnius . ولقد بقيت آراؤه في الخسوف والكسوف معتمدة في أوروبا حتى القرن الثامن عشر .

وقد لعبت أسبانيا الإسلامية دوراً مهما في مجال الرياضيات والفلك وقد استفاد الأوربيون من ذلك وأقدم من يذكر في هذا المجال من العلماء المسلمين مسلمة المجريطي الذي عاش أكثر حياته في قرطبة. والذي توفى حوالي ١٠٠٧م وفي النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي كان هناك اثنان من العلماء الرياضيين الفلكيين هما ابن السمح وابن الصفار وكذلك ابن أبي الرجال الذي يسمى باللاتينية Abenragel وفي نهاية القرن الثاني عشر كان هناك فلكيان مهمان في اشبيلية هما جابر بن أفلح والبطروجي الذي يسمى باللاتينية Alpetragius . وكان ابن أفلح مشهوراً في علم المثلثات. وكان المسلمون قد طوروا هذا العلم كثيرا.

○ في حقل الملاحة البحرية :

لا شك أن التجارة لها علاقة بالملاحة وبناء السفن ولقد جلب المسلمون خبرتهم التي استفادوها في المحيط الهندي الذي كانوا يسيطرون عليه إلى البحر المتوسط. فمنهم من كانوا قد اخترعوا الشراع المثلث على الرغم من اسمه الغربي Lateen Sail . ولقد تبنى بناؤو السفن هذا الشراع وطوروه حيث أصبح بالإمكان بناء السفن الكبيرة التي تبحر في المحيط الأطلنطي في رحلات طويلة ويبدو أن الخطوة المهمة في هذا المجال كانت اختراع البوصلة. وقد شارك الأوروبيون المسلمون في هذا المجال.

إن تفاصيل تطور البوصلة مجهولة الأصل، ولكن هناك عدة راحل بين اكتشاف قطعة الحديد المغناطيسية وانتاج آلة

تستخدم في الملاحة. فربما كانت المرحلة الأولى في وضع ابرة أو قطعة الحديد الممغنطة على قطعة من خشب تطفو على الماء ولكن هناك مراحل أخرى كان يحتاج إليها. لقد كان الاعتقاد سائداً لفترة من الزمن أن الصينيين كانوا هم الذين اخترعوا البوصلة في الألف الثالث قبل الميلاد ولكن يبدو أن هذا كان ناتجاً عن عدم فهم القصة الأسطورية. إن أقدم وثيقة تسجل استعمال الصينيين للبوصلة جاءتنا من عام ١١٠٠م. وأيضا فقد قيل أنهم كانوا قد لاحظوا استعمالها من قبل الأجانب ومن المحتمل أن يكون هؤلاء الأجانب هم المسلمون لأن الصينيين كانوا يبحرون في نفس المياه التي كان يبحر فيها المسلمون في القرن التاسع .

وعندما اتصل الأوروبيون بالصينيين وجدوا أن بوصلة الصينيين كانت أقل تقدما من بوصلتهم ولكن مؤرخي رحلات فاسكودي غاما اعتبروا المسلمين الذين التقوا بهم في المحيط الهندي ليسوا أقل مهارة وكفاءة من البرتغاليين. وبعض الروايات تذكر أن مخترع البوصلة هو Flavio Giota في عام ١٣٠٢م ولكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحا لأن هناك اشارات إلى البوصلة في الكتب الأوروبية منذ عام ١١٨٧ وكذلك من عام ١٢٠٦م. وقد ذكرت في التراث الإسلامي منذ حوالى عام ١٢٢٠ وقد يكون ذلك متعلقا باستعمالها في المياه الشرقية. وفي الرحلات من طرابلس إلى الاسكندرية يذكر استعمالها في عام ١٢٤٢م.

ومما يجب ذكره هنا هو أن المسلمين والأوروبيين كانوا يتبادلون المعرفة الفنية فيما يخص هذا الموضوع. ومن المحتمل جدا أن يكون التطور الرئيسي قد قام به المسلمون ولكن بعض التطورات الأخيرة كان قد قام بها الأوروبيون. ومن الأشياء التي ساهم بها المسلمون في مجال الملاحة واستفاد منها الأوروبيون هو الخرائط الملاحية والتي كانت تعتبر الأداة المهمة بالنسبة إلى الملاح ولقد طور هذه الخرائط Genoese وغيره بالاستعانة بفن الخرائط الإسلامي. ولا شك أن التأثير يتضح من خلال الكلمات العربية الكثيرة التي دخلت في اللغة الانجليزية واللغات الأوروبية الأخرى. ويجب أن نذكر بهذا الخصوص بأن الأوروبيين قد حصلوا على معلومات واسعة من المسلمين تتعلق بالدقة الجغرافية. ففي منتصف القرن الثاني عشر حصل الأوروبيون على معلومات دقيقة لحد ما عن الصين والهند وأفريقيا الشمالية وذلك عن طريق ملكي صقلية روجر الثاني وابنه وليم الأول اللذين وظفا العالم المسلم الشهير الإدريسي ١١٠٠ — ١١٦٦ والذي وضع وصفا كاملاً للعالم الإسلامي كما هو معروف في وقته ولقد درس الإدريسي تراث الجغرافيين المسلمين واتصل بالزائرين لصقلية، وهو نفسه كان قد سافر حتى وصل إلى الساحل الغربي من انجلترا. وقد وضع معلوماته في مجموعة من الخرائط بلغت السبعين وكل واحدة منها مصحوبة بوصف مكتوب وهذه المجموعة أصبحت تعرف أحيانا بكتاب روجر .

○ في الحقول العلمية الأخرى :

كان المسلمون قد اشتغلوا بعلم الكيمياء أيضا وكان الكيماوي المسلم يسأل الأسئلة نفسها التي يسألها الكيماوي في العصر الحديث ولقد ترجمت كثير من أعمال المسلمين في هذا العلم إلى اللاتينية. ومن الأعمال التي كتبها المسلمون في هذا المجال مجموعة من الكتابات التي تعزى إلى جابر بن حيان الذي يعرف باللاتينية بـ Geber الذي يبدو أنه قد عاش في النصف الثاني من القرن الثامن (ويرى العلماء الآن بأن هذه الأعمال ترجع إلى نهاية القرن التاسع أو بداية القرن العاشر). وعلى الرغم من أن هذه الأعمال تحتوي على كثير من المعلومات القديمة إلا أنها أيضا تحتوي على تجارب استعملت فيها آلات مختلفة وطرق متعددة من أجل معالجة المواد الكيماوية. وتصف هذه الأعمال طرقاً لتحضير كثير من المواد وطرقاً لتنقيتها وقد دخلت عدة كلمات واصطلاحات إلى اللغات الأوروبية عن طريق الأعمال المنسوبة إلى جابر .

ولقد كان من العلماء المسلمين المعروفين في مجال الكيمياء

الطبيب الرازي الذي كتب عدة رسائل في الكيمياء وكذلك ابن سينا والبيروني المعروف بدراساته لعلوم الهند. أما في مجال النبات فيعد كتاب النبات لأبي حنيفة الدنيوري ت ٨٩٥م من الكتب الرئيسية في هذا الحقل وكذلك كتب ابن البيطار الأندلسي ت ١٢٤٨ الذي يعتبر اختصاصه الأول الصيدلة ولكنه شارك مشاركة فعالة في علم النبات.

أما بالنسبة إلى الزراعة فتأثيرها واضح من خلال وجود الكلمات العربية في اللغة الإنجليزية وبعض اللغات الأوروبية الأخرى. ولقد طور المسلمون تقنية الإرواء وحفظ المياه وقد انتقلت هذه من الدولة الإسلامية إلى أسبانيا وكذلك أدخل المسلمون إلى أسبانيا أنواعاً من النباتات لم تكن موجودة من قبل يضاف إلى أنهم طوروا ما كان موجودا. أما بالنسبة إلى المعادن فقد أصبح استغلال المعادن أفضل مما كان عليه سابقا في أسبانيا. فهناك أخبار تتحدث عن استخراج الذهب والفضة والرصاص والزنك والاحجار الكريمة. أما بالنسبة إلى الورق فقد أخذه المسلمون عن الصينيين في منتصف القرن الثامن الميلادي، ولقد اكتشف المسلمون قيمته عندما علموا بأنه أرخص كثيرا من البردي المصري. وقد أقام يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد أول مصنع للورق في بغداد عام ٨٠٠م. ومن بغداد انتشرت صناعة الورق إلى سوريا وشمال أفريقيا والأندلس. ومن أسبانيا وصقلية انتشرت إلى أوروبا ولكن لم تؤسس مصانع للورق في المانيا وإيطاليا إلا في القرن الرابع عشر.

○ **في حقل الفلسفة :**

لا شك أن الدراسات الكلاسيكية كانت لحد ما مستمرة في أوروبا ولم تمت بشكل كامل خصوصا وأن اللاتينية في هذه الفترة كانت لغة العلم. وقد عرفت بعض العلوم والفلسفات عن طريق بيزنطة. وفي القرن الثاني عشر الميلادي كانت هناك ترجمات قليلة جدا معروفة في أوروبا لأفلاطون وأرسطو وبعض الكتاب. ولكن التأثير الفلسفي المهم على أوروبا في القرون الوسطى كان لابن سينا. وقد ذهب بعض الكُتّاب المحدثين إلى أن أهمية تأثيره كانت أكثر بكثير مما عرف عنه لحد الآن. وفي القرن الثالث عشر عُرِفَ أرسطو أكثر مما كان معروفا من قبل بسبب شروح ابن رشد لأعماله خصوصا تلك التي تتعلق بما بعد الطبيعة. ويبدو أن ترجمة كتب ابن رشد جاءت من القرن الثاني عشر ولكن بعض العلماء يرى أن أعمال ابن رشد وصلت الفلاسفة والكتاب في وقت مبكر. وإن بعض المفاهيم التي وردت في الكوميديا الإلهية جاءت من مصادر إسلامية. ولقد ظهرت مجموعة من الفلاسفة الأوروبيين تأثروا بفلسفة ابن رشد فاطلق عليهم اسم Averroists (الرشيديين) وسميت فلسفتهم بـ Latin Averroism أمثال Siger of Barbant المتوفى عام ١٢٨٢ م.

ويجب أيضا أن نذكر في هذا الصدد ابن طفيل المتوفى ١١٨٥م الذي يعرف باللاتينية بـ Abubacer والذي ترجم أهم عمل فلسفي له تحت عنوان Philosophus autodidactus والذي كان له تأثير في أوروبا منذ القرن السابع عشر.

ولكن يجب أن نعلم بأنه ليس عن طريق هؤلاء دخلت الفلسفة الإسلامية وأثرت في أوروبا بل لقد رفدت الفلسفة الإسلامية (بصورة عامة) أوروبا بمصادر جديدة وأدخلت ضمن ما ادخلت عالما جديدا لفلسفة ما بعد الطبيعة وإن حقول التفكير الأوروبي كان عليها أن تأخذ مما ترجم من العربية. فليس الرشديون وخصومهم مثل توما الإكويني كانوا قد تأثروا بل الأفلاطونيون المحافظون أيضا مثل Bonaventura وذوو العقول العلمية أيضا مثل Roger Bacon و Robert Grosetests وإن فروعا من الفلسفات التي جاءت بعد هؤلاء مدينة بعمق للكُتّاب المسلمين. فبنفس القدر المدان به Siger of Barbant مدان به توما الإكويني. وبعد أن ينتهي «وات» من عرض ذلك يذكر بأن أوروبا الغربية عندما كانت تشعر بالنقص فإن ذلك كان نابعاً من عدة أسباب. فالتقنية الإسلامية كانت متقدمة على مثيلتها

الأوروبية (كما رأينا) . ثم الحياة الرغدة التي كانت أكثر توفراً للمسلم منها للأوروبي. ثم المساحة الجغرافية الكبيرة التي كانت تحت الحكم الإسلامي. ولذلك فعندما كان الأوروبي يلتقي بالمسلم كان يحسُّ بأنه متأخر عن المسلم وبسبب ذلك لجأت أوروبا للدين للدفاع عن نفسها ضد المسلمين وبدأ رجال الكنيسة والكتاب المسيحيون بتشويه صورة الإسلام وتفضيل المسيحية عليه تعويضا عن هذا الشعور بالنقص ويختم «وات» كتابه بالمقطع التالي : «إن تأثير الإسلام على الغرب المسيحي هو أكبر مما كان يتصور ليس لأن المسلمين شاركوا أوروبا في كثير من الصناعات والإكتشافات العلمية، وليس فقط لأن الإسلام أثر في أوروبا فكريا في حقل العلوم والفلسفة بل لأن الإسلام كان قد دفع أوروبا لأن تتخذ لنفسها صورة جديدة. ولكن بما أن أوروبا كانت تعادي الإسلام فقد قلّلت من شأن تأثيره عليها وبالغت في القول في الإعتماد على التراث اليوناني والروماني. وعليه فإن علينا نحن الأوروبيين واجبا مهما حيث نعيش في عصر الإتجاه نحو عالم واحد أن نصحح هذا المفهوم الخاطىء المخالف للحقائق التاريخية ونعترف إعترافا كاملا بديننا للعرب والمسلمين».

بنــــــوك المعلومــــــات

لمحمد أمـــان

حشمت قاسم

أستاذ علم المعلومات المشارك

جامعة القاهرة

أمان، محمد محمد/ بنوك المعلومات.ـ تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٣م، ٢١٩ ص.

ما زال الإنتاج الفكري العربي يفتقر إلى الكتب المتخصصة في مجال خدمات المعلومات، التقليدي منها وغير التقليدي على السواء. والكتاب موضوع هذ العرض اضافة ثرية في هذا المجال تقف وراءها امكانات المؤلف وخبرته وموارد إدارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حيث توفر على تأليف هذا الكتاب الدكتور محمد محمد أمان عميد مدرسة المعلومات بجامعة وسكونسن، ملووكي بالولايات المتحدة الأمريكية،بينما اضطلعت المنظمة العربية بمسئولية النشر.

وعلى الرغم من العنوان الشامل «**بنوك المعلومات**» فان محتوى الكتاب يتركز حول نمط واحد بعينه من أنماط التعامل مع بنوك المعلومات، وهو الاتصال على الخط المباشر. وعلى ذلك فانه ربما كان من الأفضل ولتحقيق الدقة في الدلالة على المحتوى أن يكون عنوان الكتاب «الاسترجاع على الخط المباشر» أو شيئا من هذا القبيل. ويضم الكتاب ستة عشر فصلا بالاضافة إلى ملحقين فضلا عن مقدمة المؤلف وتقديم إدارة التوثيق والمعلومات .

والفصلان الأول والثاني مدخل لمعالجة الاسترجاع على الخط المباشر، أما الفصول من الثالث حتى الثالث عشر فتتناول المقومات التنظيمية والبشرية الخاصة بالاسترجاع على الخط المباشر فضلا عن الخطوات والاجراءات التي يمر بها البحث، بينما يتناول الفصل الرابع عشر ما أسماه المؤلف «بنوك المعلومات غير الببليوجرافية»، ويمثل الفصلان الخامس عشر والسادس عشر نظرة مستقبلية على الصعيدين العربي والعالمي لمجال تنظيم المعلومات واسترجاعها. هذا ومن الملاحظ أن المؤلف قد استعمل المصطلح «بنك المعلومات» كمقابل للمصطلح Data Bank بينما يستعمل المصطلح قاعدة المعلومات كمقابل للمصطلح Data Base والأول عنده يستعمل للدلالة على بنك المعلومات المتخصص في موضوع معين بينما يستعمل الثاني للدلالة على نظام المعلومات الذي يضم أكثر من بنك معلومات واحد ويتيح الاتصال بهذه البنوك المخزنة في حاسب واحد. ومما يضاعف من أثر الخلط هنا أن المؤلف قد اعتبر وفي نفس الصفحة (ص١١) كلا من نظام ديالوج DIALOG الخاص بمؤسسة لوكهيد Lockheed لنظم المعلومات ونظام ORBIT الخاص بمؤسسة تطوير النظم SDC ونظام ستيرز STAIRS الخاص بمؤسسة خدمات الاسترجاع الوراقي BRS، ضمن بنوك المعلومات بينما هي نظم أقرتها المؤسسات التي تقوم بدور الوسيط بين منتجي بنوك المعلومات والمستفيدين من هذه البنوك لأغراض الاسترجاع على الخط المباشر . وكان من الممكن للمؤلف أن يبين حدود استعمال مصطلحاته بشكل أكثر وضوحا في المقدمة خاصة وأن الاتجاه

السائد الآن في الانتاج الفكري الأجنبي يميل لاستعمال مرصد البيانات Data Base للدلالة على تلك الملفات Files التي تشتمل على البيانات الوراقية (الببليوجرافية) والتي تستخدم للتعرف على الوثائق المتصلة بموضوعات معينة، بينا يستعمل بنك المعلومات Data Base للدلالة على تلك الملفات التي تشتمل على حقائق أو معطيات جاهزة يمكن الافادة منها وبشكل مباشر كالبيانات الاحصائية والحقائق الخاصة بالخواص الكيميائية والفيزيائية للعناصر فضلا عن الحقائق والبيانات الخاصة بالظواهر الاجتماعية والطبيعية والتاريخية ... الخ . وحبذا لو استهل المؤلف كتابه بعرض لأهم مصطلحاته يحدد فيه المجال الدلالي لكل مصطلح وعلاقته بغيره من مصطلحات المجال، وهذه قضية حيوية بالنسبة لهذه المرحلة على وجه الخصوص وربما تأتي في مقدمة ما يتوقعه القارىء من مثل هذا الكتاب الرائد في مجاله .

قلنا إن **الفصلين الأول والثاني** : بمثابة مدخل لمعالجة الاسترجاع على الخط المباشر، **فالأول:** «بنوك وقواعد المعلومات والبيانات» يتناول في ثماني صفحات ثمانية موضوعات أساسية وهي: وظائف بنوك المعلومات، وخدمات بنوك المعلومات، وقواعد بنوك المعلومات ولم يبين المؤلف بوضوح ما يقصده هنا بقواعد بنوك المعلومات (ص١٣)، ومكونات بنك المعلومات، والعلاقة بين النظم التقليدية والنظم غير التقليدية، وخدمات الاتصال المباشر، ومكونات نظام الاسترجاع على الخط المباشر، ووسطاء الاسترجاع على الخط المباشر. ويتناول **الفصل الثاني:** في اثني عشرة صفحة أنواع بنوك المعلومات وينقسم إلى ستة أقسام رئيسية وهي: أسس تصنيف بنوك المعلومات، وبنوك المعلومات الموضوعية، وأشكال أوعية المعلومات، ومعايير تقييم بنوك المعلومات، وتجهيزات بنوك المعلومات، ومكونات بنوك المعلومات، وهذه كلها معالجات هيكلية موجزة أخلت بمقتضيات الدقة والوضوح. ولم يقدم المؤلف تصنيفا لبنوك المعلومات كما يمكن أن نتوقع من عنوان الفصل .

ويتناول **الفصل الثالث** : الموزعون وخدمات الاتصال المباشر في إحدى عشرة صفحة تطور خدمات الخط المباشر، والتيسيرات التي يكفلها متعهدو الاسترجاع على الخط المباشر كأدوات البحث والنشرات الاعلامية وامكانية التدريب، ثم يعرض المؤلف لستة أمثلة لمتعهدي الخدمة ونظم التشغيل الخاصة بهم يتبعها بعشرين مثالا لمراصد البيانات الوراقية (الببليوجرافية) وبنوك المعلومات غير الوراقية، حيث يسجل عن كل مرصد المؤسسة المنتجة وحدود التغطية النوعية والموضوعية وتتابع التحديث وتكلفة التعامل وكل هذه بيانات خاضعة للتغير المستمر بالطبع. وينتهي هذا الفصل بعرض موجز لمشكلة اختيار المتعهد الذي يمكن التعامل من خلاله. ويتناول **الفصل الرابع:** في ثلاث صفحات فئات المستفيدين من نظم الاسترجاع على الخط المباشر.

ومنافذ الاتصال Terminals وشبكاته هي موضوع **الفصل الخامس:** الذي يشتمل — في أربع عشرة صفحة — على معالجة لأنواع المنافذ أو «النهائيات» أو «الطرفيات» بمصطلح المؤلف، وهي المنافذ الطابعة ومنافذ انبوبة أشعة المطهبط CRT ، ومصادر الحصول على المنافذ، وجهاز تحويل الاشارات الرقمية إلى إشارات تناظرية والمعروف بالمودم Modem أو المحول، وطرق الاتصال بالحاسب، وشبكات الاتصالات، واجراءات التعامل مع المنفذ. وقد عززت معالجة موضوع هذا الفصل بعدد كبير من الصور والرسوم التوضيحية .

ويتناول **الفصل السادس** : في اثني عشرة صفحة — إجراءات البحث على الخط المباشر بدءا بالمقابلة المرجعية بين المستفيد ومسئول البحث وانتهاء بتقديم ناتج البحث وتقييمه مع الاشارة إلى الأدوات المساعدة في كل خطوة من الخطوات التي يمر بها البحث، وقد جاءت المعالجة هنا أيضا معززة بعدد من النماذج وخرائط التدفق والرسوم التوضيحية.

ويعرض **الفصل السابع**: تفصيلا في ثلاثين صفحة لأوامر التخاطب مع مرصد وبنوك المعلومات. ويقسم المؤلف هذه الأوامر إلى فئتين: الأوامر الخاصة بالاتصال بالحاسب، وتشمل الاتصال الهاتفي بشبكة الاتصالات والتعريف بالمنفذ المستخدم وتحديد الحاسب المقصود وربط شبكة الاتصالات بالحاسب المضيف ثم التعريف بالمستفيد، والتعرف على آخر تطورات مراصد وبنوك المعلومات، واختيار المرصد أو البنك المناسب، واتخاذ اجراءات البحث، وتسجيل الوقت المستنفد والتكلفة وإنهاء عملية البحث. أما الفئة الثانية فهي تلك الأوامر والتعليمات الخاصة بلغات البحث والاسترجاع وتشمل الأوامر الخاصة باختيار مصطلحات البحث والرجوع إلى المكانز وصياغة استراتيجية البحث أو الربط بين المصطلحات المستعملة، وتعديل الاستراتيجية واستعمال قواعد المنطق البوليني، وعرض النتائج وتصفحها، وطبع الاشارات المرجعية التي يقع عليها الاختيار، وتصحيح ما قد يقع من أخطاء، ثم إنهاء الاتصال بالحاسب. وكما هو الحال في الفصلين السابقين يشتمل هذا الفصل أيضا على عدد من النماذج والرسوم التوضيحية.

هذا ويقارن المؤلف في **الفصل الثامن**: بين لغة البحث والاسترجاع المستخدمة في مؤسسة لوكهيد (ديالوج) واللغة المستخدمة في مؤسسة خدمات الاسترجاع الوراقي (ستيرز) وذلك من حيث مدى البساطة والمرونة وكفالة التفاعل بين النظام والمستفيد وغير ذلك من الامكانات. وقد جاءت هذه المقارنة مجرد عرض لنماذج توضيحية حيث لا يمكن الخروج منها بترجيح لاحدى اللغتين على الأخرى.

ومن السمات المميزة لبعض نظم الاسترجاع على الخط المباشر امكانية اختزان الاستفسار الخاص بالمستفيد والاحتفاظ به لأغراض البث الانتقائي للمعلومات بحيث يحصل المستفيد بانتظام على كل جديد يضاف إلى مرصد البيانات ويتفق واهتماماته الموضوعية. ويستعرض المؤلف في **الفصل التاسع** هذه السمة المميزة في كل من نظام «اوربت» و«ستيرز» و«ديالوج»، كما يعرض للاجراءات التي يمر بها اختزان الاستفسار واسترجاعه وتعديله.

ويفرد المؤلف **الفصل العاشر**: (ثماني صفحات) لنمط بعينه من أنماط مراصد البيانات وهي تلك التي تكفل بحث نصوص الوثائق أو المستخلصات، حيث يتناول بعض القضايا اللغوية الخاصة بهذا النمط والمشكلات الناجمة عن مظاهر الغموض في اللغة الطبيعية والأساليب المحتملة للتغلب على هذه المشكلات، ويستعرض بعض التجارب الريادية لنظم بحث النصوص على الخط المباشر.

ويسجل المؤلف في **الفصل الحادي عشر** بعض ما تنطوي عليه نظم الاسترجاع على الخط المباشر من خصائص مساعدة للمستفيدين وبعض ما يقدمه متعهدو هذه النظم من أدوات وامكانات تُيسِّر مهمة المتعاملين معها. أما **الفصل الثاني عشر**: فيتناول بعض الجوانب الإدارية والتنظيمية وأسس حساب التكلفة في نظم الاسترجاع على الخط المباشر، ويبدأ بالمقارنة بين البحث على الخط المباشر والبحث اليدوي، وينتقل بعد ذلك لمعالجة عناصر كل من تكلفة التأسيس وتكلفة التشغيل، واختيار العاملين، وسبل التعامل مع النظم، والتعريف بالخدمة وتدريب المستفيدين، وحفظ السجلات وتجميع الاحصاءات.

والمستفيد كما نعلم هو محور جميع خدمات المعلومات بكل أشكالها، وتتوقف فعالية هذه الخدمات على مدى وعي المستفيد بكيفية التعامل معها، وتتطلب تنمية هذا الوعي بعض الجهود الايجابية من جانب القائمين على أمر الخدمات، ويعرض المؤلف بايجاز شديد (أربع صفحات) في **الفصل الثالث عشر** لقضية تدريب المستفيدين من حيث أهميته وأشكاله وقنواته حيث يبين دور كل من التعليم الذاتي والتعليم بواسطة الحاسب الالكتروني، وبرامج التدريب التي ينظمها منتجو مراصد البيانات وتلك التي ينظمها متعهدو خدمات المعلومات والبرامج التي تنظمها معاهد

المكتبات وعلم المعلومات، وجهود جمعيات المستفيدين من نظم الاسترجاع على الخط المباشر، وينتهي الفصل ببيان موجز لمحتوى البرامج التدريبية في هذا المجال .

ويتناول **الفصل الرابع عشر** «بنوك المعلومات غير الببليوجرافية» أو نظم استرجاع الحقائق. وهذه عبارة عن تحويل للأعمال المرجعية غير الوراقية، من موسوعات وأدلة وكتب حقائق ومعاجم تراجم ... الخ إلى شكل قابل للقراءة بواسطة الحاسب الالكتروني. وقد عرض المؤلف لبعض نماذج هذه البنوك في المجالات المالية والاقتصادية، وفي العلوم الطبيعية، فضلا عن أدلة المؤسسات وأدلة الأفراد .

ويمثل **الفصلان الخامس عشر والسادس عشر** نظرة مستقبلية للمجال، حيث يركز الأول على التطورات الجارية في كل من أوروبا وأمريكا الشمالية والاتجاهات المستقبلية نحو توحيد لغات التعامل مع النظم وتبسيط هذه اللغات والاهتمام بالتعرف على احتياجات المستفيدين وتيسير سبل تعاملهم مع النظم، وتطوير امكانات المنافذ، وانخفاض تكلفة البحث ونمو مراصد البيانات المحلية نتيجة للتطورات المتوقعة في امكانات الاختزان. أما **الفصل السادس عشر والأخير** فيلقي نظرة على مستقبل بنوك المعلومات على الصعيد العربي تغطي مشكلة ترميز الحروف العربية أو «الشفرة العربية» بمصطلح المؤلف والتطورات التي مرت بها والمشروعات القطرية والمشروع العربي الموحد، وخصائص نظام الترميز الذي تم اقراره في الرباط في ابريل ١٩٨٢. كما تغطي هذه النظرة السريعة أيضا بعض المشكلات الخاصة بالتنظيم الوراقي على اختلاف مستوياته في العالم العربي، وينتهي هذا الفصل بعرض مبسط لما يمكن أن يكون عليه مرصد البيانات الالكترونية الخاص بالإنتاج الفكري العربي.

ويشتمل **الملحق الأول** على بيان بالأوامر والتعليمات الأساسية والاختيارية في كل من نظام ديالوج الخاص بمؤسسة لوكهيد ونظام ستيرز الخاص بمؤسسة خدمات الاسترجاع الوراقي وإلهل ELHILL الخاص بالمكتبة القومية للطب بالولايات المتحدة الأمريكية والمستخدم من جانب خدمة الاسترجاع الالكترونية بالمكتبة البريطانية BLAISE . أما **الملحق الثاني** فيضم ١٥٣ مصطلحا ومقابلاتها العربية مصحوبة ببعض التعريفات الموجزة.

بعد هذا العرض الموجز لمحتويات الكتاب يتبين لنا مدى الإحاطة والشمول في معالجته لموضوع الاهتمام الرئيسي وهو نظم الاسترجاع على الخط المباشر. وهذه من السمات التي تؤهله لأن يحتل مكانه ككتاب دراسي جيد في الموضوع .

ولنا بعض الملاحظات الشكلية البسيطة على هذا العمل: وأولى هذه الملاحظات تكرار التعرض للموضوع الواحد في أكثر من مكان واحد في النص، وهذه ظاهرة نلحظها في كثير من الكتب الأجنبية المتخصصة في هذا المجال، وربما كان من الممكن تجنبها باحكام منهج تقسيم قطاعات الموضوع ووحداته والحد من عدد الفصول، ويقودنا ذلك إلى الملاحظة الثانية وهي افتقار فصول الكتاب للتوازن، حيث نلحظ تفاوتا واضحا في الطول الذي يتراوح ما بين ثلاث صفحات فقط وثلاثين صفحة. وعلى الرغم من استخدام أحدث تكنولوجيا الطباعة وهي التنضيد الضوئي في اخراج هذا الكتاب فقد شابه الكثير من الأخطاء المطبعية التي أدى بعضها إلى غموض النص وخاصة ما يرد منها في عناوين الفقرات (ص١٤، ٢٩ على سبيل المثال لا الحصر). ويؤكد ذلك أهمية مراجعة المؤلف لتجارب طباعة كتابه. يضاف إلى ذلك بعض الأخطاء النحوية والملاحظات الأسلوبية الناتجة عن الترجمة المباشرة والمتعجلة ولا يتسع المجال لسردها.

ومهما يكن فان هذه الملاحظات لا يمكن بحال أن تنال من الجهد المخلص الذي بذله المؤلف والمسئولون بادارة التوثيق والمعلومات بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ونحن على يقين من أن هذه أمور يمكن تداركها بسهولة في الطبعات

اللاحقة بإذن الله. ولا يسعنا إلا أن نحيي هذا الجهد ونهنيء القائمين عليه، ونرجو أن يحظى بكل الترحيب من جانب المهتمين بخدمات المعلومات من الدارسين والباحثين والمديرين والمستفيدين وأن يسهم في تنمية الوعي بهذا المجال وتهيئة المناخ المناسب لاستقبال التطورات المنتظرة في خدمات المعلومات والسبل المتاحة لاستثمار ثروة المعلومات.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الطباعة العربية في الغرب

جليل العطية



بالاينا، جوزي/ الطباعة العربية في الغرب من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر.ــ باريس، ١٥٣ ص. (بالفرنسية).

للكتاب العربي رحلة طويلة بدأت في أوروبا، وقد جرت محاولات عديدة لتغطية كل ما نشر باللغة العربية منذ بدأت الطباعة حتى نهاية العقد الأول من هذا القرن.

هناك أعمال أساسية أشبه بحلقات السلسلة حاولت حصر هذه الجهود وتسجيلها أولها :

Bibiotheca Arabica الذي أصدره C.F. Schuurrer ليغطي الفترة من سنة ١٥٠٥ ــ إلى سنة ١٨١٠ م.

وثانيها :

Orientalische Bibogaphie الذي أصدره Scherman في محاولة لتغطية كل ما طُبع باللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية في الفترة من ١٨٨٧ إلى سنة ١٩١٠م، لا في أوروبا وحدها وإنما في الشرق والغرب معا.

بعد ذلك جاء Victor Chauvin فحاول أن يسد الفجوة الزمنية المتخلفة بين العملين السابقين فأصدر :

Bibliographie des Ouvrages arabes relatifs aux Arabe publiés dans L'Europe chertienne de 1801 à 1885.

وقد صدر منه اثنا عشر عددا في الفترة من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩١٢ ثم توقف بسبب وفاة مؤلفه في سنة ١٩١٣ م.

وإلى جانب هذه الأعمال الثلاثة حاول J.T. Zenker في موسوعته : Bibliotheca Orientalis أن يحصي الكتب الشرقية التي صدرت في أوروبا والشرق منذ اختراع الطباعة حتى عصره (حوالى سنة ١٨٤٤م)، ولكنه لم يلبث أن تبين له أن المجال أرحب جدا مما تصوره ، سواء من حيث لغات الشرق وتعددها

أو من حيث الفترة الزمنية التي حددها لنفسه. ومن أجل هذا بدأ باللغة العربية فحصر الانتاج فيها على قدر الطاقة، ولم يستطع أن يتجاوزها إلى غيرها من لغات الشرق.(١)

بعد ذلك تتابعت الجهود كما هو معروف، ويظل معجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس(٢) من أفضل الأعمال البيليوجرافية العربية .

إن اهتمام الأوروبيين بحضارة العرب والمسلمين يسبق القرن السادس عشر. ففي القرن الثاني عشر كان جيرار دوكريموث يدير في أسبانيا مؤسسة للترجمة من اللغة العربية إلى اللاتينية، وفي عام ١٤٧٣(٣) كان في البندقية أربعون طبعة لكتاب ابن سينا باللغة اللاتينية .

أما أول كتاب ظهر باللغة العربية فيعود تاريخه إلى عام ١٥١٤ وهو كتاب للصلاة، موجه إلى الروم الأورثوذكس الشرقيين وعنوانه كتاب صلاة السواعي — أي الساعات — تولى نشره في «فانو» غريغوار الغريغواري بايعاز من البابا ليون العاشر، وهذا يؤكد أن دوافع نشر الكتاب العربي لم تكن علمية، بل تبشيرية ثم سياسية !.

السيدة جوزي بالاينا رئيسة قسم المطبوعات العربية في المكتبة الوطنية في باريس أصدرت كتاباً عنوانه «الطباعة العربية في الغرب من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر» يعتبر مشاركة طيبة في عملية رصد الكتاب العربي وهو في المهد، في بدايات ظهوره وقد تناولت المؤلفة نحو ٢٥٠ عنوانا من هذه الكتب المحفوظة في المكتبة الوطنية بباريس وكذلك في مكتبات ليدن ولندن واكسفورد والفاتيكان وجميع هذه الكتب طُبعت في القرون الآتية : السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر .

لقد اختارت أبرز وأهم هذه الكتب وبحثها بشكل جيد، وبعد انجاز الدراسة التي استغرقت سنوات عديدة، نشرت عنها دراسات في المجلة التي تصدرها المكتبة الوطنية، بعد ذلك اتصل بها الناشر، طالبا منها التوسع فكان حصاد كل ذلك هذا الكتاب .

يتكون الكتاب من ثلاثة فصول، يعالج كل فصل الظروف العامة التي طُبعت فيها الكتب العربية في أوروبا للفترة من القرن السادس عشر حتى القرن الثامن عشر .

وهكذا منحت المؤلفة فصلا لكل قرن، متناولة المخطوطات التي حصل عليها الأوروبيون وتطور طباعة الكتاب، وشكل الكتاب من ناحية المساحة وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة وشكل الطباعة وطريقتها، وطرق حفظ المخطوطات، ثم تورد أسماء الكتب المطبوعة وفق تسلسلها الزمني .

تمنح المؤلفة الكتب التي تتناولها وصفاً دقيقاً يشمل شكل الكتاب وحجم الصفحة ، ثم تنتقل إلى عنوان الكتاب وطريقة كتابته على الغلاف، ثم الصفحات الداخلية والأوراق السليمة من التلف وكذلك الصفحات التالفة او المتآكلة ثم تصف الصفحات التي تحمل العنوانات، الرسوم، الصور، الزخارف ، إن وجدت.

بعد ذلك تتناول أصل المخطوطة التي نشر بموجبها الكتاب، وكيف وصلت هذه المخطوطة إلى أوروبا، وكل ما يمكن من تفاصيل دقيقة ، [اسم ناسخ المخطوطة، تاريخ النسخ، اسم مالك المخطوطة الذي كانت في عهدته قبيل وصولها إلى أوروبا، وكذلك اسم أول أوروبي اقتنى المخطوطة وجاء بها إلى أوروبا، كذلك أسماء الأشخاص الذين اقتنوا المخطوطة، وأسماء الباحثين الذين استخدموها وانتفعوا بها، وسبب النشر، وضرورته].

وتدعم المؤلفة كل هذه المعلومات والتفاصيل بمصادر موثقة من كتب أو مذكرات شخصية أو فهارس بيليوغرافية أو كتب متخصصة في تاريخ الثقافة وتاريخ العلوم والأحداث السياسية التي شاركت في انتقال بعض الخزائن من دولة إلى دولة كحادثة

إحتلال «القسطنطينية» من قبل العثمانيين وتوسع الامبراطورية العثمانية وأثر هذا التوسع على اغتناء خزائن «استانبول» وغيرها من بقاع هذه الامبراطورية بالمخطوطات والكتب التراثية الإسلامية.

وعبر الفصول الثلاثة وخلال تناولها الكتب العربية المطبوعة وفق تسلسلها الزمني، تتناول بشكل متواز موضوع بداية اهتمام الغرب بالمخطوطات العربية وتطور هذا الاهتمام وبداية إقتناء بعض الأوروبيين من هواة الكتب، للكتب العربية والمخطوطات الشرقية.

تشير المؤلفة إلى دور الرحالة الأوروبيين والدبلوماسيين الأوروبيين الذين شغلوا مناصب في سفارات بلدانهم في الأقطار العربية والإسلامية ، خاصة لدى الدولة العثمانية .

بعد الكتاب الأول، الذي طبع في «فانو» في عام ١٥١٤، تلبية لرغبة الكنيسة البابوية في الانفتاح على الكنائس الشرقية، صدر في مدينة «جين» في فرنسا كتاب «مزامير داوود» عام ١٥١٦، بلغات متعددة منها العربية، ويقول ناشره «غوستنياني» انه طبع منه ألفي نسخة عادية وخمسين نسخة ممتازة أهداها إلى أمراء مسيحيين ومسلمين. ولم يستطع «غوستنياني» تحقيق حلمه، أي طباعة إنجيل متعدد اللغات .

ويقال إن هناك قرآنا صدر في عام ١٥٠٠ أو ١٥١٧ باللغة العربية، وتؤكد معظم المصادر صدوره، على الرغم من اختلاف هذه المصادر في تحديد تاريخ الظهور، وأكدت المصادر أن البابا بولس الثالث أمر باحراق نسخ القرآن الكريم، من هذه الطبعة بعد توليه سدة البابوية عام ١٥٣٤.

في هذه الفترة تتوقف الطباعة العربية في ايطاليا وتظهر في باريس..

في باريس يظهر كتاب في قواعد اللغة العربية «لغيوم بوستيل» عام ١٥٣٨، وكان بوستيل أحد معتمدي الملك فرانسيسوا الأول لدى الامبراطورية العثمانية .. كان بوستيل يقوم بالاتصالات السرية مع العثمانيين وعلى يده تم توقيع معاهدة تحالف مع سليمان باشا الكبير، عام ١٦٣٦.

في النصف الثاني من القرن السادس وفي نحو عام ١٦٦٦ نشطت المطابع العربية مرة أخرى في روما في حين أصدر ملك أسبانيا أمراً بمنع اللغة العربية !!.

في هذه الفترة نشر اليسوعيون كتاب تعليم الدين المسيحي وأعيد طبعه أربع مرات بهدف محاربة الكنائس الشرقية !.

اهتم الألمان بالطباعة العربية ونشروا كتاباً في الطب.

عام ١٥٨٤، تأسست المطبعة «المديتشية» في روما بايعاز من البابا غريغوار الثالث عشر وبتمويل البابوية والكاردينال «فرديناندو المديتشي» وقد استخدموا الفرنسي الشهير في فن الحفر «غراغيون» لصناعة مجموعات من الأحرف العربية بأحجام متنوعة وحتى عام ١٥٩٥ طبعت «المديتشية» زهاء سبعة كتب، منها الاناجيل عام ١٥٩٠ (١٥٠٠ نسخة) و١٥٩١ (٣٥٠٠ نسخة)، بالاضافة إلى كتب في مجالات مختلفة كالنحو والجغرافية والطب، غير أن هذه الكتب لم يكتب لها النجاح في الشرق، لا على الصعيد الديني ولا على الصعيد المالي .

شهد القرن السابع عشر دخول الهولنديين والألمان والإنجليز ميدان الطباعة العربية .

طور الألمان حروف الطباعة العربية، واشترى الإنجليز الأحرف العربية من الهولنديين وطوروها أيضا.

واصل الايطاليون الاهتمام بالطباعة العربية بشكل ملفت للنظر، وطبعوا كتبا كثيرة في روما .

أما فرنسا، فقد تقهقرت الطباعة العربية فيها أيام لويس الثالث

عشر، واختفت أيام لويس الرابع عشر، على الرغم من وجود العلاقات الطيبة مع المشرق، وكثرة الرحلات لجلب المخطوطات الشرقية إلى المكتبة الوطنية، وقد لعب الوزير «روشيليو» دورا هاما في عملية اقتناء المخطوطات من الشرق .

بين عامي ١٦٠٨ و١٦١١ يقوم «بيتركيرستن» وهو طبيب ألماني ، بمشروع طباعة على نفقته الخاصة، فينشر أربعة كتب في اللغة والدين وكتاب ابن سينا في القانون .

كان كيرستن يعشق الطب العربي ويؤمن به كثيراً، ولهذا حرص على نشر النصوص الطبية العربية، نشرات تخلو من أخطاء الترجمة ، كما كان يقول .

في هذه الفترة اتجهت الدراسات العربية في ألمانيا نحو شيء من التنظيم، فقد وضع أحد العلماء الألمان كتابا مختصرا باللغة اللاتينية عن قواعد اللغة العربية وقد نشأت مدرسة دُعيت «بالمدرسة الألمانية»..

في بواكير القرن الثامن عشر، تضاعفت الطباعة العربية، خاصة في ألمانيا وهولندا عام ١٧٠٠ ، أُعيد طبع «حي بن يقظان في اكسفورد»، وأصدر المستشرق بوكوك الكتاب نفسه مع الترجمة اللاتينية .

عام ١٧٠١ نشر أندري أكولوت. في برلين سورة الفاتحة بأربع لغات، وكان طموحه طباعة القرآن الكريم بأربع لغات .

عام ١٧٠٢ ظهر كتاب «المزامير» في بوخارست .

وبين عامي ١٧٠٦ و١٧١١ تولى «اتاناس الثالث دباس» طباعة المزامير والأناجيل في «حلب».

عام ١٧٠٥ يكتب أوريان رولان ــ وهو عالم لاهوتي هولندي ــ أول بحث منصف عن الدين الإسلامي ..

كان رولان أول أوروبي يطالب قومه بقراءة مبادىء الإسلام، قراءة متجردة، موضوعية ــ مؤكدا أنه ــ الإسلام ــ دين يستحق الاحترام .

خلال القرن الثامن عشر تتسع الطباعة البروتستانتية، ويتولى كالينبرغ إنشاء مطبعة عبرية وعربية على نفقته، فيطبع الأناجيل وبعض الكراسات الدينية بين عامي ١٧٢٩ و١٧٤٢ فتوزع في الشرق وتصل إلى الهند .

في منتصف القرن الثامن عشر تأسست الطباعة في إستانبول، وصدر قاموس تركي ــ عربي عام ١٧٢٨ .

في عام ١٧٧٥ ظهرت الطباعة العربية في أسبانيا ونشر كتاب في قواعد اللغة العربية .

في عام ١٧٨٧ أشرفت كاترين الثانية ــ إمبراطورة روسيا على طباعة القرآن باللغة العربية لأسباب سياسية .

وفي عام ١٧٩٥ قرر نابليون بونابرت أن يصطحب معه إلى مصر، مطبعة قادرة على طباعة العربية والتركية واليونانية لنشر بياناته السياسية بهذه اللغات .

وبعد هذا العرض الوصفي لكل الكتب التي طبعت في أوروبا باللغة العربية من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر ، تقدم المؤلفة «ذيلا» يضم عناوين كل الكتب التي ظهرت في هذه الفترة وأسماء المؤلفين والناشرين، وعدد صفحات كل كتاب ورقمه في المكتبة الوطنية بباريس أو في مكتبات لندن، روما، مدريد .

الهوامش

١ ــ لمزيد من التفاصيل أنظر مقدمة :
دليل المطبوعات المصرية من ١٩٤٠ ــ ١٩٥٦ ــ إعداد: أحمد محمد منصور وتقديم عبد الستار الحلوجي ــ «القاهرة ــ ١٩٧٥».

٢ ــ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ليوسف اليان سركيس ــ القاهرة ــ ١٩٢٨ .

٣ ــ جميع التواريخ في هذا المقال مدرجة وفق التاريخ الميلادي.

٤ ــ عنوان الكتاب :

Balagna, Josèe
L'imprimerie arabe en occident «XVI, XVII, et VIII Siecles».
153 p. Editions Maisonneuve et LAROSE — PARIS.

الطيبون والقاع لعلي حسون

عبد السلام المفتاحي

حسون، علي/ الطيبون والقاع.ـــ جدة : دار العلم.

إستهـــــلال :

بعد مجموعتين قصصيتين «حصة زمن» و«حوار تحت المطر» وكتيب في الشعر المنثور «إليها أينما كانت». يواصل القاص علي حسون مسيرته الأدبية وبحثه الدائب عن جنس أدبي يستطيع من خلاله نثر وعيه الرومانتيكي وإلقاء أسئلته الوجودية. وفي هذا السياق تأتي رواية «الطيبون والقاع» كأول تجربة روائية يمكن أن تشكل إضافة مهمة للحقل الروائي السعودي. ولسنا ننفي إمكانية أن يكتنف هذه التجربة مزلق أو مزالق معينة. غير أن مهمة هذه المقاربة لا تكمن في استكشاف المزالق بقدر ما تكمن في تأمل البناء الفني والدلالي لهذه الرواية. إن هذا الاختيار ينبني على الخصاصة الكمية التي يعيشها الواقع الأدبي السعودي في مجال الإبداع الروائي.

ومن ثمَّ فهو اختيار لا يسعه سوى الترحيب بتراكم المادة الروائية. ذلك أنه إذا كان اللاشيء لا يمكن أن يعطي شيئاً. فإن تفاعل وصراع الأشياء بعد وجودها في الواقع هو الذي يحدد من جهة أولى قيمتها وفعاليتها. كما أنه سيحدد من جهة أخرى الاختيار النقدي الممكن في عملية فحصها وتمحيصها.

○ **استعراض**

ربما كان من الأجدى قبل البدء بمقاربة البناء الفني والدلالي لرواية (الطيبون والقاع) القيام بعرض سريع يختزل بعض ما تريد أن تقوله الرواية. إن هذا العرض يهدف إلى تقديم الأرضية الآنية التي ستتحرك مع القارىء فوقها. وإذن فهو لا يغني بأي حال عن العودة إلى النص الروائي لقراءته.

الفصل الأول :.

يتقدم الفصل الأول من رواية (الطيبون والقاع) لتعرية الإطار العام للزمان والمكان والشخصيات. ونلاحظ منذ البداية أن الراوي يحرص على تعرية مواصفات المكان ووظائفه. أما الشخصيات فإن سلوكها وتصرفاتها تطابق دلالة العنوان (الطيبون) ويبقى الحدث الأساسي داخل هذا الفصل هو تعسر الولادة لدى أم عباس حيث سيكشف هذا الحدث عن شفافية روح (أبو أحمد) وطيبوبة (أم أحمد) وحيرة (الصبية) وذهول (أهل الحي) وتساؤل (الشلة). وهي ردود فعل أخلاقية تدل على روعة السلوك الأخلاقي لدى الجماعة. وتخدم الكاتب عندما تؤكد على دلالة العنوان. ينتهي الفصل الأول بوضع (أم عباس) لمولودها ومجيء أهل الحي مهنئين.

الفصل الثاني :

طغى الحوار في الفصل الثاني، الأمر الذي دفع ببعض الأحداث العادية، والتي تشكل اهتمامات الوعي الجمعي إلى الأمام. وإذا كان الفصل الأول قد قدم الإطار العام للرواية فقد كان العزم منصبا في الفصل الثاني على محو الضبابية التي قدمت

بها الشخصيات. من جهة أخرى بدا الجهد منصبا على تقديم شخصية (حسن) كشخصية تستقطب الأنظار دون أن تتمحور حولها كل الأحداث. وقد قدمت لنا شخصية (حسن) كشخصية تمتلك بعض مفاتيح «البطولة» فحسن يستطيع أن يسبي عقول الشلة إلى ما يرويه من قصص شعبي. كما أنه يحسن (الرقص) على الحلبة حول النار. إنه يمتلك أن يستعمل أداتين مهمتين هما:

الذاكرة ← ______ ←القص

الجسد ← ______ ← الرقص

فهل يحتفظ حسن بمفاتيح البطولة إلى نهاية الرواية ؟.

الفصل الثالث :

لم يكشف الفصل الثالث شيئا جديدا على مستوى مجرى الأحداث. غير أن التركيز على استعراض بعض المشاهد بعينها. وخروج عباس من (الحي) إلى المدرسة التي تقع (خارج الحي). قد يكون في حد ذاته تعبيرا عن وضعية تاريخية غابرة. كان من ضمن إفرازاتها ذلك التمايز الإجتماعي.

الفصل الرابع :

يضيء الفصل الرابع شخصيتي، عباس وسلمى الطفلين. ويعري السرد عن معاناتهما وبراءتهما في آن. إن سلمى تعاني من (اللاتمدرس) الناتج عن وعي تقليدي يؤمن بأن المرأة تخرج خرجتين فقط. أما عباس فإنه يتابع دراسة قاسية في الصباح. وينحني في المساء على أكوام من الأحذية لترقيعها، ضامنا بهذه المهنة المتواضعة عيشه. مستعينا على كل ذلك بالصبر وبالأمل بأنه سيستطيع ذات يوم «أن يقفز كل الحواجز ويصبح رجلاً».

الفصل الخامس :

يضيء هذا الفصل شخصية (صالح) التي تشتغل ببيع منتوجات الأرض. ويكشف عن جانبها العاطفي. فصالح يحب (بدرية) غير أن عجوزا مكتنزا بالذهب والفضة سيقف حجر عثرة أمام تزكية ذلك الحب بالزواج. إن هذا الحدث بالرغم من تقليديته سيضفي على القص طابعا صراعيا، حتى وإن كان صراعا من جانب واحد. هو «صالح» والشلة التي تشاركه همومه.

الفصل السادس :

يلاحظ القارىء في هذا الفصل حركة على مستوى الأحداث. وتوسعاً على مستوى أفق المكان. وتلاعبا فيما يخص فضاء الزمن. لقد انتقل عباس إلى مدينة أخرى لأجل التحصيل الجامعي. وعلينا أن ننتبه إلى اضطرام نار العقد العاطفي المبرم بين سلمى وعباس. وهو عقد بالرغم من عفته يظل مشوبا حتى انطفاء جذوة السرد بنيران الشك والاحتياط.

الفصل السابع :

يكشف الفصل السابع رغبة (الشلة) تجاوز سياج الجهل الذي يحيطهم من كل جانب، لكن المحاولة كما يقدمها القاص تظل مصطدمة بسذاجة الشلة وقصور فهمها وعدم قدرتها على التمييز (الإنجليز ضربوا بريطانيا). أما محاولتهم الاهتمام بما يجري في الداخل ــ البلدية، فتنتهي إلى الصمت والإنطواء، ومن هنا تبقى شخصية «حسن» هي الشخصية الأكثر تأهيلا للحديث عن الواقع والسلطة. وما يدور في العالم الخارجي.

الفصلان الثامن والتاسع :

بمبادرة من (عم معتوق وعبد الفتاح) اللذين سعيا إلى (والد بدرية) وطلبا منه ألا ينخدع لبريق المال والثروة. يتم زواج صالح ببدرية. إن هذه النهاية تعمق حس الطيبوبة التي تتمتع بها الجماعة.

الفصلان العاشر والأخير :

يقدم لنا هذان الفصلان عودة عباس من رحلته العلمية

بالشهادة والوظيفة. وزواجه بسلمى التي نشأت قريبة منه. وظلت تنتظره طيلة أيام التحصيل والكد والمعاناة. يكشف الفصل الأخير عن الوعي المتطور والانتقال الاجتماعي السريع. إن شخصيات عديدة تشترك في حمل وتحمل هموم هذا الوعي وتعبر عنه بأشكال متباينة . نذكر منها على سبيل المثال:

ــ الإحساس بانهيار المكان.

ــ الموقف الرافض لتقاليد الاحتفال الشعبي الفاضح لليلة الدخلة.

○ **التحليل :**

ملاحظة أولية :

تنقسم الرواية إلى إحدى عشر فصلا. ثم تنقسم الفصول إلى مقاطع، ويتضافر على تشكيل الجسد الروائي كل من السرد المعتمد على الرؤية من خلف والحوار الذي يقوم على اللغة المتداولة. والمنولوج الداخلي والكولاج الذي يبرز في شكل رسائل وأغاني ومقاطع من سيرة عنترة. بالإضافة إلى أمثلة شعبية.

وقبل الحديث عن المكونات المادية للنص الروائي بالتفصيل نلاحظ بأن الفصل الأول يقدم مشهد ولادة أم عباس بعد تعسرها.

[قالت (رباب) وهي تضع طبق الفول على المائدة العامرة بأصناف الطعام أمام زوجها المتكيء على إحدى الوسائد:

ــ أظن أن جارتنا تلد الآن .. والولادة صعبة قليلا.

قال لها وهو يمد يده إلى حبات التمر أمامه:

ــ ربنا يهون عليها] ص ١٢.

كما أننا نلاحظ بأن الفصل الأخير يقدم لنا مشهد دخول عباس بزوجته سلمى [أخذها إليه، صوت الباب الخارجي يقفل.. مدُّ يده إلى (السراج) أرخى فتيلته أكثر ... غرقت الغرفة في الصمت الحالم .. قذف (بالمقنع) الأحمر بعيدا.. ذابت اللحظات وسقطت كل الحواجز) ص ١٣٢.

قد تدعو إثارة هذه الملاحظة المتلقي إلى أنه أمام عمل روائي يتقدم في شكل مجموعة من الحكايات المتسلسلة ، يرويها الراوي بضمير الغائب. وتخضع للنسق الزمني في تتابعه. غير أن إثارتنا تبغي التأكيد على البعد الفلسفي والتراثي الثاوي وراء تقدم الكتابة في (الطيبون والقاع). بهذا الشكل المكتسي طابع المفارقة في ظاهره ، بينا ينطوي باطنه على رؤية متغلغلة في لا وعي الكتابة العربية منذ العصر الجاهلي.

ومع أننا لا نخفي ارتباط بنية القص ببنية الحياة التي يحكيها هذا النص. فإننا نزعم أن ما يتخذ مظهر الغلبة في نص (الطيبون والقاع) هو فضاء المكان. وهو فضاء يتلبس بطابع الشخصية والحدث والرؤية ويلتبس بهم جميعا، لدرجة لا نستطيع أحيانا الفصل بين أحدهم والآخر.

وهكذا فإن المكان في رواية (الطيبون والقاع) يُقَدَّمُ كشخصية أساسية له مواصفاته وخصائصه وطبائعه. إنه كما الإنسان ينبعث. يتوتر. يتوهج. يخرب. يفعل. ينفعل. لذا نرى بأن البؤر التي تدفق من أجلها السرد هي بؤر تتعلق بحالات المكان. وهي حالات يمكن أن نجملها في الآتي:

١ ــ حالة انبعاث.

٢ ــ حالة توهج.

٣ ــ حالة إنهيار.

فإذا اتفقنا على هذه الجزئية. أمكننا ذلك أن نقيم الرسم البياني الآتي:

المكـــان / الحــي

(الحالـــة)	(تجسد الحالة على مستوى السرد)
١ ــ ميــلاد	التأكيد على وصف المكان في جزئياته وتفاصيله
٢ ــ توهــج	المكان ممتلىء بالنخيل والبساتين والفجل والنعناع
٣ ــ إنهيــار	المكان تستبيحه الآلات الضخمة والشوارع المعدلة والأقدام الغريبة .

إن الحالات الثلاث التي يمر بها المكان هي نفسها الحالات التي يمر بها الكائن البشري. وسوف نلاحظ أن الصراع المفترض أن يدور بين الكائنات الاجتماعية سنجده متجسدا أكثر على صعيد المكان. إذ ينقسم إلى مكانين شبه متضادين. هما الحي وخارج الحي.

يحيلنا هذا التوتر في حضور المكان على رواية (مالك الحزين) للروائيّ المصري إبراهيم أصلان. فهي رواية (عن بشر لا يتحددون إلا في مكانهم، فيصبح المكان هو البداية والنهاية. وهنا فإن الرواية تقدم وصفا دقيقاً لسمات المكان، وتدخل في الحواري وتصف الجدران، وترسم الأبنية. تفعل كل ذلك باهتمام وبعناية. ثم لا تلبث أن تصف المسلسل اللامتناهي للحركة اليومية، التي تتم فوق هذا المكان)(٢) وإذا كانت رواية (مالك الحزين) كما يقول صبري حافظ تعثر على الهوية في المكان وتجد المعنى في المعاش. فإن «الطيبون» لا يجدون هويتهم سوى في «القاع» على أن افتقادهم للمكان وهم يرونه ينهار أمامهم بناء ... بناء ... وركنا ... ركنا لم يلجئهم إلى إنهيار مماثل. فحدث دخول عباس بسلمى ليلة الزفاف هو حدث له دلالته الرمزية في هذا الصدد، إذ يبقى مشيرا إلى إلتحام من نوع آخر بالمكان عن طريق اللجوء إلى الأنثى باعتبارها (سكنا) و(حرثا). وهما فضاءان مكانيان، فاللقاء بالأنثى بالنسبة لعباس هو تعويض عن افتقاد للمكان من خلال امتلاك لمكان آخر لا شك أنه يجسد الخصوبة والاستمرار.

ولعله من المفيد في هذا الصدد إستحضار المقولة الصوفية الفارقة في الشكلية بالرغم من حمولتها الدلالية (كل مكان لا يؤنث لا يعول عليه). فهذا الفهم الصوفي للمكان كان لازمة حرصت الرواية على ترديدها بين الفصول والمقاطع والسطور. فالمكان إذا تأنث صار مكانة. بمعنى صار حالة ومنزلة ومقاما. ولم يعد مجرد أبنية بليدة تملأ الفضاء الفارغ.

ولعل هذا ما اندفعت رواية (الطيبون والقاع) لتؤكده. فالقاع كما أشرنا هو مكانة قبل أن يكون مكانا، وحالاته الثلاث هي بؤر النص الروائي ومراكزه. والطيبون هنا يرتبطون بخصوصيات هذا المكان، دون أن يتولد عن ذلك تطابق ما يجعل من انهيار المكان انهيارا للجماعة.

الإطار المكاني.

يتحدد الإطار العام للمكان (بالمدينة المنورة). وهو تحديد يمنح الإنطباع العادي بما سيكون عليه الفضاء العام للرواية من صفاء روحي وجو ديني. وشيئا فشيئا سيبدأ المكان يأخذ أبعادا أخرى. إن الراوي بدا في عرضه للمكان مستغلا لتقنيات السينما. حيث يبدو المكان في صورته العامة. ثم تبدأ الكاميرا في الاقتراب من التفاصيل، والتركيز على أمكنة دون أخرى.

ومن هذا المنطلق في الرصد المكاني فنحن من الكل ننتقل إلى الجزء. ومن المدينة ننتقل إلى الحي. فلنتأمل هندسة هذا الفضاء.

الحــــي :

في الحي يضع الراوي عصا ترحاله. ويبدو منذ البدء عالما بأسرار هذا الحي وخباياه. إنه يرسم في حرية هندسة المشاهد. ونحن معه نعاين من خلال الوصف الدقيق ميلاد المكان الروائيّ في جو بهيس. إنه وصف يخلط عن عمد صورة المنازل المتلاصقة

بالربوة من الزبالة والبئر بالمستنقع المولد للبعوض.

ولهذا الحي أركان وزوايا ودوائر (في أحد أركان الحي تقع بئر الماء) (في الزاوية الأخرى من الحي يقع منزل منعزل) (المنازل متلاصقة تشكل دائرة واسعة) ص٩.

ثم داخل هذه الأركان والزوايا والدوائر نعثر على المنازل والأزقة. والدكاكين والبئر.. ومن هناك ندلف إلى الأعتاب والأبواب والدكاكين والبئر ... فإذا توغلنا في هذه الأمكنة التقينا بالإناء والفانوس والقدر والمبخرة والإبريق والكانون والحقائب والموائد والوسائد.. فهي أشياء ومقتنيات تلون المكان باللون التقليدي وتمنحه طابع البساطة والبداثية.

فإذا أضيف هنا إلى النعوت التي ألصقت بأسماء الأمكنة السابقة الذكر. إذ السطوح طينية. والأبواب خشبية. والمنازل متلاصقة. فهمنا إذ ذاك الهوية الاجتماعية لهذا الحي، ولن نستغرب لتسميته بالقاع.

ولنلخص هنا مواصفات هذا الحي :

ــ جزء من المدينة .

ــ تتحدد فوقه مجريات الأحداث.

ــ أرضية ساخنة

ــ يقع بالقرب من سور البقيع

ــ يكثر به النخل والبساتين

ــ يستوعب أطرا مكانية صغرى.

المنـــازل :

هي منازل أهل الحي، ويوحي نعتها بالتلاصقة. بالتآلف الروحي والنفسي الموجود بين الجماعة. أما وجود (منزل منعزل) فلا يشير إلى تميز من نوع «ما» بقدر ما يشير إلى طابع العفوية والإرتجال الذي يتم به بناء المنازل داخل هذا (الحي). وهناك الأزقة (الضيقة) و(المتعرجة) التي تفصل بين هذه المنازل. وتساهم في تشكيل جغرافية الحي.

المقهـــى :

لا يخرج فضاء المقهى عن مواصفات البؤس، التي يتمتع به الإطار المكاني العام ويمكن أن نلخص هذه المواصفات في الآتي:

* مواصفات تتعلق بالشكل :

ــ المقهى شكل مبني بطريقة بدائية إذ يشكل الصفيح سياجه.

ــ المقهى شكل أليف يعبق برائحة الهيل والزنجبيل والشيش.

* مواصفات تتعلق بالوظيفة :

ــ المقهى متنفس للشلة.

ــ المقهى منفذ للهدر والتعلم وبث الثقافة الشعبية.

ــ المقهى مصدر للمتعة واللقاء.

البئـــر :

بالإضافة إلى أن البئر يمنح الإنطباع بأننا أمام حي زراعي، فإنه يأخذ في حد ذاته طابعا ماديا حينما يكون مصدر إرتواء، أهل الحي. وطابعا معنويا. إذ يشكل محورا من المحاور التي يجتمع حولها أهل الحي. كما أنه يمثل الأساس لاندفاق الجداول والمستنقعات والقنطرة.

القنطـــرة :

تقوم القنطرة بوظيفة رمزية أساسية. فهي تفصل بين مكانين يشكل كل واحد منهما عالما قائما بذاته له وضعه الاجتماعي والنفسي الخاص به. فالقنطرة تقوم فاصلا بين الحي وخارج الحي.

وإذا كان (الحي) قد قدّم لنا في بؤسه وعفويته وطيبوبة ساكنيه. فإن (خارج الحي) قد قدّم بشكل مختلف. فلنتأمل ذلك:

خارج الحـي :

يبرز (خارج الحي) — كما أوضحت سابقا — كما لو كان مقابلا (للحي). إن النص الروائي لا يظهر هذا الصراع. ولكنه يطلعنا على أننا لا نذهب بعيدا عن التأويل، خصوصا وأن شخصيات من (الحي)، ترتبط بارتباطات مختلفة مع (خارج الحي). وها هنا تجسيد لأفق العلاقات التي تربط بين شخصيات الرواية و(خارج الحي) :

شخصيات من الحي	نوع العلاقة	خارج الحي
عباس	تعلـم	المدرسـة
صالح	استرزاق	السـوق
عبد الفتاح ومعتوق	عبـادة	المسجد النبوي

نلاحظ بأن أفق العلاقات بين (الحي) و(خارج الحي) يتميز بوجود جدل الأخذ والعطاء. فعباس يأخذ العلم من المدرسة. والسوق يستقبل منتوجات صالح. وعبد الفتاح وعم معتوق يتزودان روحيا من المسجد النبوي.

يضم كما نلاحظ (خارج الحي) المرافق الحيوية واللازمة لقيام الحياة في أي فضاء إنساني. وهي مرافق تمثل أهم الأبعاد. بينما يبدو (الحي) مفتقدا لغير قليل من الشروط الأساسية التي يتم ضمن توفرها العيش الإنساني.

إن الصراع اللاواعي بين (الحي) و(خارج الحي) ينهيه الروائي لصالح خارج الحي. حينما يستسلم (الحي) لأنياب الآلات الجهنمية وللأقدام الغريبة والشوارع المحدثة التي تصبح بقامات النخل في غير رحمة. نلخص هنا بالرسم البياني الإطار المكاني كما قدمته الرواية :

المدينـــــة

الحـي	خارج الحـي
المنازل	المدرسة
البساتين	السـوق
الدكاكين	المسجـد
المقهـى	البلديـة

(القنطـــرة)

فاصـــل

○ الشخصيات :

لنلاحظ في البداية بأن علي حسون لم يحرص على أن يقدم لنا أبطالا إشكاليين أو شخصيات بالغة التعقيد تمتلك قدرة فائقة على مناطحة الصخور وتحدي الحواجز وافتعال الصراع، إنه يقدمهم بعفوية تصرفاتهم وتعقد موروثاتهم. شخصية تكدح من أجل اللقمة اليومية. وتحن إلى المرأة زوجة ومفتاحا للجنس والخصب. وهي فضلا عن ذلك شخصيات تذوب عشقا في أفق مكانها كما لو كان هذا المكان قيمة في حد ذاته. بل إننا نلاحظ بعض الشخصيات تذوب كذوات وتفقد مهامها. وتصبح جزءا لا يتجزأ من المكان. فإذا أردنا أن نفرق بصورة عامة بين الشخصيات من حيث الوظائف والمهام المنوطة بها أمكننا أن نقول بأن الشخصيات تنقسم إلى ثلاث مجموعات أساسية.

أ — مجموعة تتحرك بحرية فوق المكان.

ب — مجموعة لا تشكل سوى ديكور المكان.

ج — مجموعة محايدة وغائبة عن المكان.

أ — الشخصيات المتحركة :

○ شخصيتا حسن وعباس:

إن إقتران شخصية حسن وعباس. هو إقتران لم يحتمه النص

الروائي. ولم يشر إليه. بل لا نجد أي إلتقاء على مستوى الحوار أو على مستوى السرد بين هاتين الشخصيتين. ولكنه إقتران يفرضه التحليل حيث لاحظنا أن حسن قد قدم في البداية كشخصية مُتَنَوِّرَة قادرة على فك الرموز «القراءة» ورواية القصص وإستعمال الجسد. وهي بذلك تجسد الوعي التقليدي المعتمد في أطروحته على الذاكرة ــ سيرة عنترة.

على أن الخطاب الروائي سيفسح ــ بلا أدنى صراع ــ المجال لعباس لأن يأخذ مكانة حسن خصوصا وقد استكمل شروطه وعاد من رحلته بالشهادة والوظيفة والعلم. ودعم هذه الشروط بزواجه برفيقة صباه سلمى. وامتلائه هو الآخر بالوعي بانهيار المكان.

ولعل هذا هو ما يفسر غياب حسن على مستوى السرد في الفصول الأخيرة. إن جيل الذاكرة يغيب فاسحا المجال والمكان لجيل العقل. وقد تجلت أول خطوة معقلنة في رفض (عباس) مظاهر الاحتفال الفاضح لليلة الزفاف، مما جعل الأم تعلق متعجبة:

ــ (الولد خرب مخه العلم) ..

○ **شخصية أحمد :**

وإذا كانت شخصية عباس قد طرحت لتعبر عن رؤية لجيل جديد يتجاوز جيل حسن. فإن أحمد يمكن أن يعتبر شخصية مكملة لوعي عباس، فنحن نلاحظ أنه حينا يخبو الأول يشتعل الثاني. إن انطباعاتهما الفكرية واحدة. بل إن أحمد قد تميز بجرأة فائقة على فهم ما وراء الأحداث وقد تجلى ذلك في محاولته تحديد المتهم الحقيقي وراء هدم الحي:

ــ (هذه آلات صماء ليس لها ذنب يا عباس...).

○ **الشلـة :**

تعاني الشلة من الفراغ. ولا تجد متنفسا لقتله سوى «المقهى» الذي يرتبطون به في علاقة حميمة. وتعاني من الجهل الموروث. (أهو كانوا يقولون لنا: صنعة أبوك .. لا يغلبوك). ومن التخلف الفكري (فالعيب كل العيب أن تذهب إمرأة إلى المستشفى لتلد). وتتطابق مواصفات (الحي) على مواصفات (الشلة) فالبؤس يطبع ملامحهم جميعا. ويبدو (صالح) هو أكثرهم قدرة على الحركة إذ يقوم ببيع منتوجات الأرض في ميدان باب المصري. وقد تكللت محاولته الزواج بيدرية بالنجاح.

ب / الشخصيات ــ الديكور :

إن وظائف هذه الشخصيات محدودة في إطار ما يضفيه حضورها على المكان من جمالية أو أهمية. ولذلك لا يقوم الراوي بمتابعة سيرورتها الحياتية وتفاصيلها اليومية. بل تأتي الإشارة إليها في معرض الوصف أو السرد، ويمكن أن نقسم الشخصيات التي تساهم في تكوين فضاء المكان إلى شخصيات غير عاقلة من مثل (القط المتربع بجانب الباب) و(الأغنام التي انزوت في أماكن متفرقة) وإلى شخصيات عاقلة هي :

○ **الصبية :**

تقدم الرواية هؤلاء الصبية في فصولها الأولى بصفة جسدية واحدة هي النحولة. ومع أنهم يجسدون حس البراءة والرغبة في اللهو وتفجير الصمت وحب الاستطلاع . فإن مساهمتهم في تشكيل ديكور المكان تظل غالبة وواضحة. ومن ضمن الشخصيات العاقلة التي تقوم بهذا الدور، هناك (النادل) الهزيل الجسم الذي يتحرك بخفة في المقهى. و(الجنود) المتحلقون حول إبريق الشاي بحثا عن الدفء. و(عم مشعل) ببندقيته المسندة على جدار. و(السقايين) بحركتهم وصراخهم في العين. و(الباعة) بأصواتهم المختلطة. و (حجي موسى) بواب المدرسة. و(رجل عجوز اسود) متقرفص بين أعواد الاثل المسنودة على الجدار كأنها أشباح ... إلخ ..

ج ـــ الشخصيات المحايدة :

ونعني بها تلك الشخصيات التي أثيرت على مستوى الذكر بينما لم تعش الزمن الروائي فعلا وحوارا وحركة. إن حيادها لا يعني براءتها وعدم دخولها في المواجهة. بل يعني فقط أنها لم تحمل مع الجماعة هموم المكان والمعاش. وتفسير هذا الموقف واضح إذا فككنا المراجع الاجتماعية لهذه الشخصيات: فعم عبد الرحيم عجوز يمتلك البيوت والبساتين. و(شيخ الحي) كما تقول الرواية (ما وراء فائدة) ما دامت مطامعه لا تصب في نفس مطمح الجماعة.

○ فضاء الزمن :

كيف يمكن أن نقارب الفضاء الزمني لرواية (الطيبون والقاع) وهي رواية لم تبح بأحداث تاريخية مهمة. ولم تشر إلى تواريخ مصيرية. ولم تحلنا على علامات خارجية تبين حدود تدفق زمن الأحداث الروائية؟.

كيف نستطيع أن نفعل ذلك والتاريخي في (الطيبون والقاع) ضائع في تضاعيف التأريخي؟.

إن الإجابة عن هذين السؤالين ـــ أو بالأحرى التساؤلين ـــ تبدأ بتبيين الفرق الكائن بين زمن القول وزمن الحكاية [فبينما يسير زمن القول في خط طولي، في معظم الأحيان، نجد أن زمن الحكاية متعدد الأبعاد، إذ يمكن في الحكاية أن تجري حوادث مختلفة في نفس الوقت، لكن القول القصصي، ينبغي أن يضعها واحدة إثر الأخرى بالضرورة، وبهذه الطريقة يعرض شكلا معقدا فوق خط مستقيم مما يقتضي ضرورة كسر التتابع الطبيعي للأحداث، مهما حاول المؤلف أن يكون أمينا في عرضه لها[٣].

فإذا ما فرقنا بين الزمنين كان بوسعنا أن نقول بأن زمن الحكاية في (الطيبون والقاع) هو الزمن الماضي وهذا الماضي يمكن الكشف عنه من خلال سياق بعض التعابير (ودس في يدها خمسة ريالات فضية). كما يمكن الكشف عنه من خلال مواصفات المكان، إذ يمتاز ببؤسه. وبهذا المعنى، فان زمن الحكاية هو في عمومه زمن «ما قبل الطفرة» . وتأخذ استعادة زمن الحكاية ـــ على صعيد زمن الكتابة ـــ طابعا تتابعيا. باستثناء سلمى التي كانت تخرق هذا التتابع باسترجاعها لماضي علاقاتها بعباس. كما أن هذا التتابع قد جرى خرقه لدى استعادة كل من أحمد وعباس ماضي الحي المتوهج بالمقارنة مع حاضره المنهار.

ومن مواصفات هذا الزمن العام، الذي هو زمن «ما قبل الطفرة». تميزه بهيمنة الزمن الديني. وتبدو هذه الهيمنة متمثلة في الآتي:

ـــ أن الأوقات المرتبطة بمجرى الأحداث تتحدد من خلال المصطلح الديني (العصر ـــ الغروب ـــ الشروق ـــ العشاء).

ـــ كما أنه يتحدد ببعض العلاقات الزمنية الدينية المهمة: (وقت الإفطار ـــ ليلة القدر ـــ ليلة العيد ...).

ـــ أن نصف الأحداث الروائية قد حدد الراوي موقعه الزمني بشهر رمضان .

○ دلالة التسمية :

إن تسمية بعض الشخصيات بأسماء مخصوصة، ربما يمنحنا الإنطباع بالخصوصية الدينية التي يتميز بها هذا « الحي ». سيما وأن تعبير هذه الشخصيات عن صميم معتقداتها أمر لا يمكن أن يبوح به الخطاب الروائي، وهكذا فإن (حسن ـــ عباس ـــ حمزة ـــ أبو علي ...) كأسماء مجردة وليس ما تمثله هذه الأسماء أو ما نقوله ـــ هي التي تفشي بما نسميه بالخصوصية الدينية. ومن ثم فهي تفشي بالسر الاجتماعي . ومن ثم هل يمكننا أن نتساءل ما إذا كان الإحباط الاجتماعي الذي عاشه الحي هو إحباط ناتج عن تميزه بتلك الخصوصية الاعتقادية؟.

يدعم مشروعية هذا التساؤل ما جاء على لسان عباس (الذي

يحيرني هو أن كمية الكدر لدينا أكبر من كمية الفرح) إذ فيه إشارة إلى ظاهرة الحزن المتوارث عبر التاريخ.

غير أن دلالة الأسماء المجردة لا تكمن في هذا الجانب فقط. وإنما قد تتجاوزه للإيحاء المباشر بما هو اجتماعي. ولنقل إن ظهور النساء المتزوجات بكنياتهن (أم عباس ــ أم أحمد). عوض أن يظهرن بأسمائهن الحقيقية، يوضح مقداراً لا بأس به من الاستلاب الاجتماعي الذي تعيشه هذه النسوة.

○ السرد والحوار :

يعتمد السرد داخل (الطيبون والقاع) على التقطيع، فتبدو الجمل متميزة بالقصر ولها عالمها الخاص. وإن كانت تتضافر مع غيرها لتشكل جسد الرواية. وإذا كان الحوار وهو مكون من المكونات المادية المساهمة في بناء النص الروائي قد اعتمد في بنائه اللغوي على اللغة المتداولة، ودفع بعض الأحداث نحو غاياتها، فإن السرد ظل محتفظا على لغة خاضعة في بنائها العام لقواعد الفصحى. وعلى الرغم من أن الراوي يلجأ أحيانا إلى الإرتفاع باللغة أثناء السرد إلى مستوى شاعري [العينان مغمضتان ... وشعور باللذة بدأ يجتاح كل جسمه] [وطيف ابتسامة خفيف، افترش الوجه الذابل، كورق العنب في الخريف] ، فان ذلك لم يمنع من السقوط في بعض الخيانات اللغوية. ساهمت بنصيبها في عرقلة شعرنة الخطاب الروائي شعرنة متكاملة.

وتبقى لغة السرد في النهاية ملوحة بالفجوة الشاسعة التي يفتعلها الراوي بينه وبين شخصياته. وهي فجوة ترمي إلى تأكيد واقعية الحكاية وأمانة الحاكي. تماما كما لو لم يكن (مكان الشخصيات) هو (مكان الراوي...) !!!

ولقد سبق أن ألمحنا إلى أن الراوي يعتمد في سرده للأحداث على ما يسمى في المصطلح النقدي (الرؤية من خلف) فالراوي هنا يتميز (بأنه يعرف كل شيء عن أبطاله، إنه يستطيع أن يتحدث حتى بما في أعماق نفوسهم، ويخترق جميع الحجب من أجل أن يعطينا تفاصيل عالم يهيمن عليه بشكل عام)(4).

ففي الرؤية من خلف يسيطر الراوي على مخلوقاته الروائية سيطرة تكاد تكون كاملة، غير أن الدفع بالحوار يأتي ليحد من هذه السيطرة. فمع ظهوره يغيب الراوي فاسحا المجال للشخصيات كي تعبر عن نفسها من خلال مستويات لغوية دارجة تتميز بحمولات فكرية أو شعبية أو دينية.

○ عنصر الأثنوغرافيا :

لقد بدا الروائي مسكونا بهاجس تقديم عمل أدبي مطبوع بالواقعية. ويمكن الزعم بأن الواقعية التي أمكن تحقيقها هي واقعية في معناها الكلاسيكي، يتأكد ذلك من خلال حشر الراوي لبعض عناصر الأثنوغرافيا في رواية (الطيبون والقاع) ، وتتمثل هذه العناصر في الآتي :

ــ وصف الطريقة البدائية لولادة المرأة. ص١٥.
ــ وصف حفلة الرقص حول ألسنة النار الملتهبة ص٣١.
ــ وصف صالة الحمام الخانقة. ص٦٠.
ــ وصف عملية حز الخرفان ص ٤٦.
ــ وصف ما قبل ليلة الدخلة ص ١٣٢.

إن عناصر الأثنو غرافيا ــ وهي خصائص الثقافة والتقاليد لمجتمع معين ــ بالإضافة إلى قيامها بإضفاء طابع الواقعية على العمل الروائي. فهي تمنح هذا العمل الأدبي بعض خصوصيته. هذه الخصوصية المستمدة من خصوصية مكان/ معين . عملت الرواية على تسجيل سيرته الذاتية وتقديمه كما لو كان هو الشخصية الأساسية.

○ خاتمــــة :

لقد تطلعت هذه المحاولة للتحليل أن تثير بعض زوايا النقاش،

وأن تفجر عددا غير قليل من الأسئلة التي أبطنتها رواية (الطيبون والقاع). وقد أخذت هذه المحاولة على عاتقها منذ البداية أن تبتعد عن التقرير والتنظير .. وأن تلجأ إلى الإثارة والملامسة وفتح الشهية منطلقة من النص لا من صاحبه .. فهل يكون ما حققته بقدر ما تطلعت إليه...؟؟!!.

الهوامش

(١) رواية (الطيبون والقاع)/ علي حسون/ مطبوعات دار العلم ــ جدة.

(٢) نظرية البنائية في النقد الأدبي / صلاح فضل/ مكتبة الأنجلو. القاهرة.

(٢) فصول ــ المجلد ٤ ــ العدد ٤.

(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي.

(٣) من أجل تحليل سوسيو ــ بنائي. لحمداني حميد / منشورات الجامعة ــ البيضاء.

محمد حسن عواد ... شاعراً
لآمنة عقاد

ابراهيم اسحق ابراهيم

عقاد، آمنة عبد الحميد / محمد حسن عواد شاعراً.ــ [الرياض] : المؤلفة [جدة: مطابع دار المدني] ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م، ٤٦٤ ص.

أ ــ المقدمات :

نوّهت المؤلفة إلى أنها لم تعدل أو تحذف شيئاً في هذا الكتاب يغيره عن الرسالة التي تقدمت بها إلى كلية الآداب بجامعة الملك سعود عام ١٤٠٢هـ كي تنال بها درجة الماجستير في اللغة العربية. وترى آمنة أن الكتابة التفصيلية عن العواد لم تكن قد تمت رغم أن بكري شيخ إدريس وعبد الرحيم أبو بكر قد تناولا فنه في كتابيهما (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) و(الشعر الحديث في الحجاز ١٩١٦ ــ ١٩٤٨). أما الدراسات التي أُفردت للعواد فلم تتجاوز اثنتين: (الومضات في ديوان العواد) لعلي المصري و(العواد في عالم الأدب) لطلال الريماوي. ولآمنة تحفظات على هذين. وبذلك تحدد موضوعها الدراسي الذي أشرف عليها خلال تنفيذه منصور ابراهيم الحازمي. ولإيفاء المطالب المنهجية حقها فقد أجرت الباحثة عدة لقاءات مع العواد وعائلته ما بين ١٩٧٨ و١٩٨٠م كما تتلمذت على شكري محمد عياد في التحليل العروضي لبعض قصائد الشاعر وذلك بعد تمرس على يدي وفاء السنديوني. أما لجمع الصحف والكتب التي مثلت للباحثة مصادرها ومراجعها فقد إتكأت على مكتبة جامعة الملك سعود.

ب ــ لب الترجمة الذاتية :

جعلت آمنة بابها الأول في ثلاثة فصول، واهتمت فيها بمولد الشاعر، نشأته، مصادر ثقافته وحياته العلمية. فذكرت أن أسرته جاءت من القصير المصرية في الصعيد المساحل للبحر الأحمر. وقد ولد العواد في جدة عام ١٩٠٦م وفيها توفي عام ١٩٨٠م. وكان لعمل أبيه في التجارة البحرية وكون العواد الولد الوحيد بين البنات ثم وفاة أبيه والعواد في الرابعة عشرة من عمره أثراً واضحاً على تكوّن شخصيته. وتقول المؤلفة: إن تعليم الشاعر بدأ بالكتاتيب فمدرسة الفلاح حيث زامل من أدباء الرعيل الأول الحجازيين عبد الوهاب البحراوي، حسن ياقوت، محمود أبار ومحمد عبدالله الشرقاوي. وتأثر العواد بصاحب مدرسة الفلاح محمد علي زينل رضا وبمديرها عبد الرؤوف جمجوم الشيء الذي قاده إلى رثائهما. وكان لتنقل العواد بين جدة ومكة (حيث عمل خمس عشرة سنة) أثره أيضاً على الشاعر كما ترى الدارسة. وتظل أبرز المؤثرات الدرامية على نفسيات الشاعر كما ترى آمنة هي: وفاة أبيه المبكرة، وفاة أمه بعد زواجه بشهرين وذلك عام ١٣٥٥، ثم اقتصار انجابه على ابنة واحدة هي نجاة.

واستعرضت الباحثة مصادر ثقافة الشاعر فأشارت إلى مكتبة مدرسة الفلاح والماجدية والنصيفية وهما من أكبر مكتبات جدة فخامة كما يشهد أمين الريحاني، عبد القدوس الأنصاري وأحمد محمد جمال. وتروي صحف عام ١٩٤٨ بأن الأدباء الحجازيين كانوا يطلبون كتبهم من القاهرة وسوريا ولبنان. ومن هذه

الأماكن امتلك دواوين الشعر القديمة والحديثة وبعض التحف النثرية كصبح الأعشى للقلقشندي، رسالة الغفران للمعري وترجمات المنفلوطي ومقالاته. ثم تدفق عطاء أدباء المهجر وجماعة الديوان المصرية وتم الاحتكاك والتواصل مع أعمال النهضة الأدبية الشاملة إلى أن برز فيها العقاد، طه حسين، المازني، جبران، ميخائيل نعيمة، إيليا أبو ماضي ، أبو شادي ومطران. وأُدخلت على ثقافة أدباء الحجاز إلياذة هوميروس والأوديسا وأساطير أخرى ترجمها سليمان البستاني ثم دريني خشبة. فلما توالت الترجمات ازدحمت الساحة بمؤلفات شكسبير، أفلاطون وأرسطو، فكتور هوجو وحتى نتشه.

إلى جانب هذه وفدت مجلات مصرية معروفة كالمقتطف والهلال. وأقيمت في جدة ندوات عمرّها أدباء الفوج الأول لذلك العهد. وزار العواد مصر عام ١٣٥٢/١٩٣٣ كما حضر مؤتمر الأدباء العرب في لبنان عام ١٣٧٤/١٩٥٤ والثاني في سوريا عام ١٣٧٦/١٩٥٧. أضف إلى هذه أن عمل العواد في التدريس بالفلاح منذ عام ١٩٢٠ كان له حافزاً على التجويد المبكر. عام ١٩٢٧ عين مفتشا للكتب بمدارس جدة، وبعد عامين انتدب لشعبة الطبع والنشر في مكة المكرمة، ثم رأس تحرير صحيفة «صوت الحجاز» عام ١٩٣٢. وبينما تبدو الصلة واضحة بين هذه الأعمال والنشاط الثقافي للعواد، فإن عمله حوالى عام ١٩٣١ بالغرفة التجارية وبقاءه الطويل في مديرية الأمن العام من عام ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٤٧ لا يجد تحليلاً شافياً من الباحثة التي تكتفي بارجاع السبب إلى المودة بين مدير الأمن وبين الشاعر. ويستمر التقلب الوظيفي للعواد دون تعليل مثمر. ففي عام ١٩٤٨ كان في وزارة المالية ثم عام ١٩٤٩ عاد إلى الغرفة التجارية ومنها إلى الغرفة الصناعة في سنة ١٩٥٥. أما اشتراك الشاعر في تحرير مجلة «الحج» وصحيفة «البلاد السعودية» فتبقى في خطه الثقافي، وكذلك فإن تعاونه مع الاذاعة ومؤسسة الطباعة والصحافة وعضويته بالمجلس الأدبي لرعاية الآداب والفنون ورئاسته لنادي جدة الأدبي لا تمثل إلا معالم طبيعية لحركة الذات الثقافية الفاعلة.

ج ـــ الفاعلية الأدبية :

في بابين، يحتويان على سبعة فصول، تحدثت الدارسة عن التأليف الشعري والنثري للعواد ومطبوعاته وآرائه النقدية ومضامين شعره. وقد ركّزت المؤلفة على النبوغ المبكر للشاعر إذ كان يتعرض للشعر وهو ابن أحد عشر عاماً ويكتب النثر. كان ذلك في العهد الهاشمي بالحجاز. وسرعان ما حل بموضع دوافع حب الشهرة في أشعار الصبا دوافع أنضج مثل الرغبة في إحياء الشعور الوطني وتكوين الوعي العام ثم رفع مستواه. وخلف هذه الرغائب جاءت معارك الحياة الأدبية والاجتماعية ومؤثرات دينية وسياسية. أما نثر العواد فقد وجهه نحو الإصلاح الاجتماعي وخرجت منه إلى مقالاته المنشورة عام ١٩٢٦ بعنوان (خواطر مصرحة). وقد جَرَّت عليه صراحته عدة مشاكل سردتها آمنة في الباب الثاني.

منذ عام ١٩١٦ حتى ١٩٢٥ حيث عاصر العواد العهد الهاشمي كانت قصائده تُنشَر في صحف «القبلة» و«بريد الحجاز». وغلب على الشاعر هاهنا تمجيد الفكرة القومية والمناداة بالنهضة العربية ووصف الوقائع الدائرة عام ١٩٢٤ وما بعدها بين الهواشم من حكام الحجاز يومئذ والسعوديين المحاصرين لجدة. ثم يستهل العواد فترة تدفقه الابداعي خلال العهد السعودي منذ عام ١٣٥٠/١٩٣٢ بالكتابة في صحف «أم القرى»، «صوت الحجاز» ، «المدينة المنورة» و«البلاد السعودية». وترى آمنة أن شعر العواد المنشور في أوائل الحكم السعودي بالحجاز كان أغلبه دائراً على المناسبات الوطنية والاجتماعية وقضايا الذات والتأمل والغزل. أما بعد ١٣٧٢هـ فقد عرف انتاجه إلى صحف «اليمامة» ، «عكاظ»، «الرياض»، «الإشعاع»، «الأضواء» و«الرائد». وهكذا عُرف العواد محلياً وعربياً وإن لم يتجه النقد إلى إلقاء الضوء على انتاجه بإكثار كما فعل في أمر نثره. وفي عام ١٣٧٢/١٩٥٢ نشر العواد أول

دواوينه (آماس وأطلاس). ثم اتبعه (البراعم) عام ١٣٧٣/١٩٥٤ فالثالث (نحو كيان جديد) عام ١٣٧٤/١٩٥٥. وصدر له عام ١٣٧٨/١٩٥٨ (في الأفق الملتهب)، ليتلوه ديوان (قمم الأولمب) سنة ١٣٩٧/١٩٧٧ وهو قصيدة واحدة.

تقدم الباحثة جدولاً بالقصائد التي نشرت في الصحف، ثم تتحدث بتطويل وتفصيل عن دواوين الشاعر. هنا تشرح المؤلفة كيف عدّل العواد في بعض أشعاره لأسباب فنية أو سياسية وكيف رتب تلك الأشعار لتعطي صورة صادقة عن تدرجه النفسي والوجداني فالفني. ونعرف من هامشتين للمؤلفة (ص٨٨ و٩٣) أن العواد قد جمع شعره في مجلدين تحت عنوان (ديوان العواد)، صدر الجزء الأول منه عام ١٣٩٨/١٩٧٨ ويحوي ما كان قد ظهر من شعر في «آمال وأطلاس»، «البراعم» و«نحو كيان جديد». ثم صدر الجزء الثاني عام ١٣٩٩/١٩٧٩ واحتوى على الشعر الذي ظهر من قبل في قصيدة «الساحر العظيم» و«رؤى أبولون».

وناقشت آمنة في ذيل الباب الأول الآراء النقدية التي تأثر بها ونادى بها العواد فسردت توغل النزعة الرومانسية في المشرق العربي وما صحبها من تجديد في الرؤى والأساليب التعبيرية. وكانت هناك أيضاً المدرسة الواقعية والرمزية. في مقدمات دواوينه تظهر مفاهيم العواد للشعر وفي نقده النظري حاول التعبير عن تلك الرؤيات وان كان قد غلب عليه الجنوح إلى الإنطباعية . وقد طبعت بعض المقالات النقدية للشاعر مع مقالات اجتماعية له عام ١٣٦٩/١٩٥٠ تحت عنوان (تأملات في الأدب والحياة). وهكذا استخلصت الدارسة رؤى الشاعر في ماهية الشعر ووظيفته وبنائه على مقدمات دواوينه ومقالاته وما عبر عنه العواد في مقابلاته للباحثة حتى عام ١٩٨٠. ويهم كثيرا في هذا الحيز رأى العواد في الأشكال الشعرية الجديدة كالشعر المرسل والمطلق والمنثور والحر وإلى أي مدى يذهب العواد في التأثر بها ومجاراتها. وهذا موضوع تعالجه الباحثة في بابها الأخير حيث تحلل الصنعة الشعرية لدى العواد.

د ـــ مضامين الشعر :

قسّمت المؤلفة الباب الذي اختص بالمضامين الشعرية إلى أربع قضايا هي: الوطن، المرأة، الوجدان ومسائل تقليدية أخرى. فقالت إن تغني العواد بحبه لجدة، واستنهاضه الأمة العربية يمثلان أول الإهتمام بالوطن. لكن أساليب حكام العهد الهاشمي في الحجاز لم تشجع العواد على الشعور بالأمل في نهضة مرتقبة كما تقول آمنة عقاد. ثم يطغى التفاؤل بالعهد السعودي على الشاعر بعد عام ١٩٣٢. كذلك ينعكس الاهتمام بالوطن على القصائد الاجتماعية حيث نقد العواد أحياناً القصور الشعبي ونصح للجماهير. وهنالك أشعار هجائية نماذج دنيئة كما نرى في قصيدة «تاجر دين» التي جاءت بديوانه «نحو كيان جديد». أما الأمثولات الفاضلة فيستقيها العواد من البطولات العربية القديمة. وترتبط الدعوة إلى نشر التعليم بالاهتمام بالمرأة وتوعيتها وهما موضوعان ترك لهما العواد حيزاً مهما في ابداعه ومقالاته.

ومن جانب آخر ارتبطت العناية الوجدانية للشاعر بوطنه المحلي مع اهتمامه بوطنيه العربي والإسلامي على اتساعهما فتجاوب شعره بمعاناة أهالي واحة البريمي والانقلاب في اليمن واستقلال سوريا والجزائر والسودان. ولقضية فلسطين كما هو متوقع مكانة بارزة في شعره الوطني. ثم يكون للشاعر أيضاً رأيه الصريح في قضايا عالمية مثل الشرق والغرب وأسلمة الحياة العامة بطريقة أشمل.

وللمرأة في رؤيا العواد كما تقول الباحثة عدة أوجه: فالشاعر يتغزل أحياناً، ويتابع مواجيده في علاقاته بالأم والأخت والزوجة، ويستحث المرأة المواطنة على بعض المواقف، ويرمز إلى الوطن وإلى قضايا الروح بمخاطبة المرأة. وآمنة عقاد تحلل تحت عناوين : المرأة الحبيبة والقريبة والمواطنة والرمز الصوفي اتجاهات تعبير العواد عن هذه القضايا. ثم تخرج بملاحظة عامة في شعر

الغزل السعودي خلاصتها هو ابتعاده عن الإشارات الحسية وتجاوزه عن أدب اللقاء بين الجنسين.

في الفصل الثاني من الباب الثالث عبرت الباحثة عن إحلال النقاد العرب لمصطلح الإبداع الوجداني مكان الرومانسية وأعطت الوجدانيين العرب ملامحهم. وهنالك مراجعات في الإبداع الوجداني الحجازي تبدأ بالعصر الهاشمي وتتوالى. أما قلب هذا الفصل فهو محاولة لتبيان الجوانب المتناقضة في وجدان العواد كما عبرت عنه أشعاره خاصة تأرجحه بين الحدة واللين كما يرى الشاعر السعودي المعروف حسن عبدالله القرشي. وهنالك اشارات إلى أن تلك الحدة قد ألحقت العواد في بعض فترات حياته بالتفكير في طلب الموت :

إن هذا مسدسي بين كفي
وهـا قد بدا يثور حماسي
فلنحو الأثير تصعد روحي
ويوارى الجثمان في الأرماس

وقد لا يستغرب هذا عند الشعراء والمبدعين الحساسين والمفرطين في التناقض الوجداني، فالتجربة العالمية حاوية لكثير من أمثال هذه المواقف. وتظل الطبيعة هي مساند العناء النفسي في شعر العواد الوجداني حيث ينفس عن ضناه ويجاري المهجريين وجماعة أبوللو المصرية في التساؤلات والتأملات.

لم نحيا على البسيطة حيرا
ونعيش السنين فيها حيارى ؟
ولم الموت كالحياة بكره
يسلب النفس عزة واقتدارا ؟

وهنالك الموضوعات التقليدية من مديح ورثاء واجتماعيات شتى وهي موضوع الفصل الرابع من هذا الباب. هذا وتتابع المؤلفة استقصاء التبريرات التي أوردها العواد في مقدمات دواوينه لشعره المادح والقادح وفي المراثي وما يشبهها. ثم تتوصل آمنة إلى أن تكرار التشبيهات التقليدية في الشعر التقليدي وانحصار الشاعر في قاموس تقليدي لم يتم تجاوزه حتى عند العواد الذي طالما نادى بالتجديد. ويظل الإبتعاد عن التكسب بالشعر معلماً بارزاً في الإبداع الحديث والمعاصر، ولهذا فالمدائح والمراثي عند العواد تنبع من اعجابه الشخصي بالإنسان الجالب للإبداع. فهنالك في الذين تغنى بهم أو الذين تأسى عليهم الحاكم والشاعر والأديب والمربي ورجل القضاء والسياسي والأم والزميل.

هـ ــ فن الشعر :

أرادت الباحثة في بابها الختامي أن تناقش، في ثلاثة فصول، أساليب الصياغة الفنية في شعر العواد. هكذا جعلت الفصل الأول للصور الشعرية، والثاني للغة والأسلوب والثالث للموسيقى والتجديد في شكل القصيدة .

في فصلها الأول شرحت الدارسة ملامح الصورة الشعرية كما يتخيلها الكلاسيكيون والرومانسيون والبرناسيون فالواقعيون. وتظهر تعابير العواد ذات الطابع القديم في تشبيه المرأة بالشمس والغزال والدمية والزهر. ثم يجاري مدرسة الديوان في اللجوء إلى التجسيم، بل وصول إلى الرسم الكاريكاتيري كما تقول آمنة في بعض صوره. وعن القضايا الوطنية تقول آمنة عقاد إن الشاعر كان عجولا في تعبيراته وذلك بسبب انفعاله المفرط، فتجيء أساليبه لغوية وبيانية ومداخله مباشرة. لذا نراه كثيراً ما يحتفي بالاستفهام والتعجب والنداء والأمر والنهي وما يجري مجراها. ويلجأ العواد إلى الأسطورة والرمز، خاصة بعد بلوغه قمته الإبداعية واطلاعه على الآداب العالمية، وهو بذلك يجاري ما كان يحدث في الشعر العربي العامة خلال أوائل وأواسط القرن العشرين. لكن الباحثة تتوصل إلى حقيقة أن العواد لم يوفق في ربط إشاراته الأسطورية ربطاً فنياً بسياق قصائده فافتقدت صوره قوتها التلميحية والإيحائية.

تلتفت المؤلفة في الفصل الثاني من الباب الرابع إلى دراسة اللغة الشعرية عند العواد ويكثر حديثها عن الاستيطان والاكتشاف. ويبدو أن العواد قد استفاد كثيراً من الاطلاع على تجارب جماعتي أبوللو والديوانيين والمهجريين ، خاصة في العناية بالرمز والتمسك بالواقع. بل ربما أدى تأثر العواد بالمدارس الشعرية سالفة الذكر وعطائها إلى مجاراة شعرائهم رغم أن المؤلفة ترددت دائماً عن الإشارة إلى تطورات هذا التأثر حتى تبلغ درجة المجاراة. فقصيدة مثل «مع الورقاء» في ديوان (آماس وأطلاس) تذكر القارىء بشدة بقصيدة الشاعر المهجري إلياس فرحات «عروس الروض يا ذات الجناح يا حمامة». ويبقى الفارق بين الورقاء في الروضة يناجيها الشاعر وبين حاجة المهجري إلى الصورة التراثية للحمام الزاجل كرسول بينه وبين الوطن المسلوب. أما أبيات مثل :

لم هذي الريـــــاح تدوي شمالا
وجنوبــاً تفـــرق الأمطـــارا ؟
لم ذا البحـــر في هدوء إذا شاء
وإن شاء أرسل التيــــــــارا ؟

فترجع بالقارىء إلى تساؤلات إيليا أبو ماضي في «الطلاسم» ومحاوراته الدائمة للعناصر الطبيعية بحثا عن طرق للغوص في أسرار النفس البشرية والكون الذي يحويه. وتتحدث الباحثة بتفصيل عن أساليب العواد فتراجع لديه الاستفهام والنداء والتعجب والتكرار والمقابلة والاقتباس والتضمين. كذلك تنظر المؤلفة في تأثر الشاعر بمطالع القصيدة العربية القديمة واستنطاق الحكمة في الشعر، ثم هي محللة للمعجم اللغوي عند العواد.

ويهيمن على الفصل الثالث والأخير من الباب الرابع التحليل العروضي للشعر التقليدي والحديث عند العواد. هنا يدور أغلب النقاش حول القصيدة وتجزئتها إلى مقطوعات سُميت بعض فنونها: الموشحات والمسمطات والمزدوجات والمربعات والمخمسات. كل ذلك في المسار التراثي العربي الطويل الذي إتجه نحو التخفيف من حدة التكرار في القصيدة العربية المقيدة بالشطرتين والقافية الموحدة. وتجيء ناصية هذا التثوير المستمر في ظاهرات الشعر الحر والمنثور والمرسل الذي ازحم بها العصر الحاضر.

أوضحت الباحثة كيفية خلخلة الشعر الحر للبحور الفراهيدية وإعادة مزجها، هذا إلى جانب اختفاء القافية واختلاط التفعيلات. ويظهر تحمس العواد لهذه التجديدات في خلطه كلمتي النثر والشعر في اصطلاح جعله للشعر الحديث هو «شنر». أحصت آمنة عقاد القصائد التجريدية في دواوين العواد ودرست إتجاهات التحديث في مقطوعاته ثم رسمت تحليلها لخلط الشاعر لبحور الخليل وإعادة ترتيبها. ولعل الباحثة توصلت إلى أن اهتمام العواد الملاحظ ببحر المتقارب عن تأقلم نفسي ومزاجي جرى بين الشاعر وتلك الخفة وسرعة الإيقاع في هذا البحر. ثم إن الشاعر يميل إلى مزجه ببحر الخفيف وأحيانا ببحر السريع وهي دلائل على استحسان عميق لموسيقاها.

إلى جانب ذلك تراجع الدارسة موقف بعض النقاد أمثال عبد الرحيم أبو بكر، عبدالله بن إدريس، ابراهيم الفوزان، عبدالله الحامد، طلال الريماوي ويوسف نوفل من الشعر الحر الذي جرّب النظم على أصوله العواد. وتأتي بقية هذا الفصل بالتحليل العروضي الذي أنشأته المؤلفة للبنية الموسيقية في العطاء الشعري للعواد.

و ــ الخواتيــم :

لم تذهب الخاتمة التي كتبتها الباحثة لدراستها بعيدا عن الإنصياع للمناهج الأكاديمية في تلخيص معطيات الرسالة. وهنالك قائمة مراجع ضخمة بلغت نيفاً وثلاثين ومائتين ما بين مصادر صحفية وكتب ولقاءات. ويظل القارىء يتمنى لو نُجعل للدراسات النقدية عن المبدعين ملاحق تسجل التقويم السنوي لأهم الأحداث في حياة الشاعر ، وذلك في صفحتين أو ثلاث، حتى يستطيع القارىء بنظرة خاطفة أن يتعرف على التواريخ الهامة التي تدور في إطارها مناقشات الدراسة.

المسيحيـــة وديانـــات العالـــم

(القسم الأول)

السيد محمد الشاهد

أستاذ مساعد ــ كلية الشريعة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المسيحية وديانات العالم / هانس كونج وآخرون ــ ميونخ : دار بيبر (Piper) ، ١٩٨٤م ، ٦٣١ ص .

هذه محاولة لتعريف القارىء العربي المسلم بكتاب هو من أحدث وأخطر ما كتب في الدراسات الدينية عن الدين المسيحي ومقارنته بالديانات الأخرى . وهو « المسيحية وديانات العالم » تأليف : هانس كونج ، يوسف فان أس وآخرين .

نشر هذا الكتاب دار بيبر(Piper) للنشر بمدينة ميونيخ بالمانيا الاتحادية سنة ١٩٨٤م وطبع في فيينا ويقع هذا الكتاب في (٦٣١) صفحة بما فيها الفهارس ودليل المؤلفين وخاتمة الكتاب التي انتهى من كتابتها المؤلف الرئيس لهذا الكتاب البروفيسور هانس كونج (Hans Küng) في نهاية يوليو سنة ١٩٨٤م .

وموضوع هذا الكتاب هو حوار غير مباشر بين بعض ممثلي الدين المسيحي من كبار رجال الكنيسة وبعض ممثلي الديانات الأخرى كالإسلام والهندية والبوذية . ويلاحظ أن الذين تحدثوا عن الديانات غير المسيحية هم أنفسهم مسيحيون متخصصون في تلك الديانات ولهم مكانة علمية كبيرة في مجالات تخصصهم . وأقصد هنا بعبارة حوار غير مباشر أن هذا الكتاب لا يحتوي أسئلة موجهة من ممثلي دين لممثلي دين آخر من الديانات المشتركة في هذا الحوار وإجابات من هذا أو ذاك الدين على تلك الأسئلة الموجهة إليه مباشرة . ولكنه هو عبارة عن مجموع محاضرات ألقاها هؤلاء المتخصصون في ندوة عقدت سنة ١٩٨٢م بجامعة توبنجن نظمها وأشرف عليها هانس كونج ، قدم فيها كل محاضر فكرة مختصرة عن أهم مبادىء الدين الذي يمثله ووجهة نظره حول مسائل معينة وهذه المسائل أو النقاط الرئيسية كانت محددة وعرضت من وجهات نظر الديانات المختلفة الممثلة في تلك الندوة . ثم أعقب إلقاء المحاضرات مناقشة مباشرة بين ممثلي تلك الديانات اشترك فيها جمهور الحاضرين أيضاً .

وجاء الكتاب متضمناً المحاضرات المذكورة بعد إعدادها للنشر مضافاً إليها بعض ما ورد في المناقشة التي تلت المحاضرات دون الإشارة إلى ذلك بالتحديد .

ورتب هذا الكتاب على نفس النظام الذي ألقيت به المحاضرات المختلفة . فقد بدأ بكلمة موجزة افتتح بها البروفيسور هانس كونج الندوة وقدم فيها هدف هذه الندوة الذي سماها الحوار . وتلا ذلك عرض أحد أشهر المستشرقين الألمان وهو البروفيسور يوسف فان اس (Josef van Ess) لبعض النقاط الرئيسية وأركان الإسلام تلا ذلك حديث من هانس كونج عن نفس النقاط من وجهة نظر المسيحية ثم تابع فان اس الحديث عن نقاط أخرى في الإسلام تلا ذلك أيضاً حديث من هانس كونج عن نفس النقاط من وجهة نظر المسيحية وهكذا حتى عرضت أهم المسائل في كل من الدين

الإسلامي والدين المسيحي .وجاء هذا الحوار بين الاسلام والمسيحية في حوالي (٢٠١) صفحة ثم تلا هذا القسم الحوار بين الديانة الهندية والمسيحية ثم بين البوذية والمسيحية .

يهمنا نحن المسلمين القسم الأول من هذا الكتاب المتعلق بالإسلام والرد المسيحي . وقبل أن أبدأ في عرض محتوى هذا القسم أحب أن أعطي القارىء فكرة موجزة عن شخصية المؤلف الرئيس لهذا الكتاب وهو البروفيسور هانس كونج ، وكذلك أعرف القارىء بشخصية المستشرق الألماني الذي عرض وجهة نظر الإسلام في هذا الحوار .

فالمؤلف الرئيس والمشرف على ندوة الحوار ونشر هذا الكتاب هو الأستاذ الدكتور هانس كونج (Hans Küng) مدير معهد أبحاث توحيد الكنائس (المسيحية) التابع لجامعة توبنجن (Tübingen) بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية .

ولد في عام ١٩٢٨م في بلدة سورزيه (Sursee) بسويسرا . والتحق بالجامعة البابوية جريجوريانا بروما ودرس فيها الفلسفة والعلوم الإلهية من سنة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٥م ونصب قساً في سنة ١٩٥٤م بالكنيسة الكاثوليكية . وفي نفس العام الذي غادر فيه روما أي ١٩٥٥م التحق بجامعة السربون بباريس ودرس بالمعهد الكاثوليكي حتى حصل على درجة الدكتوراه في سنة ١٩٥٧م وعمل بعد ذلك أباً روحياً بالكنيسة المركزية (الرئيسية) في بلدة لوزان (بسويسرا) من ١٩٥٧ ــ ١٩٥٩م . وفي عام ١٩٦٠م عين أستاذاً بجامعة توبنجن لمادة علم الكلام المسيحي (Fundamental Theocogie) . وفي عام ١٩٦٢م عينه البابا يوحنا الثالث والعشرون مستشاراً رسمياً بمجلس الكنيسة الأعلى . ومنذ عام ١٩٦٣م وهو يعمل أستاذاً لعلم الكلام المسيحي ومديراً لمعهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية (Institut Für Ökomenische Forschung) بجامعة توبنجن . ويحمل دكتوراه فخرية من جامعات عالمية عديدة .

وجدير بالذكر أن ثمة خلافا حادا وقع بين هذا الأستاذ من جهة والبابا بروما من جهة أخرى انتهى بسحب إعتراف الكنيسة بصلاحية الأستاذ تمثيل الكنيسة والإشراف على الطلاب لتخريجهم قساوسة كاثوليك وكذلك وإلغاء كرسي الأستاذية الخاص به والذي كانت تنفق عليه الكنيسة الكاثوليكية وذلك في عام ١٩٨٠م . وقد جاء هذا القرار الكنسي كنتيجة لتصريحات من الأستاذ كونج رفض فيها الاعتراف بما يسمى عصمة البابا من الخطأ وقرر أنه لا يتميز عن سائر البشر حتى بعد إختياره من مجلس الكنيسة الأعلى وتنصيبه بابا للكنيسة . وقد كان هذا الأستاذ معروفاً بموقفه النقدي تجاه بعض تنظيمات ومعتقدات الكنيسة والتي عبر عنها في مؤلفاته العديدة وفي محاضراته الجامعية والعامة وفي المجلات العلمية المختلفة التي شارك في نشرها .

ومنذ عام ١٩٨٠م أي بعد سحب الكنيسة إعترافها بالمؤلف وحرمانه من حق الامتحان والإشراف على طلبة العلوم المسيحية تبنت حكومة ولاية « بادن فرتنبرج » (Baden Wurtenberg) التي تتبعها جامعة توبنجن الإنفاق على كرسي الأستاذية الخاص به وكذلك على المعهد الذي يديره بالجامعة وهو الآن تحت الإشراف المباشر لرئيس ومجلس رئاسة جامعة توبنجن .

أما أهم مؤلفات هذا المفكر التي سبقت الكتاب الذي نعرضه هنا :

١ – التنصر (Christsein) صدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٤٧م وأعيد طبعه أكثر من عشر مرات وكانت الطبعة العاشرة سنة ١٩٨٠م عددها ١٣٠،٠٠٠ نسخة (مائة وثلاثون ألف نسخة) نشر في ميونيخ داربيير للنشر .

٢ – « هل الله موجود ؟ » (Existiert Gott ?) صدر عن داربيير للنشر في ١٩٧٨م وصدرت منه بعد ذلك عدة طبعات .

٣ – « ٢٤ مسألة حول وجود الله » صدر عن دار بيبر للنشر سنة ١٩٧٩م وصدرت منه عدة طبعات أخرى من نفس دار النشر .

٤ – « هل نؤمن بالله ، اليوم أيضاً ؟ » وهو عبارة عن محاضرة ألقاها المؤلف بمناسبة عيد اليوبيل الخمسمائة لجامعة توبنجن وقد نشرت هذه المحاضرة مع محاضرة لرئيس جمهورية ألمانيا الاتحادية آنذاك « فالتر شيل » (Walter Scheel) نشر في دار بيبر للنشر بميونيخ سنة ١٩٧٧م .

وقد دعى المؤلف إلى ندوة مماثلة في شهر يونيو الماضي ١٩٨٥م ، وقد شاء الله أن أحضرها وأتابع ما ألقى فيها من محاضرات وكذلك المشاركة فيها بالمناقشة ثم بحديث خاص بعد الندوة مع المحاضرين وتعرفت من خلال هذا الحديث الخاص على مقصد المؤلف من هذا الحوار واستفسرت عن نقاط جاءت في محاضرته وفي كتابه الذي أعرضه اليوم لم أكن متأكداً من صحة فهمي لها .

أما عن المستشرق الألماني الذي تحدث عن الإسلام في الندوة الأولى قبل ثلاث سنوات وطبعت محاضراته في هذا الكتاب والذي شارك أيضاً في الندوة التي تمت في شهر يونيو الماضي فهو الأستاذ الدكتور يوسف فان اس (Josef van Ess) ولد سنة ١٩٣٤م في آخن (Aachen) وهو أستاذ كرسي في جامعة توبنجن وكان مديراً لمعهد العلوم الشرقية بالجامعة طوال سنوات عديدة وله مؤلفات عديدة معظمها في علم الكلام الإسلامي والتصوف والفلسفة وأهم ما كتب :

١ – « فكر الحارث المحاسبي » طبع بمطابع جامعة بون سنة ١٩٦١م .

٢ – « نظرية المعرفة عند عضد الدين الإيجي » نشره فرانس شتاينر بفيسبادن ١٩٦٦م .

٣ – « الثقافة الإسلامية القديمة » جرونيباوم – فيسبادن – ١٩٧٠م .

٤ – « كتابات زندقة معتزلية قديمة » – مؤلفان من الناشيء الأكبر (ت ٢٩٣ هـ) . نشر في بيروت وطبع في فيسبادن – فرانس شتاينر – ١٩٧١م .

٥ – كتاب النكت للنظام – مقالات موجودة في كتاب الفتيا للجاحظ – جمع وترجمة للغة الألمانية – دار النشر فان دن هوك – جوتنجن – ١٩٧٢م .

٦ – بين الحديث وعلم الكلام – نشره فالتر دي جرُويتر – برلين – ١٩٧٥م .

بالإضافة إلى مقالات عديدة في مجالات متخصصة .

وقد إلتقيت بهذا الأستاذ أيضاً وتحدثت معه حول الكتاب لأكثر من ثلاث ساعات .

وجدير بالذكر هنا أن موقف هذا المستشرق من الإسلام غير واضح فهو إذا تحدث عن الدين الإسلامي من ناحية العقيدة وأركان الإسلام والقرآن والسنة نراه يأخذ موقفاً ناقداً قاسياً وخاصة إذا كان يتحدث إلى جمهور من المسيحيين شفاهة أو كتابة . أما إذا كان يتحدث عن الفكر الإسلامي فهو يميل إلى إنصاف هذا الفكر ودوره في الحضارة الإنسانية . ولا يفوتني هنا أن أعترف له بذكاء وبعد نظر وإلمام كبير بكثير من فروع العلوم الإسلامية وهذا ما يعترف به أيضاً غالبية المستشرقين المعاصرين . وهو يقف من ناحية أخرى موقفاً ناقداً من الكنيسة الكاثوليكية ويصعب على القاريء أن يحدد موقف هذا المستشرق بدقة فهو أحياناً يذكر للإسلام مواقف ترفعه على المسيحية ويذكر أحياناً أخرى نقاطاً معارضة لروح الإسلام وخاصة القرآن الكريم والحديث الشريف . ولعلني أوفق إلى ترجمة أو عرض بعض مؤلفاته مختصرة على القاريء العربي المسلم في الشهور القادمة إن شاء الله .

ولا يفوتني هنا أن أذكر عزمي على ترجمة القسم الأول من الكتاب المعروض هنا والذي يحتوي موقف المستشرق فان إس ، ورد المفكر الديني هانس كونج حول الإسلام والمسيحية وقد حصلت

منهما على الموافقة الخطية بترجمة مقالاتهما إلى اللغة العربية مع تعليق وتحليل لما جاء فيها من مسائل رئيسة .

ولعل أهم ما آمله من التعليق على هذا الكتاب وعرضه على القارىء العربي هو إعطاؤه صورة واضحة عما يقال عن الإسلام في غرب أوروبا وخاصة الأسباب التي تحجب عن الأوروبيين الصورة الحقيقية للإسلام ويفسر لنا هذا بعض مواقفهم السلبية تجاه الدين الحنيف . وأذكر جيداً ما قاله لي المستشرق الأستاذ فان إس عندما عرضت عليه رغبتي في ترجمة مقالاته عن الإسلام إلى اللغة العربية . فقد قال لي أن ما يكتب عن الإسلام للقارىء المسيحي في بلد مسيحي ينبغي أن يختلف عما يكتب في الموضوع ذاته للقارىء المسلم في بلد مسلم مراعاة لشعور أبناء الدين الإسلامي . وأنا لا أشاركه هذا الرأي فان ما يكتب عن دين ما سواء كان ذلك الإسلام أو غيره يجب أن يتحرى الحقيقة والموضوعية قدر الإمكان بغض النظر عن نوعية القارىء أو المستمع حتى تكون هناك حقيقة واحدة حول الموضوع الواحد يعرفها المسلم وغير المسلم عن الإسلام . فإن من يحجب حقيقة ما أو يعرضها بطريقة غير واضحة مجاراة أو مراعاة لشعور القارىء أو المستمع فإنه لا يضيف له ولا يفيده علماً جديداً وإنما يثبته على ما هو عليه وغاية العلم كما نعرف جميعاً هي محاولة إزالة غموض وإضافة معرفة إلى ما هو موجود في ذهن المتعلم .

يفتتح هانس كونج الكتاب بمقدمة عن الحوار وطرقه ويقترح بعض الحلول . ويتكون الكتاب ككل من ثلاثة أقسام أو أبواب وهي على الترتيب الإسلام والمسيحية ثم الديانة الهندوسية (Hinduismus) والمسيحية ثم البوذية (Buddismus) والمسيحية ثم الخاتمة من المؤلف هانس كونج بعنوان « لا سلام عالمي دون سلام ديني » .

والطريقة التي اتبعت في تأليف هذا الكتاب هي أن يعرض أحد المتخصصين في دين معين تصوره عن هذا الدين مقسماً إلى نقاط رئيسة ثم يلي كل نقطة من تلك النقاط رد من المؤلف الرئيس هانس كونج يعرض فيه وجهة نظر المسيحية حول تلك النقطة ثم يأتي دور المؤلف الأول فيتحدث عن نقطة أخرى يتبعها هانس كونج بوجهة نظر المسيحية في تلك النقطة التي عرضت وتتكرر هذه الطريقة في كل الكتاب وبالنسبة إلى الديانات الثلاثة المعروضة في الكتاب في مقابل المسيحية .

يتحدث هانس كونج في مقدمته لهذا الكتاب عن الحوار عن موقفه الشخصي من الديانات الأخرى بصفته شخصاً محايداً مسيحياً كان أو غير مسيحي ويبدأ ذلك بذكر عدد سكان الأرض وهو ٤٫٢ مليار نسمة منهم ١٫٤ مليار (أي الثلث تماماً) ينتمون إسمياً للمسيحية في مقابل ٧٢٣ مليون مسلم ، و ٥٨٣ مليون هندوسي ، و ٢٧٤ مليون بوذي . وقد استقى هذه البيانات من آخر الأبحاث المنشورة في دائرة معارف العالم المسيحي الصادرة في أكسفورد سنة ١٩٨٢م (World Christian Encyclopedia) ويعترف بأن معلوماتهم عن الديانات الأخرى ما زالت ضئيلة جداً إذا استثنى من ذلك المتخصصين في تلك الديانات . وأن وضع الحوار بين المسيحية والديانات الأخرى جاء متأخراً حوالي ٢٠ عاماً إذا قارناه بالحوار بين المذاهب المسيحية المختلفة ، وشيئاً فشيئاً بدأ المسيحيون يعرفون حقيقة الآخرين . ويقول : إننا مررنا حتى الآن بأربع مراحل هي مرحلة الحرب الساخنة ثم الحرب الباردة ثم الرضوخ للواقع والرضا بالعيش الجماعي المتنافر ثم محاولة التعايش مع الآخرين . ويواصل حديثه فيقول : إننا الآن بصدد مرحلة جديدة وهي مرحلة يجب علينا فيها أن نجد تعريفاً آخر لمحاولة توحيد المذاهب فعلينا الآن أن نفهم تحت هذا الموضوع محاولة توحيد الديانات أي لا نقتصر على محاولة توحيد المذاهب المسيحية المختلفة ولكن تشمل هذه المحاولة توحيد كل الديانات الكبيرة وهو المعنى الأصلي لمصطلح توحيد المذاهب (Ökumene) وهو يقول : « إن القيم الدينية والخلقية والجمالية للمليارات من البشر غير المسيحية لا يمكن أن تظل موضع الرفض والتجاهل » . (ص ١٨) .

ويعرف الدين كما يلي : الدين هو علاقة إجتماعية وشخصية

متحققة بشيء يعلو العالم ويحيط به ، وهذه العلاقة هي التي تتحقق في سنة وجماعة وتنعكس في عقيدة وخلق وطقوس دينية في معظم الأحيان ، وهي علاقة بالحقيقة المطلقة بكل ما تحمله هذه العبارة من معان . ويضيف أن الدين يعطي للحياة معنى شاملا ويضمن القيم العليا ومعايير مطلقه وينشأ أمة ووطناً روحياً . (ص ١٩)

ثم يضع لنفسه مبادىء يسير عليها في عرضه لموقفه وهي :

١ — نقد ذاتي للمسيحية من خلال فهم الديانات الأخرى للمسيحية .

٢ — نقد الديانات الأخرى من وجهة نظره كمسيحي ولكن دون خلط الأمور ببعضها بل عن طريق مقارنة المبادىء المتشابهة . (ص ٢١) .

وتبين أنه لن يتجاهل أي مبدأ ذا قيمة عليا في الديانات الأخرى ولكنه لن يترك أي مبدأ عديم القيمة دون نقده ودراسته مع ممثليه حتى يتفق معهم على فهم مشترك (ص٢٢) .

ويضيف أنه يجب علينا في هذا الحوار أن نتمثل المسئولية المتبادلة ونعي تماماً أننا لا نملك الحقيقة المطلقة جاهزة في أيدينا ولكن نحن على الطريق الذي يوصلنا إلى حقيقة أكبر فأكبر . (نفس الصفحة) .

الباب الأول
(المؤلف المستشرق جوزيف فان إس)

الإسلام والمسيحية :

ويبدأ هذا الباب بلوحة زمنية تعرض أهم الأحداث والتطورات في الإسلام منذ مولد الرسول الكريم ﷺ حتى حركة المسلمين في الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥م .

الفصل الأول : محمد ﷺ والقرآن : نبوة ووحي .

المبحث الأول : وجهات نظر إسلامية :

صورة سيئة وآثارها : (ص ٣١ — ٣٢)

يقول فان إس في بداية مقاله : الاهتمام بالإسلام قديم ولكنه لا يعتمد في معلوماته على مصادر موثوق بها — ما يسمعه ويقرأه الانسان من وسائل الاعلام عن الإسلام وما يقوله المثقفون عنه بصفة عامة هو شيء مخيف وهو مخيف لوجهين :

أولاً : بسبب الخطأ والأحكام المسبقة (الأحقاد) التي تظهر في هذه الأحكام .

وثانياً : بسبب النغمة (الطريقة) الشبحية (الرهيبة) التي تُنقل بها . بينا لا نجد إنساناً يخاف من البوذية أو الهندوسية نجد أن الخوف من الإسلام هو الموقف الطبيعي . وليس هذا بعد أزمة البترول أو الثورة الإسلامية (في إيران) ولكنه كان نفس الموقف في العصور الوسطى وفي بدايات العصر الحديث ، حيث كان يزداد الاهتمام بالإسلام كلما وجد شيء مخيف (من الإسلام) ، عندما فشلت الحروب الصليبية ، وبعد ذلك أثناء الحملات التركية . في مثل هذه الظروف تنتشر الصورة السيئة المتكررة بدون تغيير .

الحاجة إلى معلومات (عن الإسلام) كانت تسد بسرعة عن طريق معلومات سطحية عامة يستنبط منها أحكام (نتائج) غير ناضجة (خاطئة) . (ص٣١) .

التوقيت كمعيار للقيمة (ص٣٣ — ٣٤) :

توالي الديانات الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام زمنياً له أهمية كبيرة في فهم العلاقة بين تلك الديانات . الديانتان الأخرتان (المسيحية والإسلام) تعتبر نفسها إلغاءاً للدين السابق عليهما

(اليهودية) . والدين الأول أي اليهودية يؤمن بأن الله قد تحدث إلى شخص معين (ولم يتكرر هذا الحدث مرة أخرى) وهذا يعني أن الله قد اختار هذا الشخص (موسى عليه السلام) من بين البشر إلى الأبد . يرى الإسلام أن الله تعالى جعل توالي الأنبياء لحكمة واضحة فليس بين الأنبياء من جاء متأخراً أو متقدماً عن التوقيت الذي قدره الله في خطته . فالديانات السابقة (على الإسلام) كانت خطوات تمهيدية للإسلام .

محمد نبي عربي : (٣٤ — ٣٦)

إن حياة محمد ﷺ كانت تختلف عن حياة عيسى (عليه السلام) . عيسى (لم يحقق هدفه في الدنيا بينا نجح محمد في ذلك) كانت الصدمات المخيبة للأمل في بداية حياة محمد ﷺ ولكن في النهاية كان فتح مكة وتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت حكمه . ولم يكن محمد ﷺ من أسرة فقيرة ، كما كان عيسى . لقد كان أبوه تاجراً ولكنه توفي قبل مولده وحينما كان عمره ٢٥ سنة تزوج من السيدة خديجة وأنجب منها عدة أطفال أربع فتيات واثنين أو ثلاثة صبيان ، وتوفي جميع أبنائه الصبيان في مراحل الاسلام الأولى ويعتبر هذا أمراً ذا أهمية في تطور الإسلام .

إن حياة محمد ﷺ لم تكن حياة بدوي بسيط ولكنها كانت حياة رجل مدينة . ونشأ الإسلام في مدينة ولم ينشأ في الصحراء . وهذه المدينة كانت ملتقى عديد من قوافل التجارة التي كانت تصل من اليمن إلى البحر الأبيض المتوسط . وجاء محمد ﷺ بدين يختلف عما كان معروفاً عند العرب التي كانت لا تؤمن إلا بالحياة الدنيا ، فأنذرهم بيوم القيامة يوم يحاسب المرء في الحياة الآخرة على كل ما وقع منه من ظلم . وقد كان هذا هو قول الديانات الأخرى التي كانت تحيط بشبه جزيرة العرب ، فقد كان الدين اليهودي في فلسطين والعراق ، والمسيحية في سوريا وأثيوبيا وجنوب شبه الجزيرة ، في نجران .

ـ صيغة ومحتوى الوحي الجديد : (٣٦ — ٣٩)

رغم أن فكرة يوم الحساب (القيامة) كانت موجودة في اليهودية والمسيحية إلا أنه لم توجد ترجمة عربية للكتاب المقدس . وإن كانت فكرة يوم القيامة التي جاء بها محمد ﷺ تعتبر متطورة وبها تصور جديد لا يوجد فيما سبق من الديانات ولقد كانت أصالة رسالة محمد ﷺ تتمثل في أن الوحي جاء باللغة العربية في اسلوب واضح مفهوم للجميع وهو القرآن ، فقد كان محمد نبياً عربياً . لقد نبه محمد ﷺ تجار مكة إلى كفرهم وجشعهم وأكلهم أموال اليتامى والأرامل وتوعدهم بحساب شديد يوم القيامة يوم يسألون عن كل ما فعلوا في هذه الدنيا .

ولكن علينا الا نفهم أن رسالة محمد ﷺ كانت فقط إصلاحاً إجتماعياً فلم يكن محمد ﷺ ثائراً ولكن نبياً ، لم يحارب الملكية الخاصة والغنى ولكنه حارب فيهم إعتقادهم بأنهم يستطيعون أن يفعلوا بسلطانهم ما يشاءون دون حساب من قوة أعلى منهم (الله) . كان محمد ﷺ يعرف مدى الصعاب التي ستواجهه من الكفار ولكنه كان واثقاً من أن الله سوف يكون بجانبه وسينصره عليهم .

الهجرة إلى المدينة : (٣٩ — ٤١)

ينبه المؤلف إلى أن ترجمة كلمة هجرة باللغة الألمانية بما يقابل « هروب » هي ترجمة خاطئة . فإن كلمة هجرة تعني إنتقال جماعة من الناس من بلد إلى بلد بعد إنهاء إرتباطهم والتخلي عن نسبهم إلى الموطن الأصلي وإتخاذهم مكاناً آخر وطناً جديداً . ولقد أحسن محمد ﷺ إختيار المدينة كمكان مناسب للهجرة فقد كان فيها قبيلتان كبيرتان متعاديتان فأستطاع هو أن يكون الحكم بينهما وأن يحل السلام في المدينة بدلًا من العداء الذي ساد المنطقة . وقد كان في المدينة يهود وهم أيضاً مثله موحدون ولكنهم لم يلتفوا حوله ويؤيدونه كما كان يتوقع بل تحاشوه وكانوا يسخرون منه

ويشعرون بأنهم أقوى منه . ولهذا كان عليه أن ينتصر عليهم قبل أن يفكر في فتح مكة وقد انتصر في النهاية على كل من اليهود وأهل مكة . وبعد ذلك طردوا من المدينة . وتدل عودة محمد ﷺ وصحبه إلى مكة على عدم إستغنائه عنها فهو لم يخرج منها إلا ليعود إليها فاتحاً . وليطهر الكعبة من كل ما له علاقة بالكفر ويجعلها مركزاً للعبادة في الدين الإسلامي .

مفهوم محمد ﷺ لنبوته : (٤١ — ٤٣)

اعتقد محمد ﷺ أنه لم يأت بشيء جديد تمام الجدة ، بل إن هذه الرسالة كانت جديدة فقط بالنسبة إلى أبناء وطنه . إن ما جاء به لم يكن جديداً بقدر ما كان تصحيحاً للرسالات التي سبقته وتذكرة بها بعد أن نُسيت أي أنه كان مجدداً بالدرجة الأولى لما أوحاه الله على أول الأنبياء فالحقيقة التي يقول بها ويبلغها هي الحقيقة القديمة التي تعرضت مع مرور الزمن للتحريف .

والنبي كما يفهم ذلك محمد ﷺ ليس إلا مبلغاً لما يوحى إليه . لا يأتي بشيء من عنده ولم يكتسب هذا الوحي عن طريق التفكير أو أي شيء آخر . وهنا يرى المؤلف الفارق الأساسي بين محمد ﷺ وعيسى . محمد بقي بشراً ولم تتغير طبيعته بسبب الوحي (كلمة الله) فهو لا يستطيع فعل المعجزات وانما كل شيء يسير بأمر الله . أما عيسى (عليه السلام) فقد تحول إلى كلمة الله عن طريق الوحي .

والقرآن يتحدث عن معجزات لعيسى (عليه السلام) ولا يتحدث عن معجزات لمحمد (ﷺ) . ويؤكد القرآن الكريم بشرية محمد وعدم إستطاعته الإتيان بمعجزات وأنه ليس إلا بشير نذير ويكتفي بالقرآن الكريم معجزة تعجز البشر وهي من الله وليست من محمد (ﷺ) .

مفهوم الوحي : (٤٣ — ٤٥)

الكتاب (السماوي) هو الأصل في كل الديانات في الإسلام والمسيحية واليهودية ويسمى المسلمون اليهود والمسيحيين «أهل الكتاب» ويؤمنون بأن كتبهم السماوية (التوراة والانجيل) تحتوى وحياً من عند الله . وهذا الاعتقاد يُفقد المسيحيين واقعهم التاريخي . وأما التوراة فلا يعترف الإسلام منها إلا بالأسفار الخمسة ومزامير داود . ولا يهم الإسلام بحياة عيسى أو موسى ولكن بوحي الله إليهم الذي يأتي في المكان الأول . وأهم ما في هذا الوحي هو التأكيد على وحدانية الله (Monothismus) وكتابة الوحي (أي جمع الوحي في كتاب) معروفة أيضاً قبل الإسلام وقد فعلها اليهود والمسيحيون ، ولكن ما يميز الإسلام هو مناقشته وتعرضه لكل تفاصيل الوحدانية حتى نهايتها ولم يعرف التاريخ حركة لجمع الوحي تمت بالسرعة والدقة التي تمت في الإسلام ، ففي خلال جيل واحد بعد موت النبي ﷺ إستطاع الخليفة الثالث عثمان (بن عفان) أن ينتهي من جمع وكتابة القرآن الكريم بالصورة التي نعرفها الآن .

وبعد الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ إنقطع اتصال الله بالبشر على هذا النحو . لقد كان محمد ﷺ ، كما يعتقد المسلمون ، خاتم الأنبياء . والمسلمون يؤمنون بالوحي الإلهي في صورة أوامر إلهية وحديث إلهي وبذلك لن نجد في الوحي الالهي كلمة صدرت عن محمد ﷺ نفسه أو عبارة دينية من الديانات التي كانت قبل الإسلام . ولا يفترض هذا إلا عالم غير مسلم من المتخصصين في الدراسات الإسلامية . فالمسلم يتمسك بنص القرآن . أما المسيحي فهو يتمسك بمعنى ما قاله عيسى ، والخطابة (بالمساجد) تختلف عن الخطابة في الكنائس وخاصة الكاثوليكية .

إعجاز القرآن : (٤٥ — ٤٧)

في البداية كان الناس يفكرون في المعنى المقصود بأن القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة في الإسلام . أولًا : « فُهم أو فُسر ذلك بما يتضمنه القرآن من إخبار بما سيحدث مثل ما جاء بالآية آلم غُلبت الروم ، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون » (الروم : ١،٢،٣) . ولكن لم يكن هذا كافياً للتدليل على

الإعجاز . ثم جاءت فكرة الإعجاز اللغوي للقرآن الذي لا يستطيع أي إنسان أن يأتي بمثله . تكلم الله باللغة العربية وهو (تعالى) لا يخطىء، وقد ترتب على هذا أن قواعد اللغة العربية والبيان والشعر استندت إلى القرآن الكريم وأخذته مثلاً أعلى تحتذيه . واليوم تجد الأجيال الحالية صعوبة في فهم القرآن لأنهم يتحدثون لهجات عامية بعيدة عن اللغة العربية الفصحى التي أنزل بها القرآن فهم يؤمنون بنص القرآن دون أن يفهموا معناه في غالب الأحوال ولكن مجرد نزول القرآن باللغة العربية وتمسك المسلمين بنص القرآن جعل اللغة العربية تبقى كما هي حتى الآن بينما نجد أن اللغة اللاتينية قد تفرعت إلى لغات مختلفة كل واحدة منها تطورت باستقلال عن الأخرى .

تكريم النبي ﷺ : (٤٧ ــ ٤٨)

يقول المؤلف إن صورة النبي ﷺ قد تغيرت على مر العصور وإن لم تتغير في طريق مستقيم (لم يكن التغير تطوراً لتصور معين) . فكلما زاد تكريم النص (القرآن الكريم) جاء هذا التكريم على حساب الاهتمام بتكريم النبي (شخصياً) . ولاهتمام المسلمين بنفي أي تدخل من النبي في نص الوحي قالوا : إن النبي كان أمياً . وقد جاء هذا الوصف في القرآن (الكريم) (الأعراف ١٥٧ ــ ١٥٨) . والتفسير اللغوي لكمة أمي يعنى (في رأي المؤلف . فان (س) شخصاً ينتمي إلى أمه لم ينزل فيها كتاب سماوي (فهم خاطىء لمعنى هذه الكلمة) . ولكن المسلمين فهموا من هذا أن النبي لا يقرأ ولا يكتب وأرادوا بذلك أن يثبتوا عدم معرفة النبي بالكتب المقدسة التي أنزلت من قبله فيكون ذلك دليلاً على نبوته وعلى أن ما جاء في القرآن الكريم مماثلاً لما جاء في الكتب المقدسة الأخرى هو من عند الله وليس من عند النبي ﷺ .

وبعد ذلك نجد أن نفي النبي لقدرته على أن يأتي بمعجزة لم يأخذ به اللاحقون ونسبوا إليه بعض المعجزات وعلى ما يبدو أن ذلك التطور كان بسبب المناقشة والجدال مع النصارى حيث رأى بعض المسلمين أن المسيحيين أستطاعوا أن يرفعوا ذكر المسيح بصفته مختاراً من الله وأثبتوا ذلك بطريقة أفضل من المسلمين عن طريق المعجزات التي ظهرت على يديه . فقلدهم في ذلك (بعض) المسلمين ونسوا بذلك أنهم خالفوا نص القرآن الكريم في هذا الصدد . وقد كان المتصوفة أكثر من بالغ في تصوير شخصية الرسول وجعله المثل الأعلى الذي يعلو عن أي مقلد من سائر البشر ، فهو عندهم «الإنسان الكامل» الذي خلقه الله قبل كل شيء وجعل فيه صورة مصغرة للكون كله . ولكن مهما بلغ العلو في وصف النبي فإنه دائماً يبقى عندهم إنسانا مخلوقا قبل كل شيء ، ولا يسمح لأي مسلم أن يمثل النبي بالله (تعالى) أو يجعله متحداً به أو حالاً فيه لأن هذا ذنب لا يغتفر في الإسلام ويُخرج صاحبه عن الإسلام .

* * *

الفصــل الثــاني

إجابة مسيحية

هانس كونج (Hans Kung)

حقاً إنها قصة نجاح رائعة ، تلك القصة التي سمعناها عن محمد ﷺ ، عن إرادته وعقيدته وجهاده وانتصاره والقرآن وأهميته .. كان هذا بداية دين عالمي . لا بد لنا أن نفهم الإسلام من الداخل أي من أبنائه . هذا الإسلام القريب من المسيحية والذي كان يهددها طوال التاريخ قد بقي بالنسبة لنا شيئاً مجهولاً طوال ٢٠٠٠ عام بعد المسيح و ١٤٠٠ سنة بعد محمد ﷺ ، ذلك رغم التجاور الجغرافي بيننا وبين الإسلام وما ينشر عن الإسلام في الوقت الحاضر يشير إلى أن هناك صحوة جديدة للإسلام لها أثرها البالغ على تطور الأحداث في الغرب وتشكل منعطفاً خطيراً في تاريخه . ولكن فلنتذكر أولاً أن الإسلام لا يزال بالنسبة إلينا غريباً وهو أكثر خطورة علينا من الديانات الهندوسية والبوذية من الناحيتين السياسية

والاقتصادية . ورغم كل الصعوبات التي تقابلنا عند محاولة فهم الإسلام الفهم الصحيح إلا أن ذلك هو واجب المسيحيين الذين يعملون في مجال توحيد الكنائس (الديانات) (Ökumenische Christ. Theologie) وأن يحاولوا إيجاد نقاط للتفاهم المشترك داخل تلك المشكلة الصعبة .

من التجاهل إلى التكبر إلى التسامح : (٥٠ ــ ٥٣)

لم يعرف الأوربيون شيئاً أصيلًا عن محمد ﷺ حتى بعد إنقضاء أكثر من ٤٠٠ عام على نبوته . في عام ١١٤٢م وبعد زيارة بيتروس (بطرس) المعظم إلى أسبانيا التي كان يحتلها العرب عرفت أهمية تحصيل تصور أصيل عن الإسلام ونتج عن ذلك أن أصدر أوامره بترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية فجاءت أول ترجمة للقرآن للغة اللاتينية في سنة ١١٤٣م . ولكنه حتى إنقضاء ٥٠٠ عام لم توجد أي دراسة علمية أصيلة عن الإسلام إلى أن جاء الكسندر روس (Alexander Ross) وكتب كتاباً هاماً في تاريخ الأديان أسماه « عبادات مختلفة من جميع أنحاء العالم » سنة ١٦٥٠ وترجم إلى الألمانية ١٦٦٨ ، وكان الرأي السائد في الغرب عن الإسلام أنه عقيدة خاطئة وأنه تحريف متعمد للحقيقة وخليط من العنف والشهوة ، وقيل عن الرسول (محمد ﷺ) أنه خادع وأنه المسيح الدجال وفي مقابل ذلك كان إظهار المسيحية على أنها هي الدين المثالي الوحيد الذي يحتوى الحقيقة المطلقة والسلام والحب والتعفف .. الخ . وقد كان هدفهم من ذلك هو التشويه المتعمد لصورة الديانات الأخرى حتى يحموا أبناء دينهم من التأثر بالديانات الأخرى .

ورغم أنه في العصور الوسطى المسيحية كان هناك إعجاب كبير بالحضارة العربية الراقية والفلسفة والعلوم الطبيعية والطبية بالاضافة إلى القوة الاقتصادية والعسكرية للإسلام حتى أن وجود عالم مسيحي مثل توماس الأكويني ما كان ممكناً دون العرب ، إلا أن ذلك الإعجاب قد إختفى مع بدايات عصر النهضة ونشطت معاداة كل شيء عربي وإزداد ذلك عندما ظهر خطر الأتراك على أوربا فأمر باحراق القرآن بعد نشره مباشرة في عام ١٥٣٠م الذي نشر في فينسيا (البندقية) .

ولقد أراد لوتر (Luther) (مؤسس الكنيسة البروتستنتيين توفي ١٥٤٦م) أن يترجم القرآن ولكن ليس إلا للتهجم عليه . وعندما جاء عصر التنوير (القرن ١٨) بدأ الاتجاه إلى مهادنة الإسلام وظهر ذلك في القصة التي كتبها ليسنج (Gotthold Ephraim Lessing) (توفي ١٧٨١م) بعنوان «ناتان الحكيم» نشرت سنة ١٧٧٩م (انظر قاموس الفلسفة (بالألمانية) ص ٣٨٤ طبعة كرونر ــ شتتجرت ١٩٧٤م) والتي عرض فيها لثلاث خواتم متماثلة (تمثل الديانات الثلاثة : اليهودية والمسيحية والإسلام) وقال أنه يوجد بينهم خاتماً من الذهب والاثنان الباقيان غير ذلك وأنه لا أحد يعرف أيهم الذهب الأصيل . وقد صور في هذه القصة صلاح الدين الأيوبي الحاكم المسلم على أنه مثال للحاكم الحكيم . ومن أمثلة المهادنة مع الإسلام يذكر كونج ديوان جوته (Goethe) الذي أسماه الديوان العربي الشرقي ١٨١٩م وكذلك محاضرة توماس كارليله (Thomas Carlyle) بعنوان «محمد نبي صادق» ١٨٤٠م .

وفي القرن التاسع عشر جاء التطور الكبير في الإستشراق مع بداية عصر الإستعمار وظهر بذلك نقد تاريخي للعلوم الإسلامية وقد حد ظهور هذا الاتجاه العلمي في القرنين ١٩ ، ٢٠ من مجادلات المسيحيين ضد الإسلام واتجه بهم إلى محاولة الدراسة والتفهم الموضوعيين وقد حدث تطور واضح في هذا الاتجاه . وقد ظهر العديد من الدراسات القيمة في هذا المجال منها :

ــ دراسات تاريخية نقدية تكرم النبي محمداً ﷺ منها : دراسات جوستاف فايل (G. Weil) ، الويس شبرنجر (A. Sprenger) ، وليام موير (W. Muir) ، ليونيه قيطاني (L. Caetani) ، تور أندريه (T. Andrae) ، ريجز بليشير (R. Blacher) ، منتجمري واط (M. Watt) .

ــ دراسات حول تاريخ القرآن كتبها : تيودور نولدكه (T.

(Noldeke) دراسة تاريخية للقرآن ، وترجمة جوستاف فلوجل (G. Flugel) ، ريتشارد بل (R.)Bell) ، ورودي بارت (R. Paret).

ــ أبحاث شاملة عن الحضارة الإسلامية والعبادات والتصوف والشريعة والأخلاق والأدب والفن ، من : جولد تسهير (J. Goldziher) ، سنوك هورجرونيه (Snouck Hurgronje) ، ولويس ماسينون (L. Massignion) .

ــ وأبحاث لإظهار صورة المسيح في القرآن الكريم من : ج.ف جيروك (G.F. Gerock) (قبل ١٥٠ عام) وقد لحقها دراسات عديدة في نفس الموضوع .

ويعلن المؤلف رفضه التام للعودة إلى الجدال المسيحي ضد الإسلام عن طريق الإفتراءات والتحريف والتشويه ويقول : علينا أن نبدأ الآن فهم الإسلام من الداخل ونحاول الإجابة على سؤال مثل : لماذا يرى المسلم الله والعالم والعبادة وحقوق الإنسان وكذلك السياسة والفن بصورة تختلف عما نراه نحن ويقلب يختلف عن قلوبنا كمسيحيين .

الإسلام يرى أنه الطريق الكامل المتكامل للخلاص فهل هو فعلاً كذلك ؟

ــ الإسلام ، هل هو طريق للخلاص ؟ : (٥٣ ــ ٥٥)

هذا السؤال يشكل نقطة رئيسية في موضوع الحوار بين المسيحيين والديانات الأخرى الذي نبه على أهميته مجلس الكنائس الأعلى ، وتتوقف فائدة الحوار مع الديانات الأخرى على نوعية الإجابة عن هذا السؤال « ما الفائدة من حوار يدور مع من سيذهبون النار ؟ » . إن موقف الكنيسة التقليدي في العصور الوسطى (وخاصة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية) واضح فهو لايرى أي طريق للخلاص في غير المسيحية (Extra Ecleciam nulla Salus) وقد حدث تطور في هذا الموقف في القرن ١٧م في فرنسا وطرح السؤال مرة أخرى وقد ترتب على إحتمال وجود طريق للخلاص (دين صحيح) أن تعترف الكنيسة بأن هناك أنبياء حقيقيين . إلى أن جاء في توصيات المؤتمر الكنسي الثاني (١٩٦٤م) أن البشر الذين لم يعرفوا الإنجيل المسيحي بغير ذنب منهم ولكنهم يراعون الله وضميرهم ويحاولون تطبيق ما أمر الله سوف يدخلون الجنة (الخلاص) (فقرة رقم ١٦) .

وهذه الفقرة تنطبق على اليهود والمسيحيين والمسلمين بمعنى كل من يؤمن بالله وبما أوحى إلى إبراهيم (عليه السلام) وهذا يعنى أن الإسلام يمكنه أن يكون طريقاً للخلاص . ولكن الكنيسة الكاثوليكية تفرق بين الطريق النظامي للخلاص والطرق غير النظامية . وهذا يعنى بالضرورة الاعتراف بأنبياء بعد المسيح (عليه السلام) ويؤدي ذلك الموقف إلى الاعتراف بأن محمد ﷺ ليس كما صورته الكنيسة في الماضي ولكنه يرجح الاحتمال بأنه كان نبياً حقاً .

ــ محمد (ﷺ) ــ هل هو فعلاً نبي حقيقي ؟ (٥٥ــ٦١)

لا شك أن محمداً (ﷺ) شخصية تاريخية عظيمة أثرت على مجريات الأمور في العالم تأثيراً جذرياً ، فقد استطاع أن يعطى العرب ديناً غير دينهم القديم ويجعل هذا الدين الجديد متحداً مع الدين اليهودي والمسيحي في أمور كثيرة بدءاً من فكرة الإيمان بالله (التوحيد) وانتهاءاً ببعض العبادات المتشابهة . إن ظهور محمد ﷺ يثبت استمرارية في عدم استمرارية ، أي أن هناك ديانات مختلفة متوالية (عدم الإستمرارية) ولكنها تأخذ من نفس المنبع (إستمراريه) ولا تأتي بشيء جديد خلقته من العدم .

إن شخصية محمد ﷺ لا يمكن دراستها تاريخياً عن طريق سابقيه ، إنها شخصية فريدة تخالف المحيط العام الذي عاشت فيه . لقد أوجد قيماً ومقاييس جديدة جاءت في القرآن . فالقرآن يعنى خروجاً ورجوعاً عن الماضي واتجاهاً إلى مستقبل جديد ، وهو

يحق بداية توقيت جديد (التأريخ الهجري) .

وليس صحيحاً ما قاله كارل ياسبرز (Karl Jaspers) بأن محمداً ﷺ لم يحظ باهتمام كبير لأن الأصالة كانت تعوزه ، هذا خطأ كبير ، أليس حقاً أن محمداً كان (ولا يزال) الشخصية الدينية الأصيلة عند جزء كبير من الإنسانية ؟ اليس حقاً أنه ، وخلال قرون عديدة ، والقرآن والصحابة كانوا مرجع البشر كلما أشكل عليهم شيء ؟

من المعروف أن هناك العديد من الديانات التي لا تعرف الأنبياء مثل الهندوسية والديانات الصينية والبوذية على خلاف اليهودية والمسيحية والإسلام . وإذا كان هناك نبي يسمى «النبي» (معرفاً بالألف واللام) فانه هو محمد ﷺ كما قال هو ذلك عن نفسه . ولكن هل هو كذلك فعلاً ؟ سأعبر عن رأيي باختصار وأذكر أن كل مسيحي أو يهودي حقيقي يتقصى هذا الأمر لا بد أن يسلم بصحة بعض النقاط (أو الأدلة) الآتية :

— مثل أنبياء إسرائيل لم يستمد محمد ﷺ قوته من جماعة أو سلطة حكومية ولكن كان يستمدها عن طريق علاقة شخصية بالله .

— مثل أنبياء إسرائيل كان محمد شخصية ذات إرادة قوية رأى في نفسه رسولًا مختاراً مكلفاً برسالة من الله يبلغها للناس .

— مثل أنبياء إسرائيل جاء محمد ﷺ برسالته أثناء محنة (فوضى) دينية وإجتماعية وكان يقف وحده بكل قوة وصلاح وإصرار على تبليغ رسالته (دعوته) ضد قوة معارضة مسيطرة لها تقاليد تتمسك بها ولا تريد تركها .

— مثل أنبياء إسرائيل بلغ محمد ﷺ ، وبإصرار لا يبين ، التوحيد ، الإيمان بإله واحد لا شريك له وهو الخالق الرحمن والمحاسب الرحيم .

— مثل أنبياء إسرائيل . أمر محمد بطاعة الله المطلقة والعبودية لله (الاسلام) بما يحتويه هذا من شكر لله ورحمة بالعالمين (البشر) .

— مثل أنبياء إسرائيل . يربط محمد ﷺ التوحيد الخالص بالانسانية (حب الإنسان للإنسان = Humanismus) ويربط الإيمان بوحدانية الله وعدله بالمطالبة بالعدالة الاجتماعية ، يبشر بالعدل والخلاص ، ينذر الظالمين بالنار ويبشر المنصفين بالجنة .

كل من ينظر في التوراة والكتاب المقدس والقرآن ، يجد أنهم جاءوا من منبع واحد ، وخاصة التوراة والقرآن ففيهما أمور كثيرة متطابقة تماماً . أليس إذن الاعتراف بأنبياء إسرائيل وإنكار نبوة محمد حكماً جدلياً خاطئاً ؟

هذا هو الدين الذي جمع قرابة ٨٠٠ مليون نسمة على الإيمان بالله وأداء فرائضه (أركان الإسلام الخمسة) ونادى بالمساواة بين البشر جميعاً أمام الله ، وبأخوة لا تعرف التفرقة العنصرية .

كل هذه الأشياء تحتم علينا نحن المسيحيين أن نصحح تصورنا عن محمد ﷺ ونترك الأحكام الخاطئة التي نشأت من الكراهية ضد الإسلام . وعلينا أن نضع نصب أعيننا ما يلي :

— أن العرب كانوا على حق عندما اتبعوا محمد ﷺ في القرن السابع الميلادي .

— أنهم إرتقوا بدين التوحيد عما كانوا عليه من الكفر .

— أنهم جميعاً استمدوا من محمد ﷺ أو بالأحرى من القرآن إلهاماً كثيراً وشجاعة وقوة انتقلت بهم إلى حقيقة عالية ومعرفة عميقة وإحياء وتجديد لدين خالد وهو الإسلام .

حقاً إن تصور المسلم عن نبوة محمد يختلف عن تصورنا نحن فهو بالنسبة له إنسان لم يتغير بالنبوة وهو المثل الأعلى الذي يحتذى به من كل من تبعه أو لحق عليه فهو الإسلام في صورة إنسان . ويجب على الكنيسة الكاثوليكية التي تحدثت عن المسلمين بصفتهم من عباد الله أن تملك الشجاعة وتتحدث عن محمد ﷺ بنفس الوضوح .. فإنه هو الذي دعى الناس إلى عبادة الله وحده ولم يفعل ذلك غيره في زمانه . هذا الاله الواحد هو الذي تحدث إلى محمد ﷺ وسماه «النبي» . ان الكتاب المقدس كان يعترف

بنبوات بعد عيسى (عليه السلام) ولكن هذا الاعتراف قد إختفى في القرن ٣/٢ الميلادي ولكن هذا لا يبرر لنا إنكار نبوة محمد ﷺ .

والآن أليس هناك نتائج ذات أهمية كبيرة لاعترافنا بنبوة محمد ﷺ وخاصة بالنسبة إلى الحكم على رسالته (القرآن) ؟ .

ــ القرآن ــ هل هو كلمة الله ؟ : (٦١ــ٦٣)

القرآن كلمة أو كلام مكتوب وهو يشبه الكتاب المقدس من هذا الوجه ، ولأنه دُوِّن ، إستطاع أن يحتفظ بمحتواه عبر تطورات التاريخ والقرون والبلاد والأجيال بشكل يثير الإعجاب ولم يتغير فيه أي شيء عن الأصل ، رغم إختلاف التفاسير والشروح وتعدد المذاهب الفقهية ، كل ذلك كان يستند إلى نص القرآن ولم يخرج عنه شيء من هذا ، وهو دستور الإسلام الوحيد الذي يرسم للمسلمين حياتهم وواجباتهم وحقوقهم الدينية والخلقية والاجتماعية . وهو كتاب الإسلام المقدس . فهل هذا القرآن كلمة الله فعلاً ؟..

ظل هذا السؤال محرماً طوال قرون عديدة عند المسلمين وكذلك المسيحيين ، والمسلمون يؤمنون بذلك دون أي شك . أما المسيحيون فينكرون ذلك وينسبونه إلى محمد ﷺ .

وقد كان أول من طرح هذا السؤال في العالم المسيحي بصورة واضحة هو عالم الأديان الكندى ولفريد كانتويل سميث (Wilfred Cantwell Smith) في عام ١٩٦٣م في كتابه « نحو فهم الإسلام » (On Understanding Islam) ، الفصل ١٦ وكان إنكار المسيحيين لذلك يعتبر كفراً من وجهة نظر المسلمين ، بينما يعتبر المسيحيون إيمان المسلمين بذلك نوعاً من البدع (أو الافتراء) . ولكن يا ترى هل سيفكر بعض المسيحيين وبعض المسلمين في المستقبل فى مدى صحة موقف كل منهم ؟ . وأعرض هنا بعض الأسئلة النقدية على موقف المسيحيين وكذلك بعض الأسئلة النقدية على موقف المسلمين .

ــ الوحي خارج الكتاب المقدس : (٦٤ــ٦٥)

كلما إزداد تعارف المسيحي بالمسلم دون محاولة أحدهما جذب الآخر إلى دينه كلما زاد الاتجاه عند المسيحيين نحو مراجعة موقفهم السلبي الرافض للقرآن . وما يهمنا هنا ليس هو البحث عن الطريقة التي تلقى بها محمد ﷺ الوحي ولكن عما إذا كان قد تلقى الوحي حقيقة أم لا ؟ .

أقول إنه يوجد في التوراة وفي الكتاب المقدس إشارات إلى أن هناك وحيا إلهيا خارج حدود المسيحيين المكانية والزمانية وهو منتشر بين جميع البشر .

حتى أن كارل بارت نفسه (Karl Barth) ، وهو أحد كبار المفكرين الكاثوليك في النصف الأول من هذا القرن ، اضطر في آخر أيامه أن يعترف بوجود نور (وحي) إلهي خارج الكنيسة بعد أن ظل طوال حياته ينكر ذلك .

الحقيقة أن الكتاب المقدس فيه إشارات كثيرة مباشرة وغير مباشرة إلى أن الله لا يترك أمة دون وحي يهديهم وأنه يحب كل البشر ويريد هدايتهم .

هل نستطيع إذن أن ندعى أن البشر قبل عيسى (عليه السلام) وفي الوقت الحاضر لا يتلقون العناية الإلهية . هل نستطيع أن ندعى عدم وجود بشر يهديهم الله معرفة خاصة ويكلفهم الله بواجبات هداية البشر ويميزهم عن غيرهم للإقتداء بهم . لماذا لا يصدق ذلك على محمد ﷺ النبي الذي بعث وسط كفار الجزيرة العربية ، وتسليمنا بصدق نبوة محمد ﷺ يحتم علينا أن نعترف بأن رسالته (القرآن) لم تكن من عنده هو ولكن من عند الله .

وبقي سؤال آخر بعد التسليم بنبوة محمد ﷺ وأن القرآن موحى من الله ، وهو كيف نزل الوحي من السماء وهل يعنى ذلك أن القرآن كلمة بكلمة جاءت هكذا من الله ؟ هذا السؤال هو أحد أهم نقاط البحث .

ــ هل جاء الوحي بكل كلمة مكتوبة ؟ (٦٦ــ٦٨)

يؤكد القرآن أن اليهود والمسيحيين أيضاً أهل كتاب ، وهذا شيء هام جداً لكونه يشير إلى ما يجمع ويقارب بين تلك الديانات الثلاثة ولكن هل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد قد أوحى كلمة بكلمة وحرفا بحرف ؟ لقد كان هذا ولا يزال اعتقاد بعض المسيحيين المحافظين (Fundamentalisten) ويرى المؤلف أن إيمان بعض المسيحيين وجميع المسلمين بأن ما في كتبهم المقدسة هو وحي إلٰهي بالنص ليس إلا وسيلة لرفع كتابهم المقدس فوق ما سواه واتخاذ ذلك عاملاً لجمع وتوحيد صفوف أصحابه حول نص الوحي المقدس الذي لا يعتريه التغير : حقاً إن القرآن يختلف عن الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) بمعنى أن الكتاب المقدس قد كتبه اناس مختلفون كل الاختلاف ، ونتج عن ذلك ان الأناجيل والرسائل (المسيحية) جاء فيها كثير من الخلط والخطأ والنقص حتى أصبح مستحيلاً القول بأن ما في الكتاب هو وحي الله بالنص .

ويضيف المؤلف أنه لو كان المسيحيون قد تمسكوا بالنص الذي أوحى إلى عيسى لتجنبوا كثيراً من المصاعب والخلافات مع العلماء والمؤرخين . إنه لا مجال للشك في أن القرآن وحى إلٰهي ، وإنه على عكس ما يدعى بعض علماء الدين المسيحي ، وثيقة لبشر لا حصر لعددهم وتمتد صلاحية هذه الوثيقة حتى قرننا العشرين ولم تقتصر على القرن السابع الذي أوحيت فيه ــ ولكن ألا يمكن القول بأن المستقبل سوف يأتي بمحاولات لدراسة القرآن دراسة نقدية تاريخية كما حدث في المسيحية ؟ ألا يوجد الآن بعض المسلمين الذين يفكرون بهذه الطريقة وقد يكون عددهم أكثر مما يعترف به المسلمون أنفسهم ؟

ــ من نقد الكتاب المقدس إلى نقد القرآن (٦٨ــ٧٢)

يعتقد المسلم إعتقاداً لا يتزعزع بأن القرآن هو وحي إلٰهي بنصه وأن محمد ﷺ كان أمياً ولا يقرأ ولا يكتب فهو لم يقرأ الكتاب المقدس ولم يسمعه من أحد وقد عرفنا أنه ما كانت هناك ترجمة عربية للكتاب المقدس ، ويقول مونتجمرى واط في دراساته للإسلام (١٩٨٠م) : إن محمداً ﷺ كان يستطيع أن يفرق بين ما هو من فكره وبين ما يوحى إليه أو على الأقل كان يعتقد ذلك وتوالت الدراسات القرآنية من العلماء المتخصصين والتي تميل في معظمها إلى التشكيك في صحة الوحي بالنص ، ويؤكد المؤلف أن النقاش حول هذا الموضوع سوف يظل لفترة طويلة ويؤيد وجود تأثير يهودي ومسيحي على ما جاء في القرآن (الكريم) ويدلل على ذلك بما جاء في القرآن من آيات توافق ما جاء في الكتاب المقدس وكذلك علاقات الجوار بين اليهود والمسيحيين مع العرب . ولكن الحديث حول هذه النقطة لا يزال في البداية ويحتاج فيه إلى مشاركة أكبر من المسلمين وخاصة المتخصصين منهم في دراسة الدين المسيحي ولو أن عددهم ضئيل جداً . والمقصود بدراسة تاريخية نقدية للقرآن هو الآتي :

ــ ألا يؤخذ القرآن على أنه أوامر وتعليمات جامدة لا تتطور ولا تتناسب مع الزمن المتغير .

ــ ألا يؤخذ على أنه أصل ثابت لتأويلات تتناسب مع الزمن مع بقاء الأصل جامداً .

ــ ان تفهم القرآن على أنه رسالة سماوية ومتجددة وحية وعلى أنه شهادة (وثيقة) أوحاها الله الواحد الأحد القادر الرحمن . شهادة ثابتة لكنها تظهر في كل عصر ومكان ، وحتى على المستوى الشخصي ، بالمظهر الملائم المفيد فنستطيع بذلك تجنب صعوبات تثيرها الاكتشافات العلمية الحديثة .

ويختم المؤلف هذا الفصل باقتباس من عالمة باكستانيه «رفعت حسن» تعمل في جامعة كنتوكي (Kentucky) . تذكر فيه أهم الأسباب التي تعرقل إلتقاء اليهود والمسيحيين والمسلمين ، وهي :

أولاً : إيمان اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنه وهب لهم أرضاً (فلسطين) .

ثانياً : إيمان المسيحيين بأن عيسى (عليه السلام) إبن الله .

ثالثاً : إيمان المسلمين بأن القرآن وحي حرفي (بالنص) .

كما نرى مما سبق يتبين لنا أهمية الحوار حول مسائل الخلاف بين الديانات السماوية الثلاثة .

الباب الثاني

السنة والشيعة : الدولة، الشريعة، المعاملات، العبادات (جوزيف فان . إس)

الفصل الأول : وجهات نظر إسلامية : إنتصار تاريخي عالمي وعيوبه : (٧٣-٧٥) :

يستعرض المؤلف جوزيف فان . إس (Josef van Ess) الظروف التاريخية المحيطة بالإسلام إبان نشأته أعنى الحرب بين البيزنطيين والفرس وإنتشار الإسلام في دولة البيزنطيين ثم عن الحروب الصليبية ثم عن نهاية الخلافة الإسلامية (١٢٥٨م - ٦٥٦هـ) على يد المغول وظهور حركة فكرية وثقافية واسعة في دولتهم وينتقل بعد ذلك إلى الدولة العثمانية وقوتها العسكرية ثم يعود بعد ذلك إلى الحديث عن الخلفاء الراشدين ومسألة الخلاف حول الخلافة بعد موت النبي ﷺ وانقسام الأمة إلى أهل السنة والشيعة .

صور تاريخية مختلفة : (٧٥-٧٨)

يتحدث المؤلف في بداية هذا المبحث عن نشأة الشيعة ودور خلافة على بن أبي طالب (رضي الله عنه) في ذلك بعد أن ذكر أن الشيعة يمثلون حوالي ٧٪ من مجموع المسلمين وأنهم يتمركزون بصفة خاصة في إيران والعراق . وقد بدأ تمركزهم في هذه المنطقة أثناء حكم دولة الصفويين . وأنهم لا يعترفون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وأن نظام الخلافة عندهم لا يتم عن طريق الإختيار ولكن حسب نسب الخليفة إلى بيت النبي ﷺ .

ويقول : إن الدولة الإسلامية نشأت أولًا في المدينة وقد أثبت المسلمون قدرتهم على التنظيم والإدارة السياسية وقد كان القرآن هو مصدرهم الوحيد في ذلك فالقرآن ، على عكس الأناجيل ، لا يهدى الناس إلى حياتهم في الآخرة فقط ولكن ينظم كل تفاصيل حياتهم في هذه الدنيا فالإسلام هو شريعة (Gesetzesreligion) . إن عدم إستطاعة الشيعة الاحتفاظ بالخلافة بعد موت على بن أبي طالب جعلهم يعيشون في إنتظار الخلاص المنتظر ولا ينظرون إلى هذه الحياة بعين الاعتبار وقد زكى ذلك القدرة على تحمل المكاره عندهم إلى أن يأتي المهدى المنتظر (المخلص) .

ـ إدارة السياسة والقضاء : (٧٨-٨٠)

لقد سارت التطورات في صالح أهل السنة وكانت الخلافة الإسلامية تستمد نظامها من الله (القرآن) . والخليفة الإسلامي يختلف في وظيفته عن البابا الذي هو قيصر في نفس الوقت ، ولكن الخليفة كان حاكماً فقط يحكم بما أنزل الله ولا يضع قوانين جديدة أو يأتي بتفسير جديد لآية من آيات الأحكام . وكان ذلك مهمة علماء الدين الذين كانوا يمارسون مهنة أخرى لاكتساب العيش فليس الإسلام نظاما كنسيا كما هو في المسيحية ، وتعتبر السنة النبوية مساعداً إلى جانب القرآن لحل المشكلات الشرعية التي كانت تواجه العلماء ولا يوجد لها حل صريح في القرآن ويرجع تسمية أهل السنة إلى إلتزامهم بالسنة النبوية (المطهرة) . رغم أن الشيعة أيضاً يلتزمون بالسنة .

ـ السنة وطرق معرفة أحكام الشريعة (القضاء) : (٨٠-٨٢)

يقول فان إس : تجاه العدد الهائل من آلاف الأحاديث النبوية كان الطريق الذي يقاس به صدق الحديث ليس هو بناؤه المنطقي أو مطابقة محتواه للتصور الإسلامي . ولكن يعتمد كلية على الثقة في راوى الحديث وقد أخذ بهذه الطريقة أهل السنة والشيعة أيضاً . وكان هذا سبباً في إختلاف الشيعة عن أهل السنة . لأن الشيعة

اعتقدوا منذ البداية في عدم صحة إختيار الخليفة الأول (أبي بكر) وباقي الخلفاء واعتبروا ذلك كبيرة من الكبائر . فاعتمد الشيعة في معرفة الأحكام على الإمام ، أما أهل السنة فقد أخذوا بالحديث النبوي الذي تثبت صحة سنده . وترتب على ذلك عدم أخذ الشيعة بطريقة الإجماع التي أخذ بها عند أهل السنة بل اعتقدوا بأن الحقيقة قد تكون عند عدد قليل من الناس واستندوا في ذلك إلى ظروف إختيار الخلفاء الراشدين حيث أن الإجماع أو رأي الأغلبية لم يكن ، في رأيهم ، على حق . وترتب على هذا أن الإمام عند الشيعة أصبح يمثل السلطة السياسية والدينية في نفس الوقت ولم يكن ذلك موجوداً بهذه الدرجة عند أهل السنة . ووصل فان إس في عرض هذا إلى أن الإمام الذي إجتمعت في يده السلطتان الدينية والدنيوية هو الخميني .

ــ شريعة إلهيه ، دولة دنيوية ، ضمير شخصي : (٨٢–٨٥)

الشريعة في الدولة الإسلامية تقابل (الثيولوجيا) في المسيحية وهذا يجعل وجود حاكم أو حكومة تقوم على تطبيق شريعة الله شيئا ضروريا في الإسلام ويكون الإسلام هو دين الدولة في معظم الدول الإسلامية . ثم يعرض فان إس موقف الغرب من التصورات الإقتصادية في الإسلام مثل محاولة إنشاء بنوك بلا أرباح ثابتة لرؤوس الأموال . وينبه إلى أن الأرباح الثابتة يمكن أن تصبح ربا وهو محرم في الإسلام ، ويشير إلى أن تصور الإسلام هذا لا يعارض الكسب الحلال من البيع والشراء والإستثمار بالشروط المشروعة في القرآن الكريم . ثم يعرض لموقف المسلم من حقوق الإنسان فيقول إن حقوق الإنسان مكفولة في القرآن (الكريم) ولا يجد المسلم حاجة للبحث بنفسه في هذه المشكلة فحقوق الإنسان هي نفسها واجبات الإنسان الشرعية التي تحدد علاقة كل شخص بالآخر . وأما التصورات الخلقية فهي تؤخذ في الإسلام من القرآن والسنة ولا تؤخذ من تصورات الفلاسفة كالفارابي وإبن سينا وغيرهم ، والرقيب الأخلاقي هو الضمير الشخصي لكل فرد . ويقول : المسيحي يحمل دينه في داخله ، أما المسلم فيريد أن يعيش في وسط دينه أي أن يرى دينه مطبقاً أيضاً ممن يعيشون حوله .

ــ أركان الإسلام : (٨٥–٨٩)

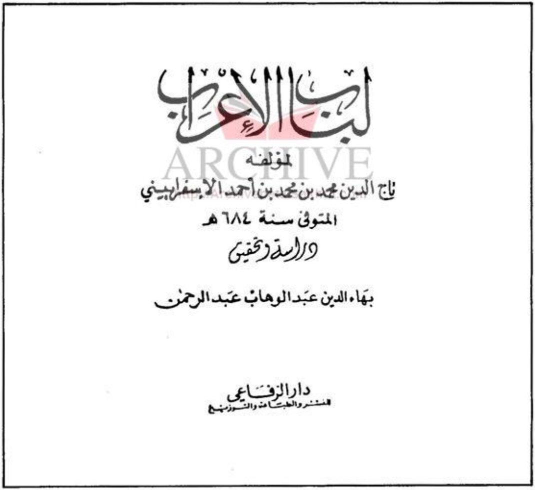
إن عبادة المسلم ليست عبارات يرددها ولكنها أعمال يطبقها مع من يعيش معهم في المجتمع الإسلامي . فأول الأركان «الصلاة» مثلًا يؤديها المسلم بكيفية محددة ليس له أن يغير فيها وفي أماكن تتوافر فيها شروط الطهارة ، ويمكن أن يؤديها في أي مكان متى كان المكان طاهراً ، وأداؤها جماعة يكسب المسلم روح التضامن والتآخي مع الآخرين وتلك الروح يجدها المسلم أيضاً في الركن الثاني وهو الصيام . ويذكر أن المسلم لا يعترف بأن الصيام يؤثر على الناحية الإقتصادية التي يعيرها الغرب أهمية كبرى ويعتبر ذلك إمعانا في المادية ، وكذلك الحج إلى بيت الله الحرام والطهارة اللازمة فيه إلى جانب أداء المناسك ويعكس الحج أيضاً صورة رائعة من صور التضامن والتآخي بين المسلمين . والزكاة يطهر بها الإنسان نفسه وماله وتعبر عن تضامن بين الغني والفقير . وهي محددة بنسبة معينة ولكل قادر أن يزيد على ذلك ما أراد ويؤجر على ذلك كله . ويسبق تلك الأركان الأربعة التي هي عبارة عن تطبيق عملي للعبادة الركن الأول وهو القسم النظري من تلك الأركان وهو الشهادة ألا إلهٰ إلا الله وأن محمداً رسول الله . وبذلك نرى أن الإسلام لا يرتكز على أشياء (حقائق) تخرج عن نطاق العقل بل يتطلب من الإنسان أداء أعمال وعبادات تضمن له الصلاح ولا يشترط في الإيمان أي قدرة عقلية أو روحانية للشخص حتى يؤمن ولكن الهداية تأتي من الله .

ــ فائدة (معنى) هذه الأركان : (٨٩–٩٠)

أركان الإسلام ليست مجرد أفعال وأقوال يؤديها المسلم دون أن يعرف معناها ، كما هو الحال عند بعض المسلمين ولكنها تتأسس

على معرفة مسبقة . المسلم يعرف قبل أن يؤدي فريضة من الفرائض السبب الذي يؤديها من أجله ورغم ذلك فهو لا يؤديها لفائدتها ولكن إمتثالاً لأمر الله . هذه الطاعة لله تظهر خير ما تكون في أداء الحج. فالمسلم لا يعتقد أثناء الحج أنه يتبع إبراهيم (عليه السلام) ولا هاجر عندما يقبل الحجر الأسود مثلًا ولكنه يفعل ذلك معتقداً أن في ذلك إمتثالاً لأمر الله الذي طبقه إبراهيم والنبي (عليهما الصلاة والسلام) . ويعود المؤلف (فان إس) ليؤكد ما سبق أن قال وهو أن الإسلام يحمل روح الإصلاح وخاصة في مبدأ التوحيد الذي أزال عبادة الأصنام بمعنى أنه لا يرى قيمة الأشياء في ذاتها ولكن في أنها إمتثال لأمر الله وحده .

* * *


لب الألباب

لمؤلفه

تاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الاسفرايني

المتوفى سنة ٦٨٤ هـ

دراسة وتحقيق

بهاء الدين عبد الوهاب عبد الرحمن

دار الرفاعي

للنشر والطباعة والتوزيع

الوجود العالمي للإنتاج الفكري للأطباء العرب لمحمد المصري

محمد ابراهيم سليمان

عضو هيئة التدريس

معهد الادارة العامة ـــ الرياض

المصري، محمد / الوجود العالمي للإنتاج الفكري للأطباء العرب في العصر الحديث.ـــ الكويت : دار البحوث العلمية، ١٩٨٣. ١٠١ ص.

تمهيـــــد

من الحقائق المعترف بها ذلك الدور الريادي للحضارة العربية الإسلامية في مجال الطب، وكيف تتلمذ الأوروبيون على أعلام الطب المسلمين، وكيف أن الكثير من الاكتشافات الطبية الحديثة ـــ التي نمت وترعرعت في أوروبا ـــ كانت أصولها عربية إسلامية .

ولكن الجديد ـــ الذي يعالجه هذا الكتاب ـــ هو إنتاج الأطباء العرب في العصر الحديث على المستوى العالمي، أو «الوجود العالمي للإنتاج الفكري للأطباء العرب في العصر الحديث».

وهذا الكتاب ليس فقط مجال اهتمام الباحثين في الطب والمشتغلين بالمعلومات والمكتبات والبيليوجرافيا، بل وأيضا جميع المهتمين بقضايا الفكر العربي بصفة عامة.

○ المؤلف ومنهج الكتاب :

مؤلف الكتاب هو الدكتور محمد المصري بقسم المكتبات والوثائق بكلية الآداب جامعة القاهرة. وعلاقته بهذا الموضوع لم تبدأ مع هذا الكتاب، بل ترجع إلى عدة سنوات مضت. فقد تقدم في عام ١٩٧٤م برسالته للماجستير في موضوع: تخطيط التعاون بين المكتبات الطبية في القاهرة الكبرى في مجالات التزويد والإعداد البيليوجرافي والخدمة. وفي عام ١٩٨١م كانت رسالته للدكتوراه بعنوان : الإنتاج الفكري للأطباء العرب في العصر الحديث، دراسة للضبط البيليوجرافي والاستخدام. والمنهج المستخدم في هذا الكتاب هو المنهج الكمي، وهو المعروف باسم «البيليومتريات أو القياسات البيليوجرافية» ـــ وهو عبارة عن معالجة كمية أو تحليل إحصائي للإنتاج الفكري، أي يقوم بتطبيق الطرق الرياضية والإحصائية على الكتب والأوعية الأخرى للإتصال .

○ محتويات الكتاب :

الكتاب عبارة عن مقدمة وأربعة فصول . وفي نهايته ملحقان:

الأول بعنوان : أكثر الدوريات الأجنبية إحتواء للمقالات التي نشرها الأطباء العرب، والثاني بعنوان : الدوريات العربية المستشهد بمقالاتها من غير العرب أو المحللة في الكشافات والمستخلصات الطبية العالمية . يلي ذلك قائمة بالمراجع العربية والأجنبية ، هذا بالاضافة إلى الحواشي المدرجة في صفحات الكتاب .

والكتاب يتضمن عدداً كبيراً من الجداول ــ بالمقارنة إلى عدد صفحاته ــ حيث يوجد ٢١ جدولا ، مع قائمة بالجداول والمحتويات في بداية الكتاب .

وفيما يلي عرض مختصر للموضوعات التي تمت معالجتها في كل فصل من الفصول الأربعة :

الفصل الأول : الإنتاج الفكري للأطباء العرب المنشور خارج العالم العربي.

يناقش المؤلف في هذا الفصل ثلاثة عناصر أساسية هي :

أولا : جمع البيانات عن الإنتاج الفكري للأطباء العرب في الدوريات الطبية غير العربية : وقد كانت العينة التي اختارها المؤلف عبارة عن ٤٧١٢ مقالة . أما مصادرها فقد تحددت في : الكشافات والمستخلصات الطبية العالمية، وقوائم الإستخلاص الملحقة بالمجلات الطبية العربية، وقوائم الأبحاث المنشورة لأعضاء هيئات التدريس والبحث في الكليات ومراكز البحوث الطبية في العالم العربي، وخدمات التكشيف والاستخلاص العربية، والاشارات المرجعية المصاحبة للمقالات المنشورة في الدوريات الطبية العربية وبعض الدوريات الطبية الأجنبية، وكذلك الاتصال بالأطباء .

ثانيا : التوزيع الزمني والجغرافي والموضوعي للإنتاج الفكري للأطباء العرب في الدوريات الطبية غير العربية : فمن حيث التوزيع الزمني وجد أن العينة المختارة تمتد من سنة ١٩٠١م إلى ١٩٧٧م. وقد قُسّمت إلى ٨ فئات زمنية كل منها ١٠ سنوات. ومن حيث التوزيع الجغرافي للدوريات وجد أنها تنتمي إلى ٤١ دولة تأتي على رأسها الولايات المتحدة ثم إنجلترا. ولكن عند توزيع المقالات على الدول تحتل إنجلترا المركز الأول، تليها الولايات المتحدة. أما عن التوزيع الموضوعي للدوريات فهي تغطي ٥٧ موضوعا، أهمها : الطب العام، علم الميكروبات، الجراحة، أمراض العيون .. الخ .

ثالثا : أكثر الدوريات إحتواء للمقالات ومكانة الدوريات : وجد أن دوريات الطب الأجنبية التي تحتوي على أكبر عدد من المقالات المنشورة لأطباء عرب هي ٣٨ دورية (١٩ منها صدرت في إنجلترا ، ١٦ في الولايات المتحدة، وواحدة في كل من سويسرا واسكتلندا وأوغندا). وأهم مجالات تخصص هذه الدوريات : طب المناطق الحارة، الطب العام، الجراحة العامة، الصحة العامة، أمراض النساء والولادة، أمراض القلب والدورة الدموية ... إلخ .

الفصل الثاني : الإنتاج الفكري المشترك بين الأطباء العرب وغير العرب .

يناقش المؤلف في هذا الفصل أربعة عناصر هي :

أولا : عدد البحوث الطبية المشتركة مع غير العرب: وقد وجد أن عددها ٣٥٠١ مقالة، بنسبة ٢٤٫٠٣ ٪ من المجموع الكلي لعدد البحوث المشتركة في الانتاج الفكري للأطباء العرب .

ثانيا : مكان نشر البحوث الطبية المشتركة مع غير العرب: وجد أن المنشور منها في الدوريات الطبية العربية هو

١٥٥٠ مقالة، بينما المنشور في الدوريات الأجنبية يصل إلى ١٩٥١ مقالة أي بنسبة ٧٢ر٥٥٪ من مجموع البحوث المشتركة مع غير العرب .

ثالثا : التطور العددي للبحوث المشتركة : اتضح أن عدد البحوث المشتركة في تطور مستمر، فبينما بدأ عام ١٩٠١ ببحث واحد، وصل عام ١٩٠٧ إلى أربعة بحوث، وانتهى في العقد الأخير (١٩٦٨ — ٧٧). إلى ١٥٦٢ بحثا .

رابعا : التوزيع الجغرافي للبحوث المشتركة مع غير العرب: وقد تم اختيار عينة خاصة لاختبار هذا البعد، اتضح منها أن هؤلاء الباحثين ينتمون إلى ١٤ دولة، ويسهم الباحثون من الولايات المتحدة بأكبر نسبة من البحوث المشتركة مع العرب (٤٠٪ من العينة)، يليهم البريطانيون، ثم الفرنسيون .

الفصل الثالث : إستشهاد غير العرب بالإنتاج الفكري للأطباء العرب .

يتكون هذا الفصل من ثلاثة عناصر أساسية هي :

أولا : مصادر تجميع الاشارات المرجعية الأجنبية للإنتاج الفكري للأطباء العرب : وهي تنقسم إلى قسمين رئيسين: جميع الدوريات الطبية العربية، بالاضافة إلى ٢٨ دورية طبية أجنبية صادرة عام ١٩٧٧ م.

ثانيا : دراسة تحليلية للإنتاج الفكري للأطباء العرب المستشهد به من الأجانب : وقد بلغ عدد المقالات المستشهد بها ١٥٨١ مقالة تمتد من سنة ١٩٠٢ — ١٩٧٧، الموجود منها في الدوريات العربية ٥٧٧ مقالة، وفي الدوريات الأجنبية ١٠٠٤ (بنسبة ٦٣ر٥٪) . وقد بيّن المؤلف هنا التوزيع الزمني والجغرافي والموضوعي للمقالات المستشهد بها .

ثالثا : دراسة تحليلية للإنتاج الفكري الطبي الأجنبي المستشهد بالإنتاج الفكري للأطباء العرب : وقد تم هنا التوزيع الزمني للإشارات المرجعية الأجنبية، ثم مستويات الاستشهاد الأجنبي، ثم التوزيع الجغرافي للمستشهدين الأجانب .

الفصل الرابع : تغطية خدمات التكشيف والاستخلاص الطبية العالمية للإنتاج الفكري للأطباء العرب.

تعرض هذا الفصل للعناصر التالية :

أولا : مراجعة الكشافات والمستخلصات الطبية العالمية، وقد تم تحديد هذه الكشافات والمستخلصات وعددها ٤٠ كشافا ومستخلصا، وتم مراجعتها حيث اتضح أن ٢٥ منها لا تتضمن بين دورياتها المحللة أيا من الدوريات الطبية العربية، بينما ١٥ فقط هي التي تحلل محتويات الدوريات الطبية العربية .

ثانيا : الدوريات العربية المحللة في الكشافات والمستخلصات الطبية العالمية : وقد وصل عدد هذه الدوريات إلى ٣٥ دورية تمتد تغطيتها من سنة ١٨٧٤م حتى سنة ١٩٧٧م.

ثالثا : التوزيع الزمني والجغرافي والموضوعي للإنتاج الفكري للأطباء العرب الذي تمت تغطيته في الكشافات والمستخلصات الطبية العالمية : فمن حيث التوزيع الزمني اتضح أن أعلى نسب التغطية كانت للدوريات الصادرة من ١٩٣٨–١٩٤٧م، وأقلها للفترة من ١٩٦٨–١٩٧٧م. ومن حيث التوزيع الجغرافي يوجد تغطية لإنتاج ١٠ دول من مجموع ١٣ دولة عربية صدرت بها دوريات، وتحظى مصر بأكبر عدد من

الدوريات المحللة. أما من حيث التوزيع الموضوعي فقد اتضح أن ٢٣ دورية (بنسبة ٧١ر٦٥٪ من مجموع الدوريات المغطاة) مجلات طبية عامة. أما المجلات المغطاة وتصدر في فروع التخصص فهي ١٢ مجلة فقط في ١٠ تخصصات طبية .

تعقيب ورأي

يمكن إيجاز الملاحظات على الكتاب فيما يلي :

أولا : لا شك أننا أمام دراسة هامة في موضوعها، ليس فقط لأنها تناقش إحدى القضايا الأساسية في علم المعلومات وهي قضية الإنتاج الفكري العربي، ولكن أيضا لأنها تعالج قضية تحتل جانبا كبيرا من تفكير الباحثين والمفكرين في العالم العربي — وهي مكانة الإنتاج العلمي العربي في مجتمع البحث العلمي العالمي.

ثانيا : لا بد من الإشادة بالجهد الكبير والمضني الذي بذله المؤلف، وخاصة في ظل غياب بحوث مماثلة سابقة تمهد الطريق، أو تحصر الإنتاج الفكري العربي — سواء داخل الوطن العربي أو خارجه. فقد قام المؤلف بفحص كل دورية لاستقاء البيانات المطلوبة عنها، ثم المراجعة المباشرة للدوريات نفسها لحصر مفردات الإنتاج المطلوب، هذا فضلا عن الدراسات الإحصائية الدقيقة التي تمت لهذا الإنتاج.

ثالثا : ومع ذلك يؤخذ على الكتاب عدم دقة العنوان. فمن الواضح أن الكتاب قد اقتصر على ما نشر في المجلات الطبية من مقالات ودراسات. ولكن العنوان جاء شاملاً للإنتاج الفكري بأكمله (بما يعني أنه يشمل أيضا: الكتب والرسائل الجامعية وبحوث المؤتمرات وغيرها). ولو جاء العنوان هكذا: «الوجود العالمي للإنتاج الفكري المنشور في الدوريات الطبية..» — لكان ذلك أكثر دقة وتعبيرا عن مضمون الكتاب.

رابعا : لم يحدد المؤلف فترة زمنية يدرس فيها الوجود العالمي لهذا الإنتاج الفكري. كما أنه لم يبرر عدم تحديد فترة زمنية، والملاحظ أن سنوات التغطية تختلف من فصل إلى آخر من فصول الكتاب .

خامسا : التقارب الشديد بين موضوع الكتاب وموضوع رسالة الدكتوراه للمؤلف يوحي بأن الكتاب جزء من رسالة الدكتوراه. ولكن المؤلف لم يذكر ذلك في الكتاب. ولو كان النشر قد تم لرسالة الدكتوراه مكتملة، لكان ذلك أكثر إقناعا للقارىء، ولكان فيه الرد على الكثير من التساؤلات .

وعلى الرغم من ذلك .. فهذا الكتاب دراسة جادة ومتعمقة، وتسد فراغا كبيرا في المكتبة العربية، ولا شك أنها ستكون في المستقبل محورا للعديد من الدراسات حول الإنتاج الفكري العربي بصفة عامة، والإنتاج الفكري للأطباء العرب بصفة خاصة .

مُناقشَات وَتعقيبَات

تعقيب على التعريف بكتاب تاريخ الموصل

سعيد الديوه جي

قرأت في الجزء الثاني من المجلد الرابع في مجلتكم، ما تفضل به أستاذ بالتعريف بكتابي تأريخ الموصل ــ الجزء الأول.

وإني أشكره على تجشمه قراءة الكتاب، وما كتبه عنه، وبدت لي بعض الملاحظات على ما تفضل به :

ذكر في أول بحثه ما يأتي : «نشر المؤلف بين عامي ١٩٥٨ ــ ١٩٦٤م ثلاثة كتب وخمس مقالات، وهذه نشرت في مجلة سومر المتخصصة كلها عن مدينة الموصل، ثم قر رأيه في نشر تأريخ جامع يحيط بالتراث المجيد للموصل ومفاخرها العلمية والفنية والاقتصادية والاجتماعية .... ويبدو أن طبيعة مادة الكتاب الموزعة في الكتب والمقالات السالفة الذكر قد لعبت دوراً كبيراً في جعل البناء الداخلي لهذا التأريخ الجامع موزعاً، ويفتقر إلى الترابط البين، الشيء الذي يلقي على كاهل القارىء واجب وضع تلك الطبيعة الأساسية للمادة نصب عينيه وهو يطالع الكتاب».

والذي أقوله : إن مادة الكتاب لم تكن مقتصرة على الكتب والمقالات التي ذكرتها في المصادر وأشار إليها الأخ الفاضل المعقب. فقد نشرت عدة كتب وأبحاث عن تأريخ الموصل وخططها وتراثها وأعلامها في اختلاف العصور، كما حققت عدة كتب عن تأريخها ونشرتها وبعضها مذكور في المصادر، وما ذكرته منها في قائمة مصادر هذا الجزء هي التي تبحث عن الفترة التي أتكلم عنها .

وقد ذكرت في مقدمة الكتاب : وإني منذ نشأت عكفت على تتبع تأريخ بلدتي وتراثها، ووفقني الله عز وجل أن أساهم في الكتابة عنها، فنشرت عدة كتب وأبحاث في تأريخها وتراثها وأعلامها، ورأيت من المفيد أن أكتب تأريخا جامعاً لها يكون في متناول من يريد الاطلاع على تراثها المجيد، وماضيها الغني بالمفاخر والعلوم والفنون.

وكيف عرف أن مادة هذه الكتب والمقالات ــ التي أشار إليها ــ قد لعبت دوراً بارزاً في جعل البناء الداخلي لهذا التأريخ موزعاً ويفتقر إلى الترابط البين ــ وهو نفسه لم يطلع على كل ما كتبته ونشرته .

لا علاقة لما ذكره في البناء الذي سرت عليه في ترتيب الكتاب، فالبناء الداخلي للكتاب من وضعي، راعيت فيه تسلسل الحوادث، وما مرَّ على المدينة من تقدم أو تأخر، حسب الظروف التي لاقتها ، فما علاقة هذا بالكتب والمقالات التي ذكرها، وهي تبحث في نواح معينة، نعم استعنت بها كما استعنت بالكثير مما كتب عنها قديماً وحديثاً، وليس لها علاقة بالبناء الداخلي الذي سرت عليه، وهل أن المعلومات الواسعة التي ذكرتها عن المدينة، هي مادة الكتاب الموزعة في كتب ومقالات معدودة ذكرتها في المصادر..

فالكتاب كما وصفه الأخ الفاضل: جامع، ثم جعله موزعاً يفتقر إلى الترابط البين الذي يلقي على كاهل القارىء أن يرجع

إلى الكتب والمصادر التي أشار إليها.

وماذا يعنيه بقوله: عن الكتب والمقالات التي أشار إليها، إنها لعبت دورا كبيرا في جعل البناء لهذا التأريخ الجامع موزعا، ويفتقر إلى الترابط البين الشيء الذي يلقي على كاهل القارىء واجب وضع تلك الطبيعة الأساسية للمادة نصب عينيه، وهو يطالع الكتاب.

أما الكتاب فلا يفتقر إلى الترابط، وإنما راعيت في كتابته تسلسل الحوادث التي مرت على المدينة، ووفيتها حقها — على ما أعلم — والترابط واضح بين الفترات المتعاقبة في الكتاب في كل ما تكلمت عنه، وهو بأسلوب خالٍ من التعقيد والتكلف، سهل العبارة، واضح المعاني، ولا يكلف القارىء سوى قراءته.

هذا ما أراه في الكتاب، وهل يفتقر إلى الترابط وحوادثه المتسلسلة كلها مترابطة مع بعضها من جميع النواحي: السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية والعمارة .. الخ ولا تحمل القارىء أكثر من قراءتها .

ولا أدري ما الذي عناه بقوله : يلقي على كاهل القارىء واجب وضع تلك الطبيعة الأساسية للمادة نصب عينيه وهو يطالع الكتاب — فما هي الطبيعة الأساسية للكتاب التي ألقاها على كاهل القارىء الذي يقرأ الكتاب؟ حبذا لو أفادنا بما يعنيه.

أكرر شكري وتقديري له على ما تفضل به من التعريف بالكتاب.

تعقيب على الدكتور صلاح الدين المنجد

عباس صالح طاشكندي

لقد اطلعت مؤخراً على التعقيب الذي نشره الدكتور صلاح الدين المنجد في العدد الثاني من المجلد السادس حول ما كتبته في العدد الخاص عن الاستشراق في أبريل عام ١٩٨٤م بعنوان « الاستشراق ودوره في توثيق وتحقيق التراث » والذي يدعى فيه بأنني نسبت إليه قولًا لم أكن أميناً في نقله حين أشرت إلى مقدمة قواعد تحقيق المخطوطات والتي يقول فيها ضمن ما يقول بأنه استقاها عن نهج المستشرقين الألمان ومن خطه غيوم بوده ، واستنكر عدم إشارتي كما جاء في مقدمته إلى أنه استقاها أيضاً من قواعد المحدثين في ضبط الروايات وبما نشر في الموضوع من قبل .

والحقيقة فان موضوع الدراسة لم يكن هدفه دراسة قواعد المخطوطات بقدر ما كان دراسة لأثر الاستشراق على ظهور القواعد الخاصة بالتحقيق ، ومن هنا فقد حرصت على أن أوضح مدى تأثير الاستشراق على قواعد الدكتور المنجد ، فاقتبست — متبعاً الأصول العلمية في الاقتباس — مما جاء في مقدمته من تأكيد على مدى تأثره بالاستشراق ، وبقدر ما يحقق غرض وطبيعة الموضوع .

أما إن كان المطلوب دراسة قواعد الدكتور المنجد والكشف عن مدى استفادتها من قواعد المحدثين في ضبط الروايات على ضوء ما حفل به التراث ومناهج علم الحديث الشريف من رصيد ضخم ومتكامل سواء في تحقيق نصوص الحديث الشريف أو غيره مما لا يمكن أن توفيه صفحات قليلة صدرت بها قواعد الدكتور المنجد ، فهذا أمر يختلف في طبيعته عن موضوع الاستشراق ، وربما يتطلب بحثاً مستقلًا أعد له حالياً .

كما أشار الدكتور المنجد في تعقيبه إلى أنني حين اقتبست من مقدمة قواعده لم أشر إليها متهماً إياي بعدم الأمانة في النقل . والحقيقة هي أنني أشرت في موضع الاقتباس حسب الأصول العلمية بالترقيم ورصدت قواعده ضمن ثبت المراجع في آخر البحث . وكنت أتمنى من الدكتور صلاح الدين المنجد حفظاً على مكانته ألا يتسرع في أحكامه ، ولا يجعلني موضوعاً لثأر قديم بينه وبين أستاذنا الدكتور عبدالسلام هارون .